

جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الكلية : التربية
الاسم الرباعي : سمية محمد علي موسى حجازي
القسم : قسم التربية الإسلامية والمقارنة .
الشخص : الأصول الإسلامية للتربية .
الاطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه .

عنوان الأطروحة :

« التربية الوجدانية في الإسلام »

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ..
فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي قمت مناقشتها بتاريخ
٢٤/١٤١٨هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم . فإن اللجنة
توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .
كما توصي اللجنة بطباعة الرسالة . **والله الموفق ...**

أعضاء اللجنة

المذاقش من داخل القسم

الشرف

الدكتورة / آمال حمزة المذوق في أبو حسين

الدكتور / محمود محمد كسناد

التوقيع : د .

التوقيع :

المذاقش من خارج القسم

الدكتور / عبد المنان ملا محمود يوسف بار

التوقيع :

التوقيع :

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الدكتور / حامد سالم كايض التربية

٣٠١٠٢٠٠٠٢٨٥٤



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

التربية الوجدانية في الإسلام



إعداد الطالبة

سمية محمد علي حجازي

اشراف

فضيلة الشيخ
٢٠٠٥٠٢

سعادة الدكتور

محمود محمد كسنawi

محمود محمد قطب ابراهيم

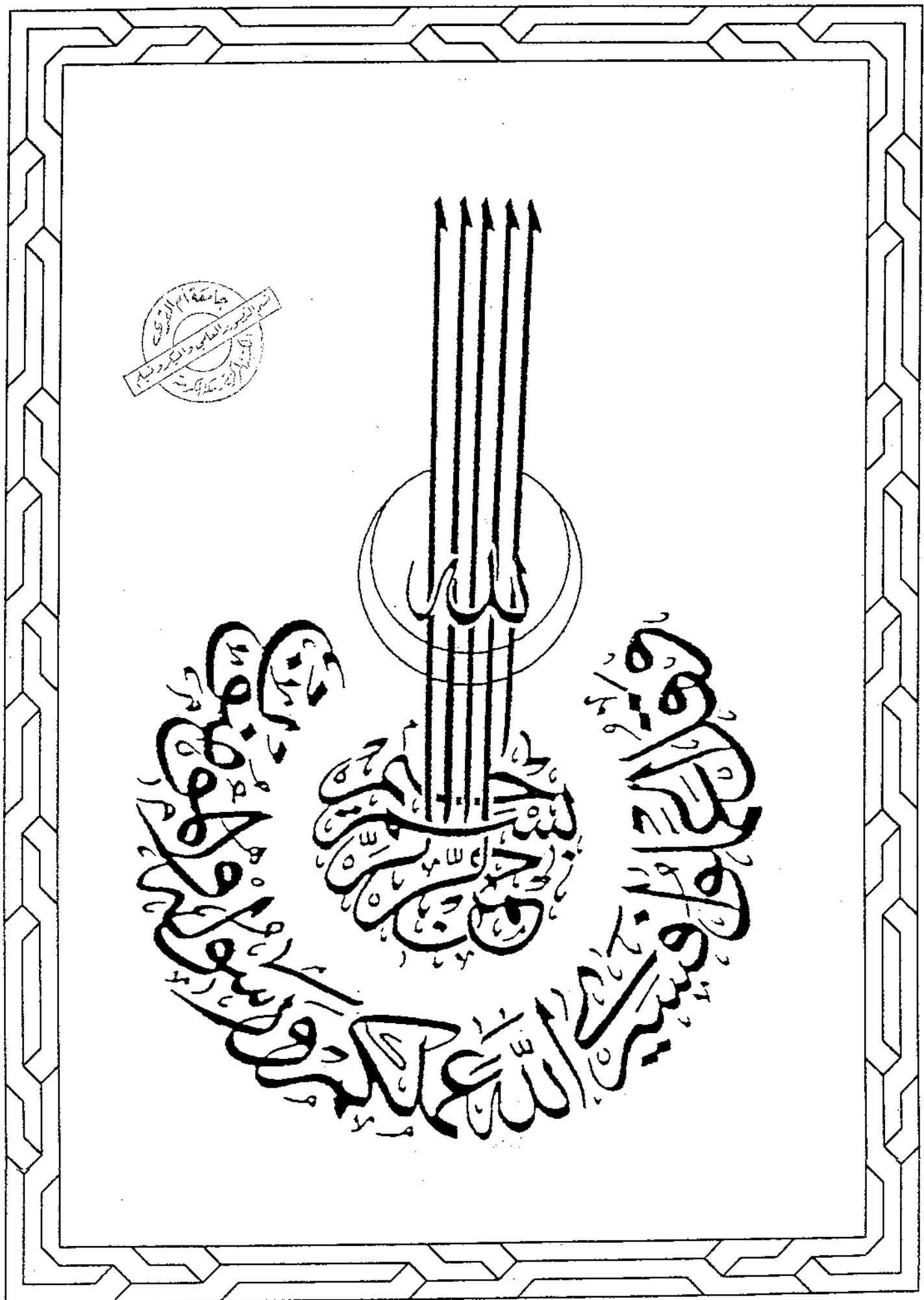
بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية

مقدمة لقسم التربية الإسلامية والمقارنة - كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الفصل الدراسي الأول

لعام ١٤١٧هـ

المجلد الأول



(أ)

قال تعالى :

قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُجْبِنُ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْرِلُكُمْ دُنْوَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آل عمران : ٣١)



وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"ابخون في ضعفاءكم ، فإنكم إنما ترزقون وتنطرون بضعفائهم"

(ابن حببل ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ج ٨ ، ص ١٧١)

(ب)

الإهدا

إلى من أمرني ربِّي بشكرهما وقرنه بشكره ، ... كما قال تعالى :

وَوَصَّيْنَا إِلَى إِنْسَنَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهُنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

(سورة لقمان ، آية ١٤) .

إلى من التحق بالرفيق الأعلى في اللحظات الأخيرة قبل خروج هذه الرسالة إلى حيز النور .. أقدم هذا الجهد المتواضع لوالدي رحمة الله .. أهديه لروحهما .. وأرجو من الله هبة الصلاح والتقوى لقبول الدعاء مني لهما لرفع درجتهما .. " إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يارب أني لي هذه ، فيقول : باستغفار ولذلك لك " . (الميثمي ، ١٩٨٦/٥١٤٠٦ م ، ج ١٠ ، ٢١٣) .

رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما رباني صغيرا .

(الباحثة)

(ج)

شكراً وتقدير

الحمد لله والشكر لله رب العالمين ... والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل " (ابن حبلي، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٧٠) . والقائل : " إن الله وملائكته ليصلون على معلم الناس الخير " (التزمي ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٣م، ج ٥، ص ٥٠)

فمن أحق الحق حق المعلم أن يشكر على جهده ... والباحثة تتقدم بالشكر والعرفان للأستاذة الكرامتين ساهموا في تعليمها . وتحرص بالشكر والعرفان والتقدير الجليل أعضاء الإشراف على البحث فضيلة الشيخ / محمد قطب ابراهيم ، وسعادة الدكتور / محمود محمد كساوي . للتوجيهات القيمة والارشادات الجليلة في كيفية إجراء البحث وإزالة كل العوائق التي اعترضت مساره .. كما تتقدم بالشكر والتقدير لإدارة الجامعة وعلى رأسها عمالي المدير الدكتور / سهيل بن حسن قاضي لادارة الحكيمية... وعمادة الجامعة يمثلها سعادة الدكتور / عبد العزيز عبد الله خياط لدأبه المتواصل لتسهيل سبل العلم لطالبه ... ورئاسة قسم التربية الاسلامية يمثلها سعادة الدكتور / حامد بن سالم الحربي لجهوده النيرة وعنائه ورعايته لطالب العلم

وتحرص بالشكر والتقدير الجليل أعضاء اللجنة المناقشة الدكتورة / أمال حمزة المرزوقي أبو حسين - أستاذ مشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة . والدكتور / عبد المنان ملا معمور يوسف بار - أستاذ مشارك بقسم علم النفس . لتفضليهم بقبول المناقشة وتوجيهاتهم الكريم لإخراج البحث بالصورة اللائقة علمياً ... كما تشكر كل من ساهم بالدعاء للباحثة بالتوفيق والسداد ... وأخيراً تتقدم الباحثة بخالص الدعاء لله تعالى بقبول هذا العمل المتواضع يوم العرض عليه ... والحمد لله رب العالمين ...

(الباحثة)



(د)

ملخص الرسالة

موضوع الدراسة :

التربية الوجدانية في الإسلام : و مجالاتها التي اهتم بها و دور المؤسسات التربوية تجاه تعميقها في تربية الفرد .

نطاق الدراسة :

طبيعة الدراسة وأهميتها وأهدافها وحدودها والمناهج المستخدمة فيها ومصطلحات الدراسة .

الفصل الأول : مفهوم الوجود في الإسلام وتحرر الوجوداني وأهميته وجوانب التحرر الوجوداني في الإسلام وأساليب تقويه في الإسلام .

الفصل الثاني : الإنفعالات إحدى مجالات التربية الوجدانية . مفهوم الإنفعالات في الإسلام ، وأنواعها ، والطرق التربوية في تعميم إيجابياتها

ومعالجة سلبياتها .

الفصل الرابع : العواطف إحدى مجالات التربية الوجدانية ، مفهوم العواطف في الإسلام ، وأسس بنائتها وإتجاهاتها وأنواعها والطرق التربوية في

تنمية إيجابياتها ومعالجة سلبياتها .

الفصل الخامس: مفهوم الحاجات الوجدانية في الإسلام وأنواعها .

الفصل السادس: الضمير مجال من مجالات التربية الوجدانية، مفهوم الضمير في الإسلام ومؤثرات الضمير في الإسلام، العواطف والإنفعالات

والعرف والعادات والأراء الاجتماعية وقوتا الخير والشر، والمؤثرات الإيجابية والسلبية، ثم مظاهر صحة الضمير في الإسلام .

الفصل السابع: دور المؤسسات التربوية في تربية الوجود، الدور الذي ينبغي أن تقوم به الأسرة ويمثل دور الوالدين ودور الأخوة ، ثم الدور

الذي ينبغي أن تقوم به المدرسة ويتمثل هذا الدور في الأهداف، والمحسوبيات، وطريقة التعلم، والأنشطة العلمية المقترنة، ثم أهمية

التكامل بين الأسرة والمدرسة في تعميق التربية الوجدانية .

نتائج الدراسة : في ختام الدراسة تم عرض أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي :-

١) ان التربية الوجدانية هي تربية المشاعر والأحساس والعواطف والإنفعالات والضمير، والتي تمثل تحقيق الحاجات الوجدانية التي يمقضاها يتحدد سلوك الفرد .

٢) عمل الإسلام على تحرير الوجود من الجوانب التي تحول دون نقاشه وتقبله للتربية وأحل محلها أساليب تقويه بزرع محبة الله باتباع أمره ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته .

٣) ربي الإسلام مجالات الوجود الإيجابية بالتسمية "التزبيب" ، والسلبية بالعلاج المناسب لكل حالة "الترهيب" لإيجاد الشخصية السوية .

٤) ان التطبيقات التربوية للتربية الوجدانية تحمل في الدور الذي ينبغي أن تقوم به الأسرة والمدرسة وعن طريق تكامل العلاقة بين المؤسسات التي تجسد الهدف التربوي .

٥) للإسلام نظرية متكاملة في التربية الوجدانية والتي تستمد أبعادها من الأصول - القرآن والسنة - وبذلك تغنى الفرد والمجتمع عن سواها .

توصيات الدراسة : وفقاً للنتائج التي تم التوصل إليها توصي الدراسة بالآتي :-

١) أن يكون الهدف العام للتربية الوجدانية تحقيق العبودية لله واتباع سنة نبيه ليتم سير السلوك وفقاً للمنهج الإسلامي .

٢) على المربي في المؤسسات التربوية إظهار مفهوم التربية الوجدانية عن طريق التوجيه والإرشاد وإبرازه في صورة سلوكية حية .

٣) على المربي إشاع الحاجات الوجدانية للفرد بالتوجيه والإرشاد .

٤) على المربي إتخاذ أسلوب التوعية والتبيه إلى خطورة الوسائل المغرضة .

٥) توصي الدراسة المؤسسات المسؤولة عن العمل باعطاء الأمهات العاملات فترة زمنية محددة للخروج من العمل للتعقيب على اطفالهن في المازل والعودة للعمل دون تقصير .

٦) على المدرسة أن تنظم إجتماعات دورية إضافية إلى إجتماعات مجالس الآباء والأمهات لأخذ الآراء حول سلوكيات الأبناء والتعاون في شئون المجالات والأدلة بالمقترنات التربوية .

عميد كلية التربية

د. عبد العزيز عبد الله خياط

المشرف على الرسالة

د. محمود محمد كسناوي

الباحثة

سمية محمد علي حجازي

(ه)

محتويات الدراسة

رقم الصفحة	الموضوع
	الفصل الأول : طبيعة الدراسة وأهميتها .
٢	١ - المقدمة .
٨	٢ - موضوع الدراسة .
١٣	٣ - أهمية الدراسة .
١٥	٤ - أهداف الدراسة .
١٦	٥ - تساؤلات الدراسة .
١٧	٦ - حدود الدراسة .
١٨	٧ - منهج الدراسة .
٢١	٨ - مصطلحات الدراسة .
٢٤	٩ - الدراسات السابقة .

الفصل الثاني : مفهوم الوجдан في الإسلام .

٢٧	١ - مفهوم الوجدان في الإسلام .
٢٧	أ - مفهوم الوجدان في اللغة .
٢٩	ب - مفهوم الوجدان في القرآن .
٣٤	ج - مفهوم الوجدان في السنة .
٣٧	د - مفهوم الوجدان عند علماء الفكر الإسلامي .
٥١	٢ - التحرر الوجданى وأهميته في الإسلام .
٥٨	٣ - جوانب التحرر الوجданى في الإسلام .
٥٨	أ - التحرر من الشرك .
٦٤	ب - التحرر من العادات والتقاليد .

(و)

رقم الصفحة	الموضوع
٦٨	ج - التحرر من الوهم والخرافات .
٧٤	٤ - أساليب تقوية الجانب الوجداني في الإسلام .
٧٤	أ - زرع محبة الله .
٩٠	ب - زرع محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثالث : الإِنْفَعَالَاتُ مَحَالٌ مِّنْ مَجاالتِ التَّوْبِيَةِ الْوَجْدَانِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ .

١١٠	١ - مفهوم الإنفعالات في الإسلام .
١١١	٢ - أنواع الإنفعالات في نظر الإسلام
١١٢	٣ - الإنفعالات السلبية والطرق التربوية لعلاجها في الإسلام .
١١٢	١ - الغضب .
١٢١	٢ - الخوف .
١٣٦	٣ - الحسد .
١٤٩	٤ - الحقد .
١٥٥	٥ - الغرور .
١٧١	٦ - الجبن .
١٧٧	ب - الإنفعالات الإيجابية والطرق التربوية لتنميتها في الإسلام .
١٧٨	١ - الشجاعة .
١٨٣	٢ - الشقة .
١٩٢	٣ - العزة .
١٩٨	٤ - الحذر .
٢٠٣	٥ - الفرح .
٢١٠	٦ - التواضع .

(ز)

رقم الصفحة	الموضوع
الفصل الرابع : العواطف مجال من مجالات التربية الوجدانية في الإسلام.	
٢٢٣	١ - مفهوم العواطف في الإسلام .
٢٢٥	٢ - الأسس التربوية في بناء العواطف في الإسلام .
٢٢٦	أ - القبلة والرأفة والرحمة بالأطفال والخارم .
٢٢٩	ب - المداعبة والممازحة مع الأطفال والخارم .
٢٣٤	ج - الهدايا والعطایا .
٢٣٨	د - مسح رأس الطفل .
٢٣٩	ه - حسن الاستقبال .
٢٣٤	و - السؤال وتفقد الأحوال .
٢٤٦	ز - الرعاية الخاصة للطفل اليتيم والضعيف .
٢٥١	٣ - إتجاهات العواطف في الإسلام .
٢٥٢	أ - عاطفة تجاه الوالدين .
٢٦١	ب - عاطفة تجاه الأبناء .
٢٦٩	ج - عاطفة تجاه الإخوة .
٢٧٦	د - عاطفة تجاه القرابة .
٢٨٢	ه - عاطفة تجاه المثل الأعلى .
٢٩١	و - عاطفة تجاه المجتمع .
٢٩٥	ز - عاطفة إنسانية مطلقة .
٢٩٨	٤ - أنواع العواطف في نظر الإسلام .
٢٩٨	أ - العواطف الإيجابية والطرق التربوية لتنميتها في الإسلام .
٢٩٨	١ - الإجلال .

(ح)

رقم الصفحة	الموضوع
٣٠٤	٢ - الحباء .
٣١٦	٣ - الحب .
٣٢٢	٤ - الرحمة .
٣٢٩	٥ - الإيثار .
٣٣٥	ب - العواطف السلبية والطرق التربوية لعلاجها في الإسلام .
٣٣٥	١ - البغض .
٣٤٠	٢ - القسوة .
٣٤٦	٣ - الاستعلاء .
٣٥١	٤ - الاحتقار .
٣٥٥	٥ - الغيرة .
٣٦٢	٦ - حب الذات (الأنانية) .

الفصل الخامس : الحاجات الوجدانية في الإسلام .

٣٧٠	١ - مفهوم الحاجات في الإسلام .
٣٧١	٢ - أنواع الحاجات في الإسلام .
٣٧١	أ - الحاجة إلى المحبة .
٣٧٥	ب - الحاجة إلى الأمان .
٣٨١	ج - الحاجة إلى التقدير والإحترام .
٣٨٦	د - الحاجة إلى النجاح .
٣٩٢	ه - الحاجة إلى الإنتماء .
٣٩٦	و - الحاجة إلى التعبير عن الذات .

(ط)

رقم الصفحة

الموضوع

**الفصل السادس : الضمير مجال من مجالات التربية
الوجدانية في الإسلام .**

٤٠٣	١ - مفهوم الضمير في الإسلام .
٤٠٧	٢ - مؤثرات الضمير في الإسلام .
٤٠٧	أ - العواطف والإنفعالات .
٤٠٩	ب - العرف والعادات .
٤١٥	ج - الآراء الاجتماعية .
٤٢٠	د - قوتا الخير والشر .
٤٢٦	٣ - المؤثرات الإيجابية في تربية الضمير في الإسلام .
٤٢٦	أ - المراقبة الدائمة لله .
٤٢٩	ب - إتباع أوامر الدين .
٤٣٣	ج - استخدام الإرادة الحية .
٤٤٠	د - وجود المثل الأعلى .
٤٤٦	ه - القراءة الوعية النافعة .
٤٥١	٤ - المؤثرات السلبية في تربية الضمير في الإسلام .
٤٥١	أ - التمرد وعصيان الأوامر الداخلية .
٤٥٤	ب - تبلد الضمير .
٤٦١	ج - الاستجابة للمؤثرات الخارجية .
٤٦١	١ - الصحبة .
٤٦٧	٢ - الأفلام والمسرحيات غير الهدافة .
٤٧٣	٣ - إثارة صوت الشهوات والغرائز .
٤٧٨	٤ - مظاهر صحة الضمير في الإسلام .
٤٧٨	أ - وخز الضمير .

(ي)

رقم الصفحة	الموضوع
٤٨٢	ب - الإعتراف بالذنب .
٤٨٦	ج - التوبة والإستغفار .
٤٩٢	د - الدعاء والتسبيح والذكر .

الفصل السابع : دور المؤسسات التربوية في تربية الوجدان .

- ١ - الدور الذي ينبغي أن تقوم به الأسرة في تربية الجانب الوجданى .
- أ - دور الوالدين .
- ب - دور الإخوة .
- ٢ - الدور الذي ينبغي أن تقوم به المدرسة في تربية الجانب الوجدانى
- أ - الأهداف التربوية المقترحة لتعزيز الجانب الوجدانى .
- ب - المحتوى التربوي المقترح ومدى تطبيقه في الواقع .
- ج - طريقة التعلم المقترحة لتعزيز الجانب الوجدانى في نفوس الطلاب .
- د - الأنشطة العلمية المقترحة لتعزيز الجانب الوجدانى في نفوس الطلاب .
- ه - التقويم المقترح لقياس مدى تعمق الجانب الوجدانى في نفوس الطلاب .
- و - أهمية التكامل بين الأسرة والمدرسة في تعزيز التربية الوجданية .
- ٣ - الخاتمة .
- ٤ - النتائج .
- ٥ - التوصيات .
- ٦ - المصادر والمراجع .

الفصل الأول

طبيعة الدراسة وأهميتها

- ١ - المقدمة .
- ٢ - موضوع الدراسة .
- ٣ - أهمية الدراسة .
- ٤ - أهداف الدراسة .
- ٥ - تساؤلات الدراسة .
- ٦ - حدود الدراسة .
- ٧ - منهج الدراسة .
- ٨ - مصطلحات الدراسة .
- ٩ - الدراسات السابقة .

مُقدمة :

الحمد لله رب العالمين .. الذي خلق النفس وسواها ، فأفهمها فجورها وتقوتها ..
وإليه مرجعها ومنتهاها ..

والصلوة والسلام على المربى الأمين ، المرسل رحمة للعالمين .. وارض اللهم على
آله وصحبه المكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

نزل الدين الإسلامي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أراده الله
ورضيه للناس دين هداية وطمأنينة ورشد . مخلصاً البشرية من المعتقدات الفاسدة
ومطهراً نفوسهم ووجدانهم مما علق بها من رذائل الجهل ، وواضعًا أسس ومبادئه
وقواعد السلوك ومقاييس العمل لتحقيق السعادة النفسية ، ومحققاً أهم الطرق ل التربية
الإنسان وتهيئة الحياة الآمنة له ، وذلك بتربية وجданه .

فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بقوى تتجاذبه نحو فعل الخير وترك الشر . وهذه
القوى تسبق السلوك وتقارنه وتلحقه فتسبقه وتوجهه إلى عمل الواجب ، وتحذره من
المعصية ، وتلحقه بالإرتياح والسرور عند فعل الطاعة ، والإحساس بالألم وال وخز عند
إقتراف المعصية . فهذه القوى تسمى وجدان . (أمين، ١٩٦٩، ص ٦٨) .

ومنهج التربية الإسلامية المستمد من القرآن والسنّة نزل مخاطباً القوى الكامنة
داخل الإنسان . عن طريق تعليمه عقيدة التوحيد ، وتركيبة وجданه بالعبادات والتوبة
والاستغفار ، وغرضها من ذلك أن يجعل الإنسان المتعلّم لنفسه خلقاً تصدر عنه
الأعمال كلها جليلة ، ولتنمو شخصيته غواً كاماً ، وليحقق دوره في الحياة . وطريقة

إلى ذلك هو فهم قوي النفس وفهم الوجودان ثم اتخاذ الوسائل الالزمة من أجل تحقيق ذلك . (أبو العين ، ١٩٨٥م، ص ١٩٣) .

فالنفس إذا تركت بدون تهذيب وتربيه كان فيها بدائية يصحبها عدم اتزان، كالذي يغضب من أدنى شيء أو يفرط في الضحك من شيء يسير . ولكن بالتدريب والاستمرار والتحلّق تكتسب النفس أخلاقاً جديدة . وكل إنسان صالح لأن يربى ويتحلّق بخلق جديدة مع تفاوت بين الأفراد في سرعة الاستجابة وبطئها . (علم الدين، ١٣٩٥هـ، ص ١٧٥) .

وبالنظر إلى القرآن الكريم والسنّة نجد أنها تضمنت العديد من الآيات والأحاديث التي تعرضت للتربية الوجدانية ، ولطبيعة تكوين الإنسان ووضعت أحوال النفس المختلفة لاسيما الجانب الوجداني موضع الاهتمام الأكبر لأن كل مظهر تربوي لا يكون ذاتاً جدوى ما لم يسانده ضمير من الداخل .

وعلى ذلك يكون البدء ببناء النفس من الداخل وتخليصها من الأمراض الوسوسه، كالكفر ، والوهم والخرافات ، ومن الأمراض النفسيه ، كالبغض والحسد والخذد وسوء الظن والكبير ونحو ذلك من الأمراض النفسيه التي تسلّد تحت السلوك الغير سوي . (قلعة جي، ١٤٠٨هـ، ص ٢٦٩) .

ولقد جاءت توجيهات الإسلام صريحة لتجنب الإنسان من هذه الأمراض. كما يقول الزهري قال : أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاتبغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".(البيهقي، "د. ت" ج ١٠، ص ٢٤٢) .

(٤)

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا لَقْمَانَ :

وَلَا تُصْرِخْ رَدَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

(لقمان : ١٨)

كما تقوم التربية الإسلامية بغرس القناعة والإيمان بالمبادئ المذهبة للوجدان والمؤدية إلى استقامة السلوك ، مثل كراهية الاعتداء على أعراض الناس كالزنا والقذف . (قلعة جي ، ص ٢٦٩) .

كما روى أبو أمامة قال : " إن فتنى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إئذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فرجروه وقالوا ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنه ، فدنا منه قريباً ، فقال أتحبه لأمك ؟ قال لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال أتحبه لإبنتك ؟ قال لا والله ، جعلني الله فداك ، قال ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أتحبه لأختك ؟ قال لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال أتحبه لعمتك ؟ قال لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال : افتحبه خالتك ؟ قال لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه خالاتهم ، قال فوضع يده عليه وقال : اللهم أغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء " (ابن حنبل، (د.ت) ج ٥، ص ٢٥٦) .

أيضاً تقوم التربية الإسلامية بغرس القناعة والإيمان بضرر الغيبة وبشاعتتها في أعماق الوجدان . كما قال تعالى :

(٥)

يَتَأْمِنُهَا الَّذِينَ أَمْنُوا أَجْتَبَنَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكَ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا
وَلَا يَجْسِسُوا وَلَا يَغْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنَّكَ أَحَدُكُمْ أَنَّ
يَأْكُلَ لَهُمْ أَخْيَهُ مَيْتَانًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ

رَحِيمٌ

(الحجرات : ١٢)

كما أن الأذان الذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم في أذن الوليد ساعة ولادته يعتبر جانباً مهماً في التزية الوجданية فيعتبر غرساً لبذور العزة والإباء في جانب لشعور هذا الوليد ، وكتابة لأول كلمات مضيئة في صفحة نفسه البيضاء ووجданه النقي . وهذه الكلمات متمثلة في قوله " الله أكبر " والتي تكون أول الكلمات التي تطبع في عقله الباطن ووجданه .

ثم يأتي بعد ذلك دور الثقة بالمربي وجهه ، لأن الثقة بالمربي وجهه يسهل عملية الاقناع واليقين بصحة ما يقول ، وبالتالي يطبق ما يملئ عليه سلوكيًّا . لذا قرن حب المربي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان (قلعة جي، ص ٧١).

كما قال تعالى :

قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُعْجِزُونَ اللَّهَ
فَإِنَّهُ عَوْنَى يَعْجِزُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آل عمران : ٣١)

(٦)

وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رُوِيَّ عَنْ قَاتِدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالَّدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسُ أَجْعَنُ " (الْبَخَارِيُّ، (د.ت)، ج ١، ص ١٠) .

كَمَا أَقْسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ كَمَالِ الإِيمَانِ مَا لَمْ يَكُنْ مَقْرُونًا بِالْجَانِبِ الْوَجْدَانِيِّ الْمُتَمَثَّلِ فِي مَحْبَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالَّدِهِ وَوَلَدِهِ " (الْبَخَارِيُّ، ج ١، ص ١٠) .

فَيَتَضَعُّ مَا سَبَقَ أَيْضًا أَنَّ الْجَانِبَ الْوَجْدَانِيَّ فِي جَانِبِ الْعِقِيدَةِ يُعْتَبَرُ دَلَالَةً وَاضْحَى عَلَىٰ كَمَالِ الإِيمَانِ وَهَذَا مَا يَدْلِلُ عَلَيْهِ وَيُؤْكِدُهُ قَسْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَالْمُؤْمِنُ لَا يَدْلِلُ حَبَّهُ وَمَؤْخَاتَهُ إِلَّا لِإِخْرَانِهِ مِنْ أَهْلِ عَقِيدَتِهِ . وَالَّذِي يَظْهَرُ ذَلِكُ الْحُبُّ وَتَلْكُ الْوَجْدَانِيَّاتُ السُّلُوكُ الْمُتَرَبُ عَلَىٰ ذَلِكُ . كَمَا رُوِيَّ عَنْ الْقَاسِمِ ابْنِ أَمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ " . (أَبُو دَاوُد ، م ١٩٧٩ / ه ١٣٩٩ ، ص ٤٣٨) .

وَكَمَا رُوِيَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : " أَوْتَقْ عَرِيَ الإِيمَانَ الْمَوَالَةَ فِي اللَّهِ وَالْمَعَاذَاةَ فِي اللَّهِ وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " . (أَبُو دَاوُد ، ج ١٢ ، ص ٣٥٠) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِمُّوْا إِيمَانَهُمْ يُظْلَمُّ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَكْمَانُ
وَهُمْ مُهَتَّدُونَ

(٧)

وَكَمَا رُوِيَّ عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ " . (الألباني، ١٩٨٢م، ج٦، ص١٠٢). (مسلم بشرح النووي، ١٤١٥هـ/١٩٩٠م، ج١، ص١٧) .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَؤْذِي جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكَرِّمَ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُقْلِلْ خَيْرًا أَوْ لِيُصْمِتْ " (مسلم بشرح النووي، ج١، ص٢٠) . " وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ نَفْسُهُ عَنْ مُسْلِمٍ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ الدُّنْيَا نَفْسُ اللَّهِ عَنْهُ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسِرُّ عَلَى مُسْلِمٍ يَسِرُّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَرَّ عَلَى مُسْلِمٍ سَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنَى الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنَى أَخِيهِ " . (أبو داود، ط٣، ٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١٣، ص٢٩٠) .

" وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمُؤْمِنُ مِرَآةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكْفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحْوِطُهُ - يَحْفَظُهُ - مِنْ وَرَائِهِ " (أبو داود، ج١٣، ص٢٦٠) . " وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مَعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفَذَهُ دُعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخْبِرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُجُورِ الْعَيْنِ شَاءَ - مِنَ الْحُجُورِ مَا شَاءَ - مِنَ الْحُجُورِ الْعَيْنِ مَا شَاءَ اللَّهُ " (أبو داود، ج١٣، ص١٣٦) .

وَمِنْ مِنْطَلَقِ مَا وَرَدَ مِنْ آيَاتٍ وَأَحَادِيثٍ فِي هَذِهِ الْمُقْدِمَةِ وَالَّتِي تَرْتَبُطُ بِالْجَانِبِ الْوَجْدَانِيِّ ، وَوَفَقًا لِأَلْهَمِيَّةِ تَرْبِيَةِ الْجَانِبِ الْوَجْدَانِيِّ فِي الْإِنْسَانِ وَوَفَقًا لِتَعْالَيمِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَبَعَتْ فَكْرَةُ الْدِرْسَةِ لِإِبْرَازِ مَجَالَاتِ التَّرْبِيَةِ الْوَجْدَانِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ وَالدُّورِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَقْوِمَ بِهِ الْمُؤْسَسَاتُ التَّرْبِيَّةِ لِتَعميقِهِ لِدِيِّ الْفَرْدِ وَالْمُجَمَّعِ فَأَرْجُوُ اللَّهِ أَنْ يُوفِّقَ الْبَاحِثَةَ فِي عَرْضِ هَذَا الْبَحْثِ وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَفْعًا وَفَائِدَةً .

الْبَاحِثَةُ

موضوع الدراسة :

الحقيقة التي لا لبس فيها أنه لا يوجد في جميع المناهج التربوية منهج تربوي استطاع أن يهتم بالإنسان ويخاطب عقله وروحه ووجوده ، بل يهتم بتربيته من جميع جوانبه النفسية والجسمية والفكرية والإجتماعية سوى منهج التربية الإسلامية. حيث لا غرابة في ذلك لأن منهج التربية الإسلامية منبع من الأصلين الرئيسيين القرآن الكريم والسنة النبوية التي أتت مفصلة له .

ويؤكد هذه الحقيقة محمد قطب : " بأن طريقة الإسلام في التربية هي معاجلة الكائن البشري كلها معاجلة شاملة لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن شيء جسمه وعقله وروحه ، وحياته على ما هو عليه بفطرته التي خلقه الله عليها لا يغفل شيئاً من هذه الفطرة ولا يفرض عليها شيئاً ليس في تركيبها الأصيل " . (قطب، ٤٠٠ هـ، ص ١٨) .

وترى الباحثة أن المجتمعات الإسلامية تعيش حالة انفتاح على الثقافات الأخرى. وهذه الثقافات لها طابع مميز ، حيث طغيان المادة والتقدم التقني والتكنولوجي على مظاهر الحياة . فعلى الرغم من إيجابيات ذلك التقدم إلا أن هناك جوانب سلبية تزامنت مع ظهور هذا التقدم ، ويتمثل ذلك فيما يعيشه الإنسان من حالة قلق وتوتر واضطراب نفسي عصبي ، فظهرت نتيجة التفكير في المادة وطغيانها على جانب العقيدة بعض الأمراض والصفات الذميمة كالخقد والحسد والأناية وحب الذات .

ويشير إلى ذلك الغزالى : " إن الحضارة المادية كانت هي القابضة على زمام الطبيعة عن طريق التقدم العلمي والفنى وهذه الحضارة هي التي تزحف اليوم على كل

البقاء لتشير فيها رسالتها عن قصد أو عن غير قصد . فالمادة تهدف إلى تحطيم المعاني والمثاليات ، وإلى تجريد الأشياء من كل قيمة عدا قيمتها التي تقدر بالمال، بل وصل الأمر إلى تقدير الإنسان ذات نفسه بالمال . أصبحنا نقدر حياتنا على أساس ما حققناه من كسب مادي دون أن ندخل في الحساب عملاً من أعمال الخير أو لفترة من لفقات القلب أو لحظة من لحظات الحب والتضحية .

ويشير إلى أن الحياة أصبحت مشروعًا يجب أن ينجح ويتحقق أرباحاً ولم تعد الحياة كما كانت - عطية الخالق نقنع بها ونحمده من أجلها - لهذا شاع الانتحار في عصرنا برغم أن حياتنا أصبح أشد يسراً .

ولقد أشار الغزالي إلى تحذير العلامة الفيلسوف "شوايتز" لبني عصره من طغيان الارقاء المادي على الجوانب الروحية حيث يقول : " إن المدينة التي لا تفي بغير جوانبها المادية كسفينة مكسورة الدفة تشق طريقها إلى كارثة " .

ويقول الغزالي : لقد كان التقدم المادي لا الروحي هو الغالب على حياة المجتمع الأوروبي والغربي ، فاختل التوازن في غمرة حماس تحقيق المدينة والقوى المادية والرفاهية الزائفة ، فخسر الفرد والمجتمع نفسه بعبادة المادة ، كما أصبحت الأخلاق في هذا المجتمع ضيقة الأفق لافتفي بغير فكرة الأمانة في المعاملات فقط ولا شأن لها بعد ذلك بالقلب والحس والعاطفة . ولاشك أن الأمانة فضيلة ولكن حب الجار ومشاركة الآخرين آلامهم وما زرتهم مادياً ومعنوياً بالتضحية في سبيل المثل والقيم ليس مما تشمله الأمانة في المفهوم الغربي بالإضافة إلى أن المعنى الضيق لفكرة الأمانة حجب إلى حد كبير فكرة الخير والشر . (الغزالى، (د.ت)، ص ١٤٠-١٤١) .

ونظراً لخطورة تسرب الواقع الاجتماعي وال النفسي السليبي للغرب إلى المجتمعات الإسلامية ترى الباحثة ضرورة العناية بالتربيـة الـوجـدانـية وـذلك لأنـ الـوجـدانـ جـانـبـ مـهـمـ فيـ الإـنـسـانـ كـكـلـ الجـوانـبـ يـمـكـنـ أنـ يـنـمـيـ بـالـتـرـبـيـةـ وـيـضـعـفـ بـالـإـهـمـالـ أوـ الـعـصـيـانـ .
وـالـإـسـلـامـ اـهـتـمـ بـالـتـرـبـيـةـ الـوجـدانـيـةـ اـهـتـمـاـمـاـ كـبـيرـاـ لأنـ الجـانـبـ الـوجـدانـيـ يـؤـثـرـ عـلـىـ سـلـوكـ الفـردـ تـجـاهـ نـفـسـهـ وـتـجـاهـ الـخـيـطـينـ بـهـ مـنـ أـفـرـادـ أـسـرـتـهـ وـمـجـتمـعـهـ ،ـ وـالـعـنـيـةـ بـهـ تـضـمـنـ خـلـوـ الفـردـ وـالـجـمـعـ مـنـ الـأـمـرـاـضـ وـالـاضـطـرـابـاتـ الـنـفـسـيـةـ .

وـقـدـ شـعـرـتـ الـبـاحـثـةـ بـقـصـورـ الـمـؤـسـسـاتـ الـتـبـوـيـةـ فـيـ الـعـنـيـةـ الـكـامـلـةـ الصـحـيـحةـ بـالـجـانـبـ الـوجـدانـيـ فـيـ الـعـمـلـيـةـ الـتـبـوـيـةـ رـغـمـ أـهـمـيـتـهاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـمـرـبـيـ سـوـاءـ كـانـ ذـلـكـ الـقـصـورـ مـتـمـثـلاـ دـاخـلـ الـأـسـرـةـ فـيـ شـخـصـيـةـ الـوـالـدـيـنـ حـيـثـ نـجـدـ اـنـشـغالـ الـأـبـ بـجـمـعـ الـمـادـةـ،ـ وـالـأـمـ نـجـدـهـاـ عـاـمـلـةـ تـرـكـتـ الـأـبـنـاءـ وـالـمـنـزـلـ لـسـاعـاتـ فـيـ رـعـاـيـةـ الـخـادـمـاتـ الـلـائـيـ لـاـيمـكـنـ أـنـ يـقـمـنـ بـتـرـبـيـةـ الـأـبـنـاءـ تـرـبـيـةـ كـامـلـةـ ،ـ فـمـثـلـ هـؤـلـاءـ الـأـبـنـاءـ يـفـقـرـوـنـ بـلـاشـكـ لـلـتـرـبـيـةـ السـلـيـمةـ وـخـصـوصـاـ الـجـانـبـ الـوجـدانـيـ .

كـماـ شـعـرـتـ الـبـاحـثـةـ بـقـصـورـ مـنـ جـانـبـ الـمـدـرـسـةـ فـيـ تـرـبـيـةـ الـجـانـبـ الـوجـدانـيـ،ـ وـيـتـمـثـلـ هـذـاـ الـقـصـورـ فـيـ شـخـصـيـةـ الـمـعـلـمـ عـنـدـ تـنـفـيـذـ الـعـمـلـيـةـ الـتـبـوـيـةـ دـاخـلـ الـمـدـرـسـةـ بـالـتـركـيزـ عـلـىـ تـدـرـيـسـ الـمـقـرـراتـ الـدـرـاسـيـةـ دـوـنـ الـاـهـتـمـامـ بـتـتـمـيـةـ الـجـانـبـ الـوجـدانـيـ فـيـ نـفـوسـ الـطـلـابـ سـوـاءـ كـانـ ذـلـكـ دـاخـلـ أـوـ خـارـجـ حـجـرـةـ الـدـرـاسـةـ فـيـ النـشـاطـاتـ الـمـدـرـسـيـةـ الـلـاـصـفـيـةـ ،ـ حـيـثـ أـنـ الـمـقـرـراتـ مـرـكـزةـ حـولـ حـشـوـ الـمـعـلـومـاتـ وـكـثـرـتـهـاـ تـتـطـلـبـ اـحـفـظـ وـالـاسـتـرجـاعـ ،ـ مـاـ يـجـعـلـ مـنـ الصـعـبـ عـلـىـ الـمـعـلـمـ تـرـبـيـةـ الـجـانـبـ الـوجـدانـيـ لـدـىـ الـطـلـابـ .ـ وـهـذـاـ مـاـ لـمـسـتـهـ الـبـاحـثـةـ خـلـالـ المـرـورـ بـفـتـرـةـ الـدـرـاسـةـ فـيـ مـرـحلـةـ الـتـعـلـيمـ الـعـامـ ،ـ وـمـنـ خـلـالـ عـدـمـ وـجـودـ أـبـحـاثـ وـدـرـاسـاتـ تـرـبـيـةـ حـولـ الـجـانـبـ الـوجـدانـيـ .

فالباحثة تدرك أهمية الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية في غرس المبادئ والقيم الوجدانية لترجمتها في سلوكيات الأفراد خلال ممارساتهم ل مختلف أنشطة الحياة اليومية ، بالإضافة إلى المهمة التي تقوم بها في مراعاة الفطرة وتلبية الحاجات الوجدانية للفرد . حيث يمثل ذلك في مهمة كل من الأسرة والمدرسة .

كما لاحظت الباحثة خلال البحث والاطلاع أنه رغم أهمية التربية الوجدانية في العملية التربوية ورغم اهتمام علماء الفكر الإسلامي الأوائل بجوانب من التربية الوجدانية في كتاباتهم . مثل الغزالى وابن تيمية وابن القيم والخاسى وغيرهم ، والتي استنبطوها من الأصول ، إلا أن هذا الجانب بحاجة إلى نظر من الدراسات التربوية لتوضيح أهميته وفائدة للفرد والمجتمع .

فمن الواضح أنه لم يتوجه شعاع البحوث العلمية نحو الوجдан إلا حديثاً وهذه البحوث عبارة عن دراسات أجراها العلماء في المجتمعات الغربية ، وكانت تلك الدراسات محصورة في دراسة الظواهر النفسية التي يمكن فقط ملاحظتها ودراستها دراسة تجريبية ، وتجنبوا البحث في كثير من الظواهر النفسية الهامة التي يصعب اخضاعها للملاحظة أو التجربة . وبذلك أبعدوا النفس ذاتها من دراساتهم لأنها شيء لا يمكن ملاحظته وقصروا دراساتهم على السلوك الذي يمكن فقط ملاحظته وقياسه .

(نجاتي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٢٢) .

وأدى ذلك الأمر إلى كثرة البحوث التي تتناول كثيراً من أنواع السلوك السطحي واغفال دراسة الظواهر السلوكية الهامة في الإنسان والتي تتناول النواحي الدينية والروحية والقيم الإنسانية التي تتعلق بالحالات الانفعالية والعمليات الشعورية



(١٢)

والتأميمية كالثقة الدائمة في الله والاعتماد عليه والرضا بقضاءه وما قسم والقاعة والعاطفة في أسمى صورة لها. (نجاتي، ص ٢٢).

فهذا الواقع الغامض لل التربية الوجدانية دفع الباحثة إلى اختيار موضوع الدراسة وما يرتبط به من قضايا تتعلق بمفهوم الوجود وأهميته ، وبالحالات التي تدرج تحته مثل الانفعالات والعواطف وال حاجات الوجدانية والضمير . ودور المؤسسات التربوية في تربية هذا الجانب . فكل هذه الأمور عبارة عن التساؤلات التي تحاول الدراسة الإجابة عليها .

أهمية الدراسة :

كل عصر من العصور له سمة يمتاز بها . وأبرز سمات عصرنا هذا هو التقدم المادي والتكنولوجي الذي كانت له ايجابياته وسلبياته على حياة الإنسان جعلته ينبع منها وينسى نفسه ، فكان نتيجة لهذا الانبهار وذلك النسيان ظهور العديد من الأمراض والاضطرابات النفسية والعصبية التي اعتبرت من مقومات العصر .

ولما كان الوجдан على قدر كبير من الأهمية باعتباره يمثل جزءاً أساسياً في تكوين الإنسان الذي تسعى التربية الإسلامية إلى تربيته بشمولية وتكامل وباعتباره محور العملية التربوية وأهم أهدافها ومقاصدها ، وإعداده للقيام بالمهمة الموكلة إليه في الحياة . فإن هذه الدراسة تكتسب أهميتها من أهمية الموضوع الذي تناولته (التربية الوجданية في الإسلام) والذي يتمثل في الآتي :

- ١) على الطاق الفردي تيرز الدراسة شمولية وتكامل النظرية التربوية الإسلامية لخصائص تكوين الإنسان ، وتعريفه بالجانب الوجданى الذي يبدو أنه مهم في تشكيل شخصية الفرد المسلم .
- ٢) وعلى النطاق الأسري تفيد الدراسة بتعريف الوالدين معنى التربية الوجданية التي يرتخي منها أن يمارسوها في تربيتهم لأبنائهم واستغلال المواقف المختلفة لتحقيق ذلك الغرض .

- ٣) وعلى نطاق المدرسة باعتبارها مؤسسة تربوية تسهم الدراسة في تعريف المعلم العربي بأهمية جانب التربية الوجданية في العملية التربوية التي يقوم بها فيعمل على تنمية هذا الجانب وغرسه في نفوس الطلاب سواء كان ذلك متمثلاً في المنهج الصفي في

طريقة التدريس أو المنهج اللاصفي متمثلاً في شخصه باعتباره قدوة ماثلاً أمامهم كمثل يحتذى به .

٤) وعلى النطاق الإداري التربوي تسهم الدراسة في مساعدة واضعي المناهج والقائمين على المدارس في تخطيط وتنظيم المناهج الدراسية لتحقيق المباديء التي تتضمنها التربية الوجدانية وذلك بتكوين فكرة متكاملة عن التربية الوجدانية .

٥) كما تمثل أهمية الدراسة في تعريف أفراد المجتمع كافة ومن خلال مؤسساته المختلفة بأهمية البيئة الاجتماعية وخصوصاً الوسط العائلي الوجداني في تكيف أفراده .

٦) كما تكمن أهمية دراسة موضوع التربية الوجدانية في الإسلام في التشجيع على البحث والاستقصاء في المشكلات النفسية والوجدانية ويعود ذلك من الأسس الضرورية لفهم نفسية الأفراد ، إذ أن مثل هذه المعرفة الوعية بطبيعة المشكلات وظروفها وأسبابها من أخج الأمور لايضاح حقيقة هذه المشكلات ورسم السبل لعلاجها .

٧) تسهم الدراسة في بيان أهمية تأصيل الفكر الإسلامي وأن الفكر الإسلامي سبق كل الفلسفات الأخرى .

أهداف الدراسة :

يسعى البحث في موضوع التربية الوجدانية في الإسلام إلى تحقيق عدد من الأهداف التالية :

- ١) التعرف على مفهوم الوجودان في الإسلام وأهميته .
 - ٢) التعرف على الانفعالات باعتبارها أحد مجالات التربية الوجدانية التي اهتم الإسلام بتربيتها .
 - ٣) التعرف على العواطف والتي تمثل أحد مجالات التربية الوجدانية التي اهتم الإسلام بتربيتها .
 - ٤) التعرف على الحاجات الوجدانية التي اهتم الإسلام بتربيتها .
 - ٥) التعرف على الضمير باعتباره أحد مجالات التربية الوجدانية التي اهتم الإسلام بتربيتها .
 - ٦) ابراز الدور الذي ينبغي أن تقوم به الأسرة في تربية الجانب الوجداني .
 - ٧) ابراز الدور الذي ينبغي أن تقوم به المدرسة في تربية الجانب الوجداني .
- وترى الباحثة أن تحقيق هذه الأهداف إذا تم فإنه سيؤدي بلا شك إلى تكوين شخصية الفرد المسلم ، وتكوين مجتمع فاضل يسوده الاستقرار والثبات الوجداني بعيداً عن الاضطرابات والانحرافات التي تتسم بها المجتمعات الغربية البعيدة عن العقيدة الصحيحة وتعاليم الشريعة الإسلامية .

تساؤلات الدراسة :

وفقاً للأهمية والأهداف التي سعت الدراسة إلى تحقيقها برزت تساؤلات الدراسة

وهي عبارة عن التساؤل الرئيسي التالي :

ما هي مجالات التربية الوجدانية في الإسلام؟ وما دور المؤسسات التربوية في

تعزيز هذا الجانب في نفوس الأفراد؟

ويتفرع من خلال هذا التساؤل تساؤلات الفرعية الآتية :

* ما مفهوم الوجدان في الإسلام؟ وما هي أهميته؟ .

* ما هي نظرة الإسلام للانفعالات كأحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام؟ .

* ما هي نظرة الإسلام للعواطف كأحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام؟ .

* ما هي نظرة الإسلام للضمير كأحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام؟

* ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به الأسرة في تربية الجانب الوجداني؟ .

* ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به المدرسة في تربية الجانب الوجداني؟ .

حدود الدراسة :

لقد تبين للباحثة من خلال البحث والاستقصاء أن موضوع التربية الوجدانية موضوع كبير وعميق له جوانب متعددة ومتشعبه تحتاج إلى العديد من الدراسات لتفصيل جوانبه بصورة متكاملة . لذا فإن الدراسة ستركز على بعض جوانب التربية الوجدانية في الإسلام .

وحتى يتسع تحديد الدراسة بالقدر الذي يجعل من الممكن الإحاطة بأهم ملامح الموضوع ، فقد اقتصرت الدراسة على المجالات التالية :

مفهوم الوجود في الإسلام وأهميته . وموضوع الانفعالات باعتبارها تمثل أحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام . وموضوع العواطف باعتبارها تمثل أحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام . وموضوع الحاجات الوجدانية باعتبارها أحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام . وموضوع الضمير باعتباره أحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام .

في الإسلام .

كما تم اختيار الأسرة والمدرسة كنموذج لتوضيح الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية في تربية الجانب الوجداني لدى الفرد .

والجدير بالتوسيع في حدود هذه الدراسة انه تم تحديد بعد المجالي لهذه الدراسة ليس من منطلق تخصص علم النفس ولكن من منطلق تخصص التربية الإسلامية من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وآراء بعض علماء الفكر التربوي الإسلامي ، وذلك لاستبطاع بعض المبادئ والأسس التربوية التي وضعها الإسلام لتربية الجانب الوجداني . ومن ثم التوصل إلى وضع تصور مقترن لما ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية " الأسرة والمدرسة " في تعميق هذا الجانب في نفوس الطلاب من خلال العملية التربوية .

منهج الدراسة :

تشير تعريف البحث العلمي إلى ضرورة استخدام الباحث للطرق والأساليب العلمية للوصول إلى حقائق جديدة والتحقق منها والإسهام في نمو المعرفة الإنسانية .

(جابر و كاظم ، ط١ ، ١٩٧٨ م، ص ٢٠) .

ويؤكد ذلك تعريف المنهج وهو : "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى تصل إلى نتيجة معلومة . (بدوي ، ١٩٧٧ م، ص ٥) .

ويمكن للباحث في مجال التربية الإسلامية أن يستخدم العديد من مناهج وطرق البحث العلمي .

وحتى يتسعى لدراسة موضوع التربية الوجدانية في الإسلام أن يسير سيراً علمياً فلا بد من اختيار منهج تسير عليه واستخدمت الدراسة منهجين من مناهج البحث العلمي وهما :

أ - المنهج الاستباطي .

ب- المنهج الوصفي .

المنهج الاستباطي :

هو منهج أصولي استخدمنه علماء الفكر الإسلامي الذين يعنون بدراسة أصول الفقه وذلك في استبطاط الأحكام الشرعية من أدلةها التفصيلية .

وحيث أن المنهج الاستباطي تعرفه كتب طرق البحث في التربية انه : "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف

استخراج مباديء تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة . (عبد الله وآخرون، ١٤٠٧هـ، ص ٤٣) .

فإن المنهج الرزم الدراسة بالرجوع إلى المصدررين الرئيسين القرآن والسنة منبع التراث لتجميع النصوص المتعلقة بالتربية الوجدانية ، ثم الرجوع إلى كتب التفسير وشروحات الحديث للاستفادة منها . ولا تقف المنهجية عند حد الشروح والتفصيل إلى أجزاء بل تتعدى ذلك إلى بذل الجهد العقلي والنفسي في استنباط الأسس والمبادئ التربوية السليمة التي وضعها الإسلام ليتم الاستفادة منها باستخدامها في تربية الجانب الوجداني ولتكون هذه الأسس والمبادئ قاعدةتمكن المرببي المسلم من الرجوع إليها والاستفادة في الممارسات التربوية وفي حل المشكلات التي تعززه أثناء العملية الوجدانية . ومن ثم الوصول إلى نتائج ومقترنات حول موضوع التربية الوجدانية .

المنهج الوصفي :

يهتم المنهج الوصفي بوصف الظواهر أو الأشياء أو الأحداث المعينة ، وجمع الحقائق والمعلومات واللاحظات عنها وذلك عن طريق احداث وبيان العلاقة التي تربط بينها وتفسيرها ودراستها وتحليلها .

ويؤكد ذلك تعريف طرق البحث في التربية وعلم النفس " أن المنهج الوصفي هو ذلك المنهج الذي يهدف إلى وصف الظواهر أو الأحداث أو الأشياء المعينة وجمع الحقائق والمعلومات واللاحظات وفي كثير من الحالات لا تقف البحوث الوصفية عند حد الوصف أو التشخيص الوصفي ، بل أيضاً تهتم بتقرير ما ينبغي أن تكون عليه الأشياء والظواهر التي يتناولها البحث ، وذلك في ضوء قيم ومعايير معينة واقتراح

الخطوات أو الأساليب التي يمكن أن تتبع للوصول بها إلى الصورة التي ينبغي أن تكون عليه في ضوء هذه المعايير . (جابر وكاظم ، ص ٤٠) .

وتهدف الدراسة من استخدام هذا المنهج في جميع الحقائق والمعلومات حول التربية الوجدانية من المصادر الأساسية ووصف خطوات وأساليب الإسلام في تربية هذا الجانب وذلك بالعودة إلى ما كتبه علماء المسلمين حول الوجدان . وبيان العلاقة بين مجالات الوجود والدعائم التي تركز عليها بما هو كائن وما ينبغي أن يكون وذلك لأنخذ العبرة والاستفادة في وضع تصور لما ينبغي أن تكوين عليه التربية الوجدانية في المؤسسات التربوية في وقتنا الحاضر .

مصطلحات الدراسة :

يقصد بـ مصطلحات الدراسة التعريفات التي تعتمد عليها الباحثة في دراسة موضوع التزية الوجدانية في الإسلام وهي :

١ - الوجودان :

الوجودان هو ذلك اللفظ المأخذ من المصدر (وجود) . وهو ذلك الشعور النفسي الذي يعتري الفرد بالسرور أو بالألم الناشيء عن نجاح الفرد وغيره أو محاولة التوفيق بينه وبين بيته أو اخفاقه في محاولته عملاً من الأعمال أو حركة من الحركات وعدم التوفيق .

والوجودان هو ذلك الشعور الموجود مع الإنسان من مهده إلى لحده ومصاحب لكل مرحلة من مراحل الحياة العقلية والجسمية . (حب الله، ١٣٦٧هـ، ص ٥-٦).
والوجودان يقصد به الانفعال أو المزاج . (سوين، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، ١٩٧٩م، ص ٦٢٠).

والوجودان هو كلمة تشمل جميع الأحوال النفسية التي يقوى فيها شعور الإنسان بما يصاحبه من لذة وألم الجوع والعطش والحب والبغض والسرور والحزن واليأس والرجاء كلها ووجودانات تصل إلى النفس فتحدث بها لذة أو ألمًا . (الفقي، ١٣٩٠هـ، ص ٥٧).

٢ - الانفعال :

الانفعال : هو تغير مفاجيء يشمل الفرد كله نفساً وجسماً و يؤثر في الإنسان ككل في سلوكه الخارجي و تكويناته الفسيولوجية الداخلية . والانفعال كحالة وجدانية له سمات يتسم بها : فهو حالة قوية مصحوبة باضطرابات فسيولوجية حشوية بارزة تغشى أجهزة التنفس والدورة الدموية والجهاز العضلي والجهاز الغدي الهرموني . وهو حالة تبدو على الفرد بصورة مفاجئة أي بصورة لا تتيح له الفرصة على الاحتفاظ بتوازنه وتكيفه . كما تتحدد صور أزمة عابرة فلا تبقى وقتاً طويلاً . (محمد، ١٤٠٥هـ، ص ص ١٦٨-١٦٩).

٣ - العاطفة :

العاطفة في اللغة : مأخوذه من المصدر " عطف " أي مال . وعطف عليه . وفي الجمع " تعاطفوا " عطف بعضهم على بعض وثني " عطفه " عنه أي أعرض عنه . (الرازى ، ١٣٩٠ هـ ، ص ٤٤٠) .

فالعاطف في اللغة العربية : يفيد معنى الميل والاتجاه وتتابع حلقات العقل ، ويفيد أيضاً معنى من المعانى الوجدانية .

فالعاطفة في اللغة : هي الشفقة والحنو ، ثم اطلقت على جميع مظاهر الحب والكراهية والميل إلى شيء والعزوف عنه . فيقال عطف إليه أي مال ، وعطف عنه أي انصرف . فالمعنى العام للعاطفة هو : " ان العاطفة هي استعداد وجذاني للشعور بتجربة وجودانية وللقيام بسلوك معنى ازاء شيء أو شخص أو جماعة أو فكرة مجردة " . (مطابع ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٦٢) .

٤ - الحاجات :

تعريف الحاجات الوجدانية : " يقصد بال الحاجات تلك الأحوال الجسمية أو النفسية التي تجعل الفرد يحس بفقدان شيء معين يعتبر في نظره ضرورياً أو مفيداً لاتزانه الجسمى والنفسى " . (الشيبانى ، ١٣٩٣ هـ ، ص ١٢٤) .

ويتجلى مفهوم الحاجات الوجدانية في قوله تعالى :

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْنَهُمْ دِيْنُهُمُ الَّذِي أَرْضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بِعَدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥

(سورة النور : ٥٥)

وقوله تعالى : **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَخْوُفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**

(سورة يونس : ٦٢)

٥ - الضمير :

يعرف الضمير بأنه : " هو تلك القوة الروحية الخفية التي يشعر بها الإنسان في نفسه تتحثه على فعل الواجب وتحسن له ، وتشجعه عليه ، وتبعد فيه الطمأنينة والسرور عند فعل كل حسن نافع ، وتهون عليه ما يلقى من الأذى في سبيل نصرة الحق وآداء الواجب . وهي التي تصبح له القبيح ، وتوجهه على عمله ويحس وخزها وشد تبكيتها إذا طاوع هوى النفس وعصى تلك القوة ، أو قصر في أداء الواجب، ركوناً إلى الراحة ، وطمعاً في لذة قصيرة المدى . (جاد المولى ، " د. ت " ، ج ٢ ، ص ٣٠٩).

٦ - التربية الوجدانية :

وتعني إسلامياً تربية المشاعر والأحاسيس والعواطف والانفعالات والإرادة الحرة القوية، وأثر ذلك في الشخصية الإسلامية التي هي الموضوع والichel الطبيعي للتربية الإسلامية.

وال التربية الوجدانية هي التربية الموجهة من الله تعالى ورسوله لتغيير وجدان الإنسان المسلم تغييراً يتفق والأهداف المرتبطة بالرسالة الخاتمة ودور المسلمين أفراداً وجماعة في حمل منهاج الله إلى خلقه . وهي التربية التي تتناول أساساً العواطف والانفعالات خاصة والتكتونين الوجداني عاملاً . (الخولي، ١٩٨٧م، ص ٣٥٠-٤٥). و التربية الوجدانية هي التربية التي تسعى إلى تجنب الضمير عثرات الشك والخيرة والضلال والوسواس وتحرص على الحفظ على صحة الوجدان والخلولة دون أن يصاب بالخلل والتهافت والمرض والاجرام لي nisi المرء سيد نفسه ويبدع ضروب سلوكه الأخلاقي لا باتباع العادة والتقاليد الزائفة ولا الزي أو العرف وإنما بوعي ما يفعل ومعرفة الغرض الذي يرجوه بفعله . وبالقدرة على شرح عمله أو حكمه أمام أي إنسان ذكي حيادي . (العوا ، ١٩٦٩م، ص ١٨٥-١٨٦).

الدراسات السابقة :

لم تجد الباحثة خلال البحث واستقصاء المعلومات الواردة من مراكز البحوث العملية ، كمركز البحث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا وغيرها من المراكز الهامة ذات العلاقة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها لم تجد الباحثة بحثاً تحت عنوان (التربية الوجدانية في الإسلام) من حيث الموضوع كمسمى أو من حيث المحتوى ، وذلك رغم أهمية هذا الجانب في التربية .

ولدى الباحثة من الوثائق المرسلة من قبل بعض المراكز كدليل يستند إليه في إثبات صحة ذلك .

بيد أن ذلك لاينفي ظهور بعض المعاجلات الجزئية من منطلق تخصص علم النفس والتي ظهرت بعد إقرار خطة الدراسة . وهذه الدراسات إحداها تمثل (بعض ملامح السمات الوجدانية النفسية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - دراسة تحليلية مقارنة) وهي بحث منشور في مجلة كلية التربية جامعة أم القرى بعكة المكرمة للباحث عبد المنان ملا معمور بار لعام ١٤١٦هـ) .

وتهدف الدراسة إلى إبراز ملامح بعض السمات الوجدانية النفسية مثلة الانفعال - الخوف - والغضب - والحب - والكره . وهذه الدراسة توضح جوانب الالتفاء والاختلاف بين العلاج النفسي في المفهوم الإسلامي وعلم النفس الحديث البعض الجوانب ب مجال الانفعال . وفي هذا المجال قد إستفادت الدراسة الحالية من هذا الجانب في مجال الانفعالات . والدراسة تتناول الانفعالات مجال من مجالات التربية الوجدانية بشكل أكثر شمولاً وإتساعاً للجانب الإسلامي والتربوي من خلال مناقشة آراء المربين والمفكرين المسلمين فقط وليس للمقارنة ، ذلك ليتم الخروج بنظرية

الاسلام في التربية الوجدانية وهذا لاينفي الاستفادة مما ورد في تلك الدراسة فيما يتعلق بالطريقة للعلاج النفسي في المفهوم الاسلامي .

والدراسة الأخرى تتمثل (العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم والسنّة النبوية) وهي بحث منشور في المكتبة المكية بمكة المكرمة لعام ١٤١٣هـ .

وهي دراسة تهدف الى عرض الإطار النظري والعملي كأسلوب علاجي في الإرشاد النفسي وإلقاء الضوء على أثر الإيمان في تقويم الإنسان مع عرض بعض خصائص النفس الوجهة الإسلامية الصحيحة ليكون إطار عمل أساس ومنطلق إيماني للعاملين في مجال الإرشاد النفسي والتربوي . وقد اشتملت الدراسة على الموضوعات وهي :

- المركبات الإسلامية أساس لكل تشريع، القرآن الكريم-السنّة النبوية. أمثلة علاج بعض الأمراض النفسية من هدي السنّة النبوية، الأرق- الهموم والأحزان والمصائب. طبيعة التكوين الانساني في ضوء الدين الإسلامي . ومراحل التكوين الإنساني في ضوء القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة . ثم مراحل النمو الانساني- مرحلة ما قبل الولادة - مرحلة الوليد أو المهد - مرحلة سفي المهد (الرضاعة) - مرحلة المراهقة- مرحلة الرشد - مرحلة الكبر أو الشيخوخة - الموت (مرحلة انتقالية)- البرزخ - مرحلة الحياة الآخرة.

كما تضمنت الدراسة العلاقة الإرشادية العلاجية الإنسانية والخطة العلاجية- خصائص الخطة العلاجية - فيات الخطة العلاجية. ثم المعايير والضوابط الأخلاقية للخدمات التربوية والنفسية من المنظور الإسلامي .

وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسة السابقة في بعض الموضوعات المتعلقة بالنمو الانفعالي ومحور اهتمام الدراسة هو إظهار الجانب الانفعالي في كل مرحلة مرتکزاً على كيفية تكوين الانفعال في تلك المرحلة. إلا أن الدراسة الحالية تتناول مجال الانفعال

من حيث إبراز الجوانب الإيجابية والطرق التربوية لسميتها ، والجوانب السلبية والطرق التربوية لعلاجها من المنظور الإسلامي .

ييد أن ذلك لاينفي وجود بعض المعاجلات الجزئية المتراءة والتي تشغل فقراء أو فضولاً لبعض الكتب والمراجع في مجال التربية الإسلامية مثل كتاب : الاتجاه الأخلاقي في الإسلام به فقرة تحت عنوان الجزء الوجданى وفقرة بعنوان : الوجدان أو الضمير الأخلاقي . (يالجن، ١٣٩٢هـ، ص ٢٦٢-٢٨٨). وكتاب التربية الأخلاقية الإسلامية به فقرة تحت عنوان : الوسائل الوجدانية العاطفية . (يالجن ، ١٣٩٧هـ، ص ٥٦٣) . وكتاب الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خاص به فصل بعنوان الحياة الوجدانية.. انفعالات .. وعواطف . مقدمة في الحياة الوجدانية . (العثمان ، ١٤٠١هـ، ص ٤٤٩-٢٧١). وكتاب تهذيب مدارج السالكين به فقرة تحت عنوان منزلة الوجد . (ابن قيم الجوزية ، تهذيب عبد المنعم العزي، ٢١٤٠هـ، ص ٥٣١ - ٥٣٤) . وكتاب علم النفس التربوي به فقرة حول تصنيف الأهداف التربوية في الميدان الوجدانى ، وفصل تحت عنوان التعلم الوجدانى (أبو حطب ، وآمال صادق ، ١٩٨٠م، ص ٧٣ - ٧٨ ، ص ٥٢١ - ٥٤٢) . وكتاب التوجيه والارشاد النفسي به فقرة تحت عنوان مشكلات الحياة الانفعالية ولوجدانية . (الهاشمي ، ١٤٠٦هـ، ص ٨٦ - ٨٧ - ١٥١). وكتاب علم الأمراض النفسية به فقرة تحت عنوان الاستجابة الفصامية الوجدانية وفقرة تحت عنوان الاستجابات الوجدانية . (كوفيل ، والترجم وآخرون ترجمة الزايدى ، ١٤٠٧هـ، ص ٢٥٦ - ٢٦٣ - ٢٧٣) . وكتاب علم الأمراض النفسية والعقلية به فقرة تحت عنوان الاختلالات الوجدانية وفقرة تحت عنوان فصام الوجدان الفصامي . (سوين ، ريتشارد.م، ترجمة أحمد سلامة، ١٩٧٩م) ص ٦٢٠ - ٦٧٢). إلا أن طريقة التناول كانت في هذه الكتب بصورة موجزة بينما تسعى الدراسة الحالية إلى دراسة الموضوع بصورة أكثر شمولية وعمقاً وتفصيلاً في مجال تخصص التربية الإسلامية .

الفصل الثاني

مفهوم الوجودان في الإسلام

١) مفهوم الوجودان في الإسلام :

أ - مفهوم الوجودان في اللغة .

ب - مفهوم الوجودان في القرآن .

ج - مفهوم الوجودان في السنة .

د - مفهوم الوجودان عند علماء الفكر الإسلامي .

٢) التحرر الوجوداني وأهميته في الإسلام .

٣) جوانب التحرر الوجوداني في الإسلام .

أ - التحرر من الشرك .

ب - التحرر من العادات والتقاليد .

ج - التحرر من الوهم والخرافات .

٤) أساليب تقوية الجانب الوجوداني في الإسلام :

أ - زرع محبة الله .

ب - زرع محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

مفهوم الوجдан في الإسلام :

١ - مفهوم الوجدان في الإسلام :

لتوضيح الدراسة موضوع التربية الوجданية في الإسلام ، فلابد من التعرف والوقوف على مفهوم الوجدان في كل معاجم اللغة العربية والقرآن الكريم ، باعتباره المصدر الأول لمنهج التربية الإسلامية ، والسنة النبوية المطهرة وهي المفسرة للقرآن الكريم، وهي المصدر الثاني للتربية الإسلامية ، ولدى بعض علماء الفكر الإسلامي . وذلك كمهاد علمي لازم لفهم الوجدان في الإسلام . وكمدخل علمي لتناول قضايا الوجدان ، وكضرورة علمية لالقاء الضوء على تلك المفاهيم في هذا المجال . وستحاول الدراسة عرض هذه المفاهيم من وجهة نظر الإسلام مباشرة . كما ستحاول الدراسة عرض قضية التحرر الوجданى وأهميته في الإسلام . ثم بيان أساليب تقوية الجانب الوجданى في الإسلام .

والأهداف من ذكر ذلك كله هو ألا تدخل الدراسة مباشرة في مجالات التربية الوجданية في الإسلام والمتضمنة في الفصول اللاحقة لهذا الفصل .

أ - مفهوم الوجدان في اللغة :

وردت كلمة الوجدان في اللغة العربية وقواميسها بعدة ألفاظ ومعانٍ يعنى المحبة، والبغض، والغضب، والحزن، والظفر بالأمر ، والشكایة .

فوردت في اللغة أصلها كلمة مأخوذة من المصدر " وجد " . وقال ابن منظور في لسان العرب : وجد عليه في الغضب . وفي حديث الإيمان " اني سائلك فلا تجد عليّ " أي لا تغضب من سؤالي " . (ابن منظور، ١٣٨٨هـ، ص٤٤٦) . كماروي عن

شريك ابن عبد الله بن أبي غر أنه سمع أنس بن مالك يقول : بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم أيكم محمد ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متkick بين ظهرانيهم ، فقلنا هذا الرجل الأبيض المتkick ، فقال له الرجل ابن عبد المطلب ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك ، فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجده عليًّا في نفسك فقال سل عما بدارك ، فقال اسألك يربك ورب من قبلك آللله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال اللهم نعم ، قال أنشدك بالله آللله أمرك أن نصلِي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال اللهم نعم ، قال : أنشدك بالله آللله أمرك أن نصوم في هذا الشهر من السنة ؟ قال اللهم نعم ، قال أنشدك بالله آللله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقراءنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم ، فقال الرجل آمنت بما جئت به وانا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة اخوبني سعد بن بكر". (البخاري، (د.ت)، جـ١، ص٤٢-٤٥).

وأنشد اللحياني قول صخر الفي :

كلانا رد صاحبه بتأس . . . وتأنيب ووجدان شديد

فهذا في الغضب لأن صخر الفي أيأس الحمامنة من ولدها فغضبت عليه، ولأن الحمامنة أيأسه من ولده فغضبت عليها . (ابن منظور، جـ٣، ص٤٦-٤٤) .

والوجود يعني الغضب أيضاً جاء في أساس البلاغة فقال الزمخشري : وتوارد فلا أرى من نفسه الوجود . ووجد عليه موجدة : غضب عليه ، وهو واجد على صاحبه . (الزمخشري، ٤٠٤هـ، ص٦٦).

(٢٩)

والوجود بمعنى الحزن : جاء في المعجم الوسيط : وجد فلان يجد وجداً : حزن.
وتوجد لفلان : حزن له (مصطفى وأخرون، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٠٢) . ويقول ابن
منظور : ووجد في الحزن وجداً ، بالفتح ، ووجد كلاهما . عن اللحياني : حزن . وقد
ووجدت فلاناً فأنا آجد وجداً وذلك في الحزن . وتوجدت لفلان : أي حزنت عليه . (ابن
منظور ، ج ٣ ، ص ٤٤٦) .

والوجود بمعنى الشكاة جاء في تهذيب اللغة : قال ابو سعيد : توجد فلان أمر
كذا : أي شكاها . وهم لا يتواجدون سهر ليالاتهم ، ولا يشكون ما مسهم من مشقة .
(الأزهرى ، (د.ت) ، ج ١١ ، ص ١٦٠) .

والوجود بمعنى الحب : قال الزمخشري : وجد وهو آجد بفلا وعلى فلانه .
ومتوجد وجد بها وتوجد ، وله بها وجد وهو المحبة . (الزمخشري ، ص ٦٦) .

وقال ابن منظور عن الوجود بمعنى الحب وضده فيقول : الوجود بمعنى الحب
ووجد به وجداً : في الحب لا غير ، وأنه ليجد بفلانه وجداً شديداً اذا كان يهواها
ويحبها حباً شديداً . وللضد ساق حديث ابن عمر وعيينه بن حصن في ذلك المعنى :
والله ما بطنها بوالد ولا زوجها بواحد أى لأنه يحبها . (ابن منظور ، ج ٣ ، ص ٤٤٦) .

ب - مفهوم الوجودان في القرآن :

الوجودان لم يرد لفظه صريحاً في القرآن الكريم كما هو في معاجم اللغة العربية .
 وإنما ورد ضمن لفظ النفس والقلب بمعانٍ تدل على الجوانب الوجودانية .

إن لفظ النفس ورد في القرآن متضمناً الجوانب الوجودانية المختلفة باعتبار أن
النفس هي الوعاء الذي يحتوي الوجودان بمختلف أشكاله وأن النفس تدل على الإنسان

(٣٠)

ككائن حي ذي أصل واحد يتکاثر ويکسب ويستهی ويغضب ويفرح ويحزن ويحاف ويقلق ويحب ويكره وغيرها من مظاهر الانفعالات والعواطف التي تدل على المجالات المتعلقة بالوجودان .

فورد ذكر الخوف مقتناً بالنفس في القرآن في قوله تعالى :
 فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ

(سورة طه : آية ٦٧ - ٦٨)

وذكر ضبط الانفعال والعواطف في قوله تعالى :

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسَاكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَقِ اللهُ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَللَّهُ مُبِدِّيهٌ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى هُنَّا فَلَمَّا قَضَى رَبِّهِ مِنْهَا وَطَرَأَ زَوْجَنَكَهَا إِلَيْكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأَ وَكَانَ أَمْرَ اللَّهِ مَفْعُولاً

(الأحزاب : آية ٣٧)

وذكر الحزن : في قوله تعالى :

فَلَعَلَّكَ بَنْخُنْ نَفْسَكَ عَلَيْهِ أَثْرِهِمْ إِنْ لَرَبِّيُّوْ مُنْوِيْ بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا

(الكهف : آية ٦)

(٣١)

و جاء ذكر الكبير : وهو إحساس بالذات مبالغ فيه ، جاء في قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ
أَوْنَرَى رِبَّنَا الْقَدِيرَ كَبُرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَنْهُمْ عَتَّاً كَبِيرًا

(الفرقان : آية ٢١)

ويعنى الحسد وهو مظاهر الانفعالات السلبية . فقد ورد ذكر الحسد

في القرآن مقتناً بالنفس كما في قوله تعالى : وَدَكَيْرُمْتَ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْيَرْدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(البقرة : آية ١٠٩)

وجاء معنى الضمير وهو مجال من مجالات الوجود من درجاً تحت معنى النفس

كما في قوله تعالى :

إِنَّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَاحِبِينَ
فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا

(الإسراء : آية ٢٥)

وقوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْكُمْ أَنْفُسَنَا وَعَلِمْتُمُ اتُّوْسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ

(ق : آية ١٦)

والقلب في القرآن الكريم ورد ذكره وتدور أكثر معانيه حول المعنى الوجданى في الإنسان والذي هو أساس الفطرة السليمة ، - العواطف المختلفة - سواء منها التي تقوم على الجانب الإيجابي كعاطفة الحب - والرحمة - والحياة - والايشار . أو تقوم على الجوانب السلبية كالكره - والأناية - أو القسوة - أو تقوم على التوجيه والإرشاد ، وتكون محل الهدایة والإرادة والضبط . (العثمان، ١٤٠١ هـ، ص ٥٦)

فدلالة القلب على الفطرة السليمة والخلو من الأمراض والشوائب يدل عليه قوله تعالى :

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَقَى اللَّهَ بِقَلْبِهِ سَلِيمٌ

(الشعراء : آية ٨٨ - ٨٩)

ودلالة القلب على أنه تعزّيه بعض الشوائب المعصية والإثم والخيانة . يدل عليه

قوله تعالى :

**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْلَنْ مَقْبُوضَةً
فَإِنَّ أَمَنَ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا فَلَيَوْدُ الَّذِي أَوْتَمَنَ أَمْنَتْهُ وَلَيَسْتَقِ
اللَّهَ رَبُّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
أَثِيمٌ قَلْبُهُ دُوَّلَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**

(البقرة : آية ٢٨٣)

وفي جانب العواطف المختلفة كعاطفة الرحمة يدل عليه قوله تعالى :

سَمْ قَيَّسَاتِهِ عَلَىٰ أَشْرِهِمْ

**رِسُلُنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنَ مَرِيمَ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
أَبْتَدَعُوهَا مَا كَبَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُمْ رَضْوَانَ اللَّهِ فَمَا
رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَأَتَيْنَا الَّذِينَ أَمْنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنَسِقُونَ**

(الحديد : آية ٢٧)

(٣٣)

وعاطفة الرأفة في قوله تعالى : لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(التوبه : آية ١٢٨)

وقوله تعالى : وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا أَغْفِرْلَنَا
وَلَا خُوْرَنَا الَّذِينَ سَبَقُوْنَا بِالإِيمَانِ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلَالاً لِلَّذِينَ أَمْنُوا بِنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(الحشر : آية ١٠)

كما أن القلب جوهر الانفعالات النفسية فهو مكان انفعال الخوف كما يدل عليه

قوله تعالى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زادُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُوْنَ

(الأنفال : آية ٢)

وقوله تعالى : وَالَّذِينَ يَقْتُلُوْنَ مَآءِ اتَّوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُوْنَ

(المؤمنون : آية ٦٠)

والقلب جوهر الأمان والطمأنينة فهي ترجع إليه وهي مجال من المجالات الوجدانية

المتمثلة في حاجات الإنسان ، ويدل على تلك الحاجة قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّنِي كَيْفَ تُحِيِّ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ
تُؤْمِنُنَّ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَنَّ قَلْبِيٰ قَالَ فَخُذْ أَرْبِعَةَ مِنَ
الْطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَبَّانِكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(البقرة : آية ٢٦٠)

(٣٤)

وورد ذكر القلب يعبر عن معنى الانفعالات السلبية في قوله تعالى :

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ أَلِيمًا مَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

(البقرة : آية ١٠)

وقوله تعالى :

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ رِجْسًا
إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا تُؤْمِنُوا هُمْ كَافِرُونَ

(التوبة : آية ١٢٥)

جـ- مفهوم الوجدان في السنة النبوية :

السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي . وهي المفصلة لما ورد في نصوص القرآن الكريم المصدر الأول . ولأن مفهوم الوجدان لم يرد ذكره صريحاً في نصوص القرآن الكريم جاءت السنة النبوية موضحة ذلك المفهوم بلفظ صريح في عدة مواقف تعزي وجدان الفرد .

ورد مفهوم الوجدان في السنة بلفظ صريح ويتضمن عدة معانٍ كالحزن - والغضب - والغيرة .

فالوجدان بمعنى الحزن : ورد عن أسماء بنت يزيد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط رب ، ولو لا أنه وعد صادق ، وموعد جامع ، وأن الآخر منا يتبع الأول ، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً أشد ما وجدنا وأنا بك يا إبراهيم لخزونون ". (الألباني ، ١٤٠٢هـ ، ج ٣ ، ص ٣٨) . (مسلم بشرح النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٥ ، ص ٧٥) .

ويعنى الحزن : أيضاً ورد في قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى عن عبد الله بن هبيرة عن حسان بن كريب أن غلاماً توفي فوجد عليه أبواه أشد الوجد فقال شوحب صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مثل ابنك ان رجلاً من أصحابه كان له ابن قد أدب أو أدب وكان يأتي مع أبيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم أن ابنته توفي فوجد عليه أبوه قريباً من ستة أيام لا يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى فلاناً ؟ قالوا : يا رسول الله إن ابنته توفي فوجد عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان أتحب أن إبنك عندك الآن كأنشط الصبيان نشاطاً ، أتحب أن إبنك عندك أجرأ الغلمان جراءة . أتحب أن إبنك عندك كهلاً كأفضل الكهول ، أو يقال لك أدخل الجنة ثواب ما أخذ منك؟ ". (ابن حنبل ، " د - ت " ، ج ٣ ، ص ٤٦٧) (ابن حنبل ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ / ج ٥ ، ص ٣٧١) .

وجاء أيضاً لفظ الوجدان بمعنى الحزن في موطأ الإمام مالك كما روى عن يحيى بن سعد عن القاسم بن محمد أنه قال : هلكت إمرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها فقال : انه كان في بني اسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد ، وكانت له امرأة ، وكان بها معجباً ، ولها محباً فماتت فوجد عليها وجداً شديداً ، ولقي عليها أسفًا ، حتى خلا في بيت وغلق على نفسه ، واحتجب من الناس فلم يكن يدخل عليه أحد ، وان إمرأة سمعت به فجاءته ، فقالت : إن لي إليه حاجة استفتية فيها ، ليس يحزنني فيها إلا مشافهته ، فذهب الناس ولزمت بابه ، وقالت : مالي منه بد ، فقال له قائل : إنها هنا إمرأة أرادت أن تستفت بك . فقالت : إن أردت إلا مشافهته؟ . وقد ذهب الناس وهي لاتفارق الباب ، فقال : إنذروا لها فدخلت عليه . فقالت : إني جئتكم في أمر ، قال : ما هو ؟ قالت : إني استعرت من جارة لي حلية فكنت ألبسها واعيره زماناً ، ثم

أرسلوا إلى فيه ، فأوديه إليهم ؟ فقال : نعم والله ، فقالت : إنه قد مكث عندي زماناً ؟
 فقال : ذلك أحق لردىك إياه إليهم حينما اعarrow كيه زماناً ، فقالت : أي يرحمك الله :
 أفتأسف على ما أعارك الله : ثم أخذه منك وهو أحق به منك ؟ فأبصر ما كان فيه ،
 ونفعه الله بقوها " . (ابن أنس، ١٣٧٦هـ، ص ٢٣٨) .

كما ورد لفظ الوجدان في السنة النبوية المطهرة صريحاً بمعنى الغضب ، فقد
 روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 حين تأيمت حفصة بنت عمر من حنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدراً . وتوفي بالمدينة . قال عمر : فلقيت عثمان بن
 عفان . فعرضت عليه حفصة ، فقلت إن شئت انكحتك حفصة بنت عمر . فقال
 سأنظر في أمري فلبشت ليالي . فقال قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا . قال عمر
 فلقيت أبو بكر فقلت إن شئت انكحتك حفصة بنت عمر . فصمت أبو بكر فلم يرجع
 إلى شيئاً ، فكنت عليه أوجد مني على عثمان ؟ فلبشت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأنكحتها إياه / فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت عليّ حين عرضت
 على حفصة فلم أرجع إليك فيما عرضت ؟ إلا أنني قد علمت أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لافشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها
 لقبتها". (البخاري، ١٣٤٨هـ، ج ٧، ص ٢٥٤) . أيضاً ورد الوجدان بمعنى الغضب .
 كما روي عن أبي وائل عن ابن مسعود قال تكلم رجل من الأنصار كلمة فيها
 موجدة على النبي صلى الله عليه وسلم فلوددت أنني افتديت منها بكل أهل ومال .
 فقال قد آذوا موسى عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك فصبر ثم أخبر أن نبياً كذبه
 قومه وشجوه حينما جاءهم بأمر الله فقال وهو يمسح الدم عن وجهه اللهم أغفر لقومي
 فإنهم لا يعلمون " . (ابن حنبل ، ١٣٧٦هـ، ج ٣، ص ٤٥٣) .

ووردت كلمة الوجدان في السنة النبوية المطهرة بمعنى القلق وإضطراب النفس : وهو جانب من جوانب الانفعال . فروي عن قعادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي ، فأخفف من شدة وجد أمه به ". (مسلم ، " د-ت " ، ج ٢ ، ص ٤٤) .

وروي أيضاً عن سعيد عن أنس أن نبي الله عليه الصلاة والسلام قال : " إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه " . (ابن حنبل ، ج ٣ ، ص ١٠٩) .

د - مفهوم الوجدان عند علماء الفكر الإسلامي :

هناك عدة تعريفات أخرى للوجدان لدى علماء الفكر الإسلامي وهي لا تخرج عن المعاني الواردة في معاجم اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية ، ولكن ذكرها يزيد الأمروضوحاً . فمن العلماء ممن أهتم بالجانب الوجданى : أبو الحسين التوري قال الوجدان : لهيب في الاسرار ويسنح عن الشوق فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عن ذلك الوارد . (الكلاباذى ، ١٣٨٠هـ ، ص ١١٣) .

وقال بعض المتصوفين : معنى الوجد هو ما صادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة أو كشف حالة بين العبد والله عز وجل . (الكلاباذى ، ص ١١١) . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيما روي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ وتفسیر هذه الآية : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال : للمتفسرين . (الترمذى ، ١٣٨١هـ / ج ٥ ، ص ٢٩٨) .

(٣٨)

والوجود : ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد أو تكلف . وروى القشيري حكاية تدل على الوجود : قالت كانت إمرأة أبي عبد الله التزوغندي : لما كانت أيام المجاعة من الجوع ، دخل أبو عبد الله التزوغندي : لما كانت أيام المجاعة من الجوع ، دخل أبو عبد الله التزوغندي بيته ، فرأى في بيته مقدار منين - مثني ، مفرده (من) ، وجمعه أمان : وهو كيل أو ميزان وهو شرعاً ١٨٠ مثقالاً ، وعرفاً ٢٨٠ مثقالاً - حنطة ، فقال : الناس يموتون من الجوع ، وفي بيتي حنطة ، فخولط في عقله - أي غاب عن نفسه - فما كان يفتق إلا في أوقات الصلاة يصلبي الفريضة ، ثم يعود إلى حالته ، فلم يزل كذلك إلى أن مات . (القشيري ، ١٤١٠هـ ، ص ٦٤) .

فهذا الحال الذي إعترى أبو عبد الله التزوغندي هو عبارة واضحة عن الضمير الحي الذي تربى على اتباع أوامر الدين والمراقبة الدائمة لله سلوكياً المتمثلة في العدالة ، ودليل واضح عن العاطفة تجاه المجتمع المتمثلة في الشفقة والرحمة .

وقال بعض المتصوفين : الوجود هو سمع القلب وبصره . (الكلباني ، ص ١١٣) .

واستشهدوا في هذا المعنى بقولن تعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَا كُنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ لَتَّى فِي الصُّدُورِ

(سورة الحج ، آية ٤٦)

وقوله تعالى :

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ

لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ

(سورة ق : آية ٣٧)

ابن القيم الجوزية (١٤١٢هـ) عرف الوجدان حيث أرجعه إلى أصل الكلمة فيقول الوجد هو الحب الذي يتبعه الحزن ، وأكثر ما يستعمل الوجد في الحزن، يقال منه : وجد وجدًا بالفتح ونحن نذكر هذه المادة وتصاريفها يقال : وجد مطلوبة يجده وجودًا ، فإن تعلق ذلك بالضالة فهو وجدانًا . ووجد عليه في الغضب موجودة، ووجد في الحزن وجدًا بالفتح ، ووجد في المال ، أي صار واجداً وجدًا ووجدًا وجدًا بالفتح والضم والكسر وحدها إذا استغنى . أما اطلاق اسم الوجد على مجرد مطلق المحبة فغير معروف ، وإنما يطلق محبة معها فقد يوجب الحزن . (ص-٢٥-٢٦).

ففي هذا المقام اطلق ابن قيم الجوزية الوجدان على معنى الحب الذي يتبعه الحزن، وعلى ايجاد الضالة والمطلوب . إلا أن له تعريف آخر للوجدان حيث أرجعه إلى الحب المتمثل في قلب المؤمن .

وعرف ابن القيم الوجدان ان بمعنى الحب وحلوة الايمان المتمثلة في قلب المؤمن بأن يكون الله ورسوله أحب شيء إلى قلبه مما سواهما وكراهة الكفر والعودة إليه بعد أن من الله عليه بنعمة الايمان ، وكراهة الكفر والعودة إليه بعد أن من الله عليه بنعمة الايمان ، وكراهة أن يقذف في النار . (ص-٢٥-٢٦). واستشهد ابن القيم الجوزية في هذا المعنى بحديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " . (البخاري، (د. ت)، ج١، ص١٠).

وذكر ابن القيم الوجدان في مدارج السالكين فيعرفه ايضاً بأنه : هو ما يصادف القلب ويرد عليه من واردات المحبة والشوق والإجلال والتعظيم وتوابع ذلك . وهذا

(٤٠)

التعريف نقله عن الامام اهروي صاحب كتاب منازل السائرين عندما تحدث عن منزلة الوجود . واستشهد صاحب المنازل بقوله تعالى في أهل الكهف :

وَرَبَطْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَّا هُنَّا لَقَدْ قَلَنَا إِذَا شَطَطْنَا

(سورة الكهف آية : ١٤)

وهذا من أحسن الاستدلال والاستشهاد . فإن هؤلاء كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملتهم الكافر . فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته وبasher قلوبهم فقاموا من بين قومهم ، وقالوا : ربنا رب السموات والأرض " والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر بالتشبيت ، وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان ، حتى صبروا على هجران دار قومهم ، ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفرروا بدينهم إلى الكهف .

والربط على القلب : عكس الخذلان ، فالخذلان : حلء من رباط التوفيق فيغفل عن ذكر ربه . ويتبع هواه ويصير أمره فرطاً . كما أن الربط على القلب : شده برباط التوفيق فيتصل بذلك ربه ويتبع مرضاته ويجتمع عليه شمله . فلهذا استشهد عليه بهذه الآية . (ابن قيم الجوزية، ١٤١٠هـ، ج ٣، ص ٦٨) .

والإمام ابن القيم له رأي آخر في الوجدان حيث يفرق بينه وبين الحقد فيقول: والفرق بين الموجدة والحدق أن الوجد هو الاحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك النفس في رفعه فهو كمال . وأما الحقد إضمار الشر وتوقعه لكل وقت فيمن وجدت عليه

(٤١)

فلا يذليل القلب أثره . وفرق آخر وهو أن الموجدة لما ينالك منه ، والخقد لما يناله منك، فالموجدة وجود ما نالك من أذاه ، والخقد توقع وجود ما يناله من المقابلة ، فالموجدة سريعة الزوال والحق بطي الزوال يجيء مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس ودخانها عليه بخلاف الموجدة فانها تكون مع قوته وصلابته وقوه نوره واحساسه . (ابن قيم الجوزية، (د . ت) ، ص ٢٥١).

وابن قدامة المقدسي (١٣٩٨هـ) : لم يضع تعريفاً واضحاً ومحدداً للوجدان وإنما طالب بدراسة الوجدان حيث يقول في علم المعاملة : فأما علم المعاملة وهو علم أحوال القلب ، كالخوف ، والرجاء ، والرضى والصدق والاخلاص وغير ذلك ، فهذا العلم ارتفع به كبار العلماء ، وبتحقيقه إشتهرت أذكارهم . ويقول : وإنما احبطت رتبة المسلمين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات ، لتشاغلهم بصور العلم من غير أخذ على النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاءه .

ويقول : إن تجد الفقيه يتكلم في الظهار واللعن والسبق والرمي ويفسر ع التفريعات التي تغضي الدهور فيها ولا يحتاج إلى مسألة منها ، ولا يتكلم في الإخلاص ، ولا بخدر من الرياء ، وهذا عليه فرض عين ، لأن في إهماله هلاكه . (ص ١٨).

وابن قدامة يأمر باصلاح الباطن ، ويحذر من إهمال إصلاح الوجدان حيث يقول: إياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، واشتغل بإصلاح باطنك وتطهيره من الصفات الذميمة ، كالحرس ، والحسد ، والرياء ، والعجب، قبل إصلاح ظاهرك . (ص ٢٠).

أما ابن عطاء السكندري (١٩٦٩م) ، فقد حدد أهم الوسائل لتربية الوجدان الخلقي :، فقال هي أولاً اقتناع المتعلم بفكره التخلص من الصفات الذميمة للوصول

إلى الله سبحانه وتعالى ، ثم البحث عن الصفات الذميمة في النفس وبعد ذلك إصطناع الضروب المختلفة من السلوك للتخلص من تلك الصفات . (ياجن ، ١٣٩٧هـ ، ص ٥٧٣) .

كما ورد مفهوم الوجدان لدى علماء الفكر التربوي في الوقت الحاضر .

عادل العوا (١٣٨٠هـ) - يعرف الوجدان : أنه هو الحاكم الذي بيده القول الفصل وهو آخر مرجع يلجأ الفرد إليه وكأن ليس في التخلق سوى واجب واحد هو إطاعة الوجدان والخضوع لأوامره والتقييد بأحكامه . ويقول أيضاً : إن الوجدان أمر ملزم وتلك صفة بديهية يشعر بها كل ذي وجдан مرهف يقظ شعوراً حسرياً وهذا الازمام ضرورة نفس إرادتنا ومقاصدنا وربما جاز التخلص من الزمام الوجدان من الناحية المادية ولكن من الحال أن يتخلص المرء من وجданه في أعماق نفسه . (٤٢ - ٤٨) .

ومحمد الفقي (١٣٩٠هـ) يعرف الوجدان فيقول : إنه كلمة تشمل جميع الأحوال النفسية التي يقوى فيها شعور الإنسان بما يصبحها من لذة وألم . فالجحود والعطش والحب والبغض والسرور والحزن واليأس والرجاء كلها وجدانات تصل إلى النفس فتححدث بها لذة أو ألمًا ، وهي وإن كانت مشوبة بنوع من التفكير والإرادة لا تدرج في علم النفس إلا تحت مظهر الوجدان وفي ظل هذه الناحية لأن المظهر الذي يغلب فيها ويسود على غيره من المظاهر الأخرى ولذلك نسبت إليه ولم تنسب لغيره من المظهرين الباقين . (ص ٥٧) .

ومحمد جاد المولى (د.ت) يعرف الوجدان بعامة : أنه تلك القوة الروحية الخفية التي يشعر بها الإنسان في نفسه تحثه على فعل الواجب وتحسن له ، وتشجعه عليه ، وتبعث فيه الطمأنينة والسرور عند فعل كل حسن نافع ، وتهون عليه ما يلقى من الأذى

في سبيل نصرة الحق وأداء الواجب ، وهي التي تُبَح لـه القبيح ، وتُوجَّه على عمله ويحس وخذها وشدة تبكيتها إذا طاوع هو النفس وعصى تلك القوة أو قصر في أداء الواجب ركوناً إلى الراحة وطمعاً في لذة قصيرة المدى . وتلك القوى يعبر عنها بالنفس اللوامة . (ج ٢، ص ٣٠٩) .

وأحمد أمين (١٩٦٩م)، يعرِف الوجودان بعامة : أنه قوة في أعماق نفس الإنسان يلاحظها تحدُّره من فعل الشر إذا أغريَ به وتحاول أن تصده عن فعله . فإذا هو أصر على عمله وأنخذ يفعل أحسن بعدم الإرتياح أثناء الفعل لعصيَّانه تلك القوة . حتى إذا أتم العمل أخذت هذه القوة توجَّه على الاتيان به وأخذ يندم على ما فعل . كذلك يحس بأن هذه القوة تأمره بفعل الواجب ، فإذا بدأ في عمله شجعته على الاستقرار فيه ، فإذا انتهى منه شعر بارتياح وسرور ، وبرفعة نفسه وعظمتها . (ص ٦٨) .

ويعرف محمد تقى : فلسيفي الوجودان : فيقول أن الوجودان عبارة عن القوة المدركة في النفس الإنسانية ، والوجودانيات هي الحقائق التي يدركها الوجودان . ولا بد من الاستفادة من القوتين الفطريتين الأولى " الوجودان الطبيعي " في عمليات التربية الإيمانية والأخلاقية وهما فطرة المعرفة والأخرى فطرة تمييز الخير من الشر وتسمى الأولى بالوجودان التوحيدى ، والثانية بالوجودان الأخلاقي . (ج ١، ص ٢٥١) .

والوجودان التوحيدى يقول عنه هو إدراك جميع الشعوب والأمم – من أي طبقة كانوا – بفطرتهم الطبيعية ووجودانهم الباطنى أن هناك قوة لا محدودة وقدرة عظيمة غير خاضعة للتغيرات تسيطر على الكون . تلك الحقيقة التي يدركها كل إنسان هي الله تعالى ، وتلك القوة المدركة الموجودة في باطن كل فرد والتي تدلنا على هذه الحقيقة هي الوجودان التوحيدى . (فلسيفي، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ٢٥٢) .

(٤٤)

قال تعالى :

وَإِذَا أَخْذَ رَبَّكَ مِنْ بَنِي إِعَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذَرِيهِمْ وَأَشَهَدُهُمْ
عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلِّي شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُ أَيُومَ
الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ

(الأعراف آية : ١٧٢)

وقال تعالى :

وَإِذَا أَغْشَيْهِمْ مَوْجٌ
كَالظَّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فِيمِنْهُمْ مُّقْنِصُدُ وَمَا يَحْدِثُ يَا يَسِّنَا إِلَّا كُلُّ خَتَارٍ كَفُورٍ

(لقمان آية : ٣٢)

وأما الوجدان الأخلاقي : فهو عبارة عن القوة المدركة المودعة في باطن كل فرد
والتي تميز الخير من الشر يوجد في باطن جميع الأفراد من مختلف الشعوب والأقوام قوة
مدركة مستترة يستطعون بها إدراك كثير من الأمور الصالحة والفاسدة من دون حاجة
إلى معلم أو مرب أو كتاب أو مدرسة ... هذه القوة المدركة تسمى عند علماء النفس
بالوجودان الأخلاقي .

فالوجودان الأخلاقي له أساس فطري وأنه داخل في بناء الإنسان وكيانه . (ج ١ ،

ص ٢٥٢)

(٤٥)

ويشير محمد تقي فلسي إلى أن الوجودان الأخلاقي أو القوة المدركة الباطنة التي تميز الخير من الشر لم يرد تسميتها في القرآن أو السنة تسمية صريحة إنما ورد بعبارة أخرى . (ج ١ ، ص ٥٧٧) .

وذكر في هذا الصدد عدة آيات تبين العبارات التي تدل عليها مثل قوله تعالى :

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَمَاءِ

(القيمة : ١ - ٢)

وقوله تعالى :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنَهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فِجُورَهَا وَتَقْوَنَهَا

(سورة الشمس : ٧ - ٨)

وقوله تعالى :

إِوْهَدَيْنَاهُ النَّجَدَيْنَ

(سورة البلد : ١٠)

واعتمد محمد تقي فلسي في توضيح هذه الآيات على تفسير البرهان لكن الباحثة ترى أن ما ذكر في تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي أكثر شمولية وإيضاحاً . لذا سوف تذكر الدراسة الآيات الواردة في هذا المجال بتفسير القرطبي .

فقوله تعالى :

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَمَاءِ

(القيمة ، ١ - ٢)

أي نفس المؤمن الذي لاتراه إلا يلوم نفسه ، فيقول ما أردت بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاقب نفسه .

قال ابن عباس : قال الحسن هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلامي ؟ ما أردت بأكلني ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ . والفاجر لا يحاسب نفسه . وقال مجاهد : هي التي تلوم على ما فات ، وتقديم فتلوم نفسها على الشر لم فعلته ، وعلى الخير لم لاتسكنه . وقيل إنها ذات اللوم فعلى هذه الوجوه تكون اللؤامة . بمعنى الملائمة وهو صفة مدح . وفي بعض التفسير : انه آدم عليه السلام لم يزل دائمًا لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة ، وقيل : اللؤامة بمعنى المولدة المذمومة - عن ابن عباس - في صفة ذم : وقال مقاتل : هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر على ما فرط في جنب الله وقال الفراء : ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها ، فاحسن يلوم نفسه إن لو كان ازداد إحساناً والمسيء يلوم نفسه إلا يكون أرعوي عن اساعته . (القرطبي، ١٩٦٧م، ج ١٩، ص ٩٣) .

فالإنسان عند ارتكابه لذنب يسمع نداء اللوم والعتاب ينبعث من باطنه فيؤرقه وهذا ما يسميه علماء النفس في الوقت الحاضر بالوجودان الأخلاقي أي إطلاعه الوجودان الأخلاقي على القوة الداخلية التي تلوم الإنسان والتي يسميتها القرآن بالنفس اللؤامة وهي في حقيقتها روح الإنسان وجزء من هيكل تكوينه الداخلي والتي وجدت مع وجود وتكوين أبي البشر آدم عليه السلام .

أيضاً ورد في قوله تعالى :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنَهَا ﴿٧﴾ فَأَهْمَمَهَا بِجُورِهَا وَنَقْوَنَهَا
(الشمس : ٧ - ٨)

عن مجاهد : أَيْ عَرَفَهَا طَرِيقُ الْفَجُورِ وَالتَّقْوَى ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا : عَرَفَهَا الطَّاعَةُ وَالْمُعْصِيَةُ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَهُ خَيْرًا ، أَهْمَهُ الْخَيْرُ فَعَمِلَ بِهِ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ السُّوءَ ، الْهَمَةُ الشَّرِّ فَعَمِلَ بِهِ ، وَقَالَ الْفَرَاءُ : " فَاهْمُهَا " عَرَفَهَا طَرِيقُ الْخَيْرِ وَطَرِيقُ الشَّرِّ ، كَمَا قَالَ : " وَهَدِينَاهُ الْجَدِيدُنَّ " (الْبَلْدُ : ١٠) . وَرَوَى الْفَضَّاحُكُ عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَهْمَمُ الْمُؤْمِنِ التَّقْيَى تَقْوَاهُ ، وَأَهْمَمُ الْفَاجِرِ فَجُورُهُ . وَعَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : بَيْنَ هَذِهِ فَجُورُهَا وَتَقْوَاهَا : وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ . وَرَوَى عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ : قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَاهْمُهَا فَجُورُهَا وَتَقْوَاهَا " (الشَّمْسُ : ٨) . قَالَ : " اللَّهُمَّ أَتَ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيَهَا وَمُوَلَّهَا " وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيِّ " قَالَ : قَالَ لِي عُمَرَ بْنَ حَصَّينَ : أَرَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، وَيَكْدُحُونَ فِيهِ ، أَشَيْءُ قُضِيَ وَمُضِي عَلَيْهِمْ مِنْ قَدْرِ سَبْقٍ ، أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مَا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ، وَثَبَّتَتِ الْحِجَةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَلَّتْ : بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ ، وَمُضِي عَلَيْهِمْ ، قَالَ فَقَالَ : أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا ؟ قَالَ : فَفَزَعَتْ مِنْ ذَلِكَ فَرْعَأُ شَدِيدًا ، وَقَلَّتْ : كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكُ يَدِهِ ، فَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ . فَقَالَ لِي : يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أَرِدْ بِمَا سَأَلْتَكَ إِلَّا حِرْزَ عَقْلِكَ . – أَيْ لَا مَتْحَنْ عَقْلَكَ وَفَهْمَكَ وَمَعْرِفَتَكَ – إِنْ رَجُلًا مِنْ مَرْيَةِ أَتَيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ، أَرَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدُحُونَ فِيهِ : أَشَيْءُ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمُضِي فِيهِمْ مِنْ قَدْرِ سَبْقٍ ، أَوْ بَيْنَمَا يَسْتَقْبِلُونَ بِهِ مَا آتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ . وَثَبَّتَتِ الْحِجَةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ : لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمُضِي فِيهِمْ . وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَهْمَمُهَا فَجُورُهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ . (القرطبي ، ١٩٦٧، ج٢، ص٧٦).

(٤٨)

وقوله تعالى :

وَهَدَيْنَا النَّجَدَيْنِ

(البلد : ١٠) .

أي بینا له طریق الخیر والشر ، والهدی والضلال ، لیسلک طریق السعادۃ ،
ويتجھ طریق الشقاوة . قال ابن مسعود : " النجذین " الخیر والشر . (الصابونی ،
١٤٠٢ھـ، ج ٣، ص ٥٦٢) . کقوله تعالى :

إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

(الإنسان : ٣) .

أي بینا للإنسان وعرفناه طریق الهدی والضلال ، الخیر والشر ، ببعثة الرسل ،
وإنزال الكتب ... أخبر تعالى أنه بعد أن رکبه وأعطاه الخواص الظاهرة والباطنة ، وبين
له سبیل الهدی والضلال ومنحه العقل وترك له حریة الاختیار ، ثم هو بعد ذلك إما أن
يشکر ، أو يکفر ، وهذا قال بعده : إما شاکرًا وإما کفورًا " أي إما يكون مؤمناً
شاکرًا لنعمة الله فیسلک سبیل الخیر والطاعة وإما يكون فاجراً فيکفر بنعمة الله
ویسلک سبیل الشر . (الصابونی ، ١٤٠٢ھـ، ج ٣، ص ٤٩٢) .

ويستفاد من ذکر الله تعالى للهداية الى الخیر والشر عند بيان تکوین الإنسان
وبعد ذکر نعمة العین واللسان والشفة ، ان إدراك الخیر والشر أمر فطري في الإنسان
ويكون جزاءاً من بنائه حيث يقول الله تعالى :

الَّذِي جَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَا النَّجَدَيْنِ

(البلد : آیة ٨-١٠)

كما أن كلمة الإلهام بالنسبة إلى خلق النفس الإنسانية أن القوة المدركة للخير والشر هي من الإفاضات الإلهية من خلقه للإنسان وهي كلها . (فلسفى ، جـ ١ ، ص ٢٧٨) .

وكلمة سواها في قوله تعالى ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّا هُنَّا ﴾ تدل على أصلة الخير . وأن بعض الكلمات الدالة على الخير إن كان فيها معنى السلبية إلا أنها حين التأمل فيها نجدها لا تخرج على القاعدة التي تنص على فطرية الخير في الإنسان بل تؤكدها . فالإصلاح إنما يكون للشيء الفاسد والتوبة والأوبة رجوع عن الشر . فالإصلاح إزالة للفساد وعود إلى الأمر الطبيعي . والتوبة والأوبة رجوع عن طريق الشر إلى الطريق الطبيعي . كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَاهَا ﴾ فالذى يفسد هو الأمر السليم كما أن الكلمات المعبر بها عن الشر تدل كلها تقريراً على أن الشر ليس شيئاً أصيلاً ، وإنما هو انحراف عن الخير وتغيير وتبديل له على أن الكلمات المعبر بها عن الخير ليس فيها ما يدل على الزيادة والإغفاء والمحافظة على خير أصيل . (شيخ إدريس، ١٣٩٧هـ، العدد ١٢٤، ص ٧٤) .

والذي يستنتج من النصوص السالفة الذكر أن الإسلام يعتبر إدراك الخير والشر فطرياً عند الإنسان ، لكن يجب أن نعلم أنه لا يتسعى للإنسان إدراك جميع أوجه الخير والشر بالصورة الفطرية ، وإلا فائي ضرورة في إرسال الأنبياء ؟ ذلك أن الجانب الفطري من هذه الإدراكات منحصر في المسلمات الأولية للخير والشر أو الفضائل والرذائل ، ويبقى جانب من هذه الإدراكات يحتاج فيها الإنسان إلى التعليم والاقتباس . (شيخ إدريس ، ص ٧٢) . فإذا كان إدراك الخير والشر يتم عن طريقين : الفطرة والتربيـة . فهناك طائفة من الأمور الخيرة والشريرة تدركها جميع الشعوب والأمم في العالم ولا

تحتاج في فهمها إلى معلم بل إنها من الأمور الفطرية عندهم - وطائفة أخرى من الخيرات والشرور ، لا يدركها الإنسان بفطرته بل إن الأنبياء - القائمين على تربية البشرية - هم الذين علمونا حسنها أو قبيحها . (فلسفي، جـ١، ص ٢٧٩) . وبالتالي انتقل هذا الدور إلى الأسرة والمدرسة وسائر مؤسسات المجتمع . وهذا ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : فيما روي عن أبي هريرة : " قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جماعه ، هل تحسون فيها من جدعاء" ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه فطرا الله التي فطر الناس عليها لاتبديل خلق الله ذلك الدين القيم " [. (البخاري ، ١٣١٣هـ، جـ٢، ص ١١٨) .

فالأساسيات لا تحتاج إلى تربية أو تعليم فيتعلمها الإنسان بالفطرة . فجملة المباديء تحتاج إلى تربية . والتربية تقوى الفطرة وتقوى الإيمان في النفس . والأخلاق تحافظ عليها ، لكن التفاصيل يتعلمها الإنسان بالتربية .

ويعرف عادل العوا (١٣٨٠هـ) : التربية الوجданية أنها " هي التي تسعى إلى تحجب الضمير عشرات الشك والخيرة والضلال والوسواس وتحرص على الحفظ على صحة الوجدان والخيلولة دون أن يصاب بالخلل والتهافت والمرض والاجرام ليensi المرء سيد نفسه ويبدع ضروب سلوكه الأخلاقي لا باتباع العادة والتقاليد الزائفة ولا الزي ولا الأنماذج أو العرف وإنما بوعي ما يفعل ويعبرة الفرض الذي يرجوه بفعله وبالقدرة على شرح عمله أو حكمه أمام أي إنسان ذكي حيادي . (العوا، ص ١٨٥-١٨٦) .

ويعرف العوا تربية الوجدان فيقول تربية الوجدان تهدف إلى تحرير المرء من أسر غرائزه وأهوائه الدنيا ، ورغباته الجامحة ، وتحسين الكيان الانساني فيه وفي الآخرين

وحيثه على الخلاص من مساويء الأثرة والخذل ، والعمل على زيادة التفاهم والتعاون ليلتقي البشر بسلوكهم الأخلاقي الحر المبتكر بالتقاء القيم الفكرية والبدعية والأخلاقية في ذروة التقديم الأصيل ، والتكافل اللانهائي . (العوا ، ص ٨٥ - ٨٦).

ويعرف عبد البديع الخولي (١٩٧٩م) : التربية الوجدانية : فيقول التربية الوجدانية كما نعنيها هي التربية الموجهة من الله تعالى ورسوله لتغيير وجدان الإنسان المسلم تغييراً يتفق والأهداف المرتبطة بالرسالة الخاتمة والدور الذي يقوم به المسلمون، أفراداً وجماعة في حمل منهاج الله إلى خلقه .

وهي التربية التي تتناول أساساً العواطف والانفعالات خاصة والتكون الوجداني عامة.

وال التربية الوجدانية تعني إسلامياً تربية المشاعر والأحساس والعواطف والانفعالات والإرادة الحرة القوية ، وأثر ذلك في الشخصية الإسلامية التي هي الموضوع والحقول الطبيعي للتربية الإسلامية . (الخولي ، ص ٣٥٠ - ٤٥٠).

٢ - التحرر الوجداني وأهميته في الإسلام :

التحرر الوجداني : هو عبارة عن الاصلاح والتطهير والتنمية . والتحرر عملية تقوم بانتزاع ما هو غير مرغوب فيه وتعزيز ما هو مرغوب به . فهو تعديل للسلوك كما هو بلغة التربية . (الكيلاني، ١٤٠٥هـ، ص ٤١).

فللوجودان منزلة كبيرة في حياة الفرد والمجتمع . فهو الذي يكسب الأعمال والتجارب قوة التشويق إلى الاستئهاض إلى العمل المصلح الجاد . وهو الذي يحبب الفرد والمجتمع في الحياة ويرغب فيها بما يملأ به النفوس من عظيم الأمل وكبير الرجاء: " لولا الأمل ما كان العمل " .

وهذه هي قيمة الوجدان في ذاته . وله فوق ذلك منزلة وقيمة أخرى من ناحية ارتباطه بالظاهرين الآخرين ، فهو ولاشك عامل هام من عوامل ارتقاء الفكر ونشاطه، وإليه يرجع السر في التشويق الذي ينشط القوى الفكرية ويرشدتها إلى بذل مجدها.

(الفقي، ١٣٩٠هـ، ص ٥٧ - ٥٨) .

وتكمّن أهمية التربية الوجدانية في الإسلام في ترقية المشاعر وتهذيب النفس بحيث يسلك الفرد سلوكاً سوياً فيفعل الخير لأنّه خير فقط وإنما لأنّ نفسه توّاقة إليه تستطيه وتستعدبه . (الخلوي، ١٩٨٧م، ص ٣٥٠) . وكثير من آيات القرآن الكريم ما توضح ذلك ، وكما قال تعالى :

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(التوبه : ١٢٨)

فهذه الآية تدل على أهمية الوجدان وتحدث عن وجدان الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه العظيمة التي منها أنه عليه السلام يعز عليه الشيء الذي يعتن به أمتة: أي فيه مشقة عليهم ، فشرعيته سهلة لم يشدد على أمته ولم يلزمهم بما يصعب عليهم . (ابن كثير، ٤١٤٠هـ، ج ٢، ص ١٨٠) . فهو حريص على هدايتهم إلى الطريق المؤدي إلى الخير "الجنة" وابتعادهم عن الطريق المؤدي إلى الشر "النار" كما روى عبد الله بن محمد الخزاعي قال سمعت عمر بن علي يقول : سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول : في قوله عز وجل ﷺ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﷺ قال : ان تدخلوا النار ، و "حرirsch عليكم" أن تدخلوا الجنة "بالمؤمنين"

رؤوف رحيم " الرؤوف البالغ في الرأفة والشفقة واللين واللطف . (القرطبي، ١٩٦٥م، جـ٢، ص ٣٠٢) .

فالآية الكريمة تصور مشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه المؤمنين شفقة ورحمة ورأفة وحرضاً على ما ينفعهم . وهذا هو النموذج الرفيع لما يجب أن يكون عليه المسلم وجداً وخلقًا أسوة به صلى الله عليه وسلم . (الخولي ، ١٩٧٩م، ص ٤١ - ٤٢) . الذي تربى على منهج الله ليكون كذلك لأمته في نقاء الوجدان وأنه أمر ضروري يدل عليه حادثة شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صغير ليحرره مما يلوث الوجدان حيث بعث الله سبحانه وتعالى ملائكة السماء لتنقية قلبه . فقد ورد في السيرة النبوية لابن هشام قال : " قال ابن إسحاق حدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معان الكلاعي . ان نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم . أنا دعوة أبي إبراهيم وبشري أخي عيسى ، ورأت أمي حين حلت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت فيبني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخي لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا ، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بسطت من ذهب مملوقة ثلجاً ، ثم أخذاني فشقا بطني ، واستخرج جا قلبي فشقاه ، فاستخرج جا منه علقة سوداء فطرحها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلوج حتى انقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته ، فوزنني بهم فوزنهم ، ثم قال : زنه بائفة من أمته ، فوزنني بهم فوزنهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بهم فوزنهم ، فقال : دعه عنك ، فهو الله لو وزنته بأمته لوزنها . (ابن هشام، ١٣٥٥هـ، جـ١، ص ١٧٥ - ١٧٦) .

وزاد الطبرى بعد هذا : " قال ثم ضموني الى صدورهم ، وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا : يا حبيب ، لم ترع ، إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لفتر عينك " (ابن هشام، (د . ت) ، ج ١، ص ١٧٦) .

فهذا يدل على أن الوجدان قابل للتهذيب . كما يدل منزلته الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع . فأول ما تقوم به التربية الإسلامية هو تطهير الوجدان من جميع الرذائل والإرادات الشريرة . ومن ثم تنمية الروح الأخلاقية المتأصلة وتنمية فروعات الخير بقوية دوافع العمل الصالح .

لذا كان أول جانب قامت عليه التربية الموجهة من الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم هو تربية وجدانه وذلك عن طريق تنقيته من الشوائب، باخراج العلقة السوداء من قلبه وغسله . تنقيته تنمية كاملة لأجل حمل منهاج الله إلى الأمة واعداده للرسالة المنوطة إليه .

فالمنهج الإسلامي في تحرير الوجدان يأخذ جانبي الإخلاص : وهو التطهير الداخلي من الشوائب والشرك والخرافات والعادات والتقاليد البالية والسحر وما إلى ذلك .

وجانب آخر وهو الإخلاص ، إحلال العقيدة الصحيحة في الوجدان . وخير دليل على ذلك الآذان الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذن الوليد ساعة ولادته يعتبر أولى الخطوات في عملية الإخلاص .

وقواعد التحرر الوجданى تتجلى في الخطوات الآتية :

- ١) بذل الجهد في عملية التحرر وعملية الإخلاص التي تتطلب مجاهدة النفس من الداخل في عدم اتباع خطوات الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر والشيء منها

(٥٥)

الحسد والكبير . (حوى ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٧٦) . فالحسد والكبير صفة متصلة في الشيطان حيث حسد سيدنا آدم وأخرجه من الجنة كما حلف بعزة الله وجلاله أن يخرج ذرية سيدنا آدم من الجنة بغوایتهم . كما قال تعالى :

فَأَلْرَبَّنِي
﴿ ٢٩ ﴾ أَغْوَيْنِي لَا زَرَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُوَيْنِهِمْ أَجْمَعِينَ
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

(الحجر : ٣٩ - ٤٠)

وكما حسد آدم عليه السلام وحلف بغوایة ذريته لم يكتفي بذلك بل ظهرت له صفة الكبر حيث تكبر عن السجود لآدم كما قال تعالى في كتابه الكريم في

العديد من الآيات - قال تعالى :
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلِئَكَةِ اسْتَجَدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبْنَى وَاسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ

(البقرة : آية ٣٤)

وقال تعالى :
أَفَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿ ٧٦ ﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
فَقَالَ يَقُولُ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقَتْ بِيَدِي أَسْتَكَبْرَتْ أَنْ كُنْتَ
مِنَ الْعَالِمِينَ

(سورة ص : آية ٧٣ - ٧٥)

(٥٦)

٢) كما يكون بذل الجهد في التحرر من الانتقام عمن أساء إلينا كما أمرنا الله بذلك

وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
في قوله تعالى :

وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَى وَالْمَسَكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا تَجُنُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ عَفُورٌ حَمِيمٌ

(سورة النور : آية ٤٤)

فالآية نزلت في الحديث عن مسطوح بن اثناء الذي كان ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه والذي خاض في الافك فمنع عنه أبو بكر الرفادة فجاءت الآية واعظة، وفاء ابو بكر الى سيرته (ابن كثير، ط٧، ١٤٠٢ هـ، ج٢، ص٥٩٣) وأيضاً

كما قال تعالى :
الَّذِينَ يُفْقِدُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَاءِ وَالْكَظِيمَيْنِ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ
عَنِ الْشَّაسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(آل عمران : آية ١٣٤)

٣) ومن الأمور التي ينبغي مراعاتها عند بذل جهد التحرر مجاهدة النفس الأمارة بالسوء يامساك اللسان عن الأعراض وترك المشاركة في كل ما يؤذى الغير كاشاعة الفاحشة ، وعدم السير في طريق ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر .

(حوى، ١٤٠٣ هـ، ص ١٧٦).

لأن الإسلام قد حذر منها لأنها تثير الحقد والكرابة بين الناس فيصاب المجتمع

بالأمراض الوجدانية المتمثلة في أمراض القلوب . فقال تعالى :
إِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَنْ تُشَيَّعَ الْفَحْشَةُ فِي الْأَذْيَنِ إِنَّمَا يُؤْهِمُهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(النور : آية ١٩)

٤) ومن القواعد التي ينبغي مراعاتها في عملية التحرر الوجданى سؤال الله سبحانه وتعالى طلب العون منه في عملية مقاومة مداخل الشيطان وغوايته بطلب العون من الله والدعاة المستمر بتثبيت الوجدان على الإيمان به وحده سبحانه وتعالى وسؤاله البعد عن الشرك . كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه فيماروى عن التواب بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك" (الألباني، ١٤٠٢هـ، ج ١، ص ٢٠٩) . وقوله صلى الله عليه وسلم : "اللهم آت نفسي تقوها وزكها أنت خير من زكاها أنت ولها ومولاها" . (ابن حنبل، ١٤١٤هـ، ج ٩، ص ٣٨٠) .

فطلب العون من الله سبحانه وتعالى ضروري في تحرر الوجدان من الشرك ذلك لأنه بيده تعالى وحده تغيير الوجدان كما روي عن الحسن، أن عائشة قالت : دعوات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرش يدعوا بها : "يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" . قالت : فقلت : يا رسول الله ، إنك تكرش تدعوا بهذا الدعاء ؟ فقال : "إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله - عز وجل - فإن شاء أزاغه ، وإذا شاء أقامه" . (ابن حنبل، ج ٩، ص ٣٨٠-٣٨١) .

فالله سبحانه وتعالى بيده القدرة على تغيير الوجدان وله الفضل في ذلك وحده .

كما أشار في قوله تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعُ
خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ بِأَعْمَلٍ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَرَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَ اللَّهُ يُنْزِكُ
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ

(النور : آية ٢١)

٣ - جوانب التحرر الوجданى في الإسلام :

اهتم الإسلام بعدة جوانب كانت متصلة في وجدان الفرد مفورة فيه في أيام الجاهلية وتوارثهما عن أجداده .

وهذه الجوانب لها خطورتها على سلوك الفرد وعلى علاقاته بالآخرين وهي :

أ - التحرر من الشرك :

يعتبر هذا الجانب من الجوانب الأولى التي امتلكت عقول وقلوب العرب في شبه الجزيرة العربية الشرك الذي يعتبر أولى الخرافات والمعتقدات الباطلة حيث سار الأبناء على نهج الآباء . دون التفكير في حقيقة الأصنام أنها من الخرافات التي تطمس القلوب وتهلك صاحبها وتوقعه في الشر . فقط كان تفكيرهم في تقليد الآباء ظناً منهم أن ذلك جانب من جوانب حب الآباء وإن ذلك هو الطريق الذي يتبع كما قالوا فيما ورد في

قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيبَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُرْفُوهاً
إِنَّا وَجَدْنَا إِبَاءَ نَأْعَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ إِشْرِهِمْ مُقْتَدُونَ

(الزخرف آية : ٤٣)

فالشرك هو أن يجعل الله شريكاً في ربوبيته غير الله على عبادته ، والإيمان بالله وبغيره وهو الألوهية والتي تمثل في عدم اخلاص العبادة لله وحده لاشريك له وعدم إتباع ما انزله الله تعالى فصاروا بذلك مشركين . (جواد علي ، ج٦ ، ص ٣٤).

والشرك يتمثل فيه الجانب الوجданى تجاه هذه الألهة الباطلة . لأن منشأ العبادة هو الحب والتقدير والخوف والاجلال والايشار . ولأنهم يعتقدون أن هذه الألهة تضر وتنفع وأن لها القدرة على الحماية والدفاع . (جواد علي ، ١٩٧٠ م ، ج٦ ، ص ٤٧٤) .

فبهذا الشرك ضاعت عقوفهم وضاعت نفوسهم وضاعت هويتهم فأصبحوا عبيداً هذه الألهة فقدوا علاقتهم ما بين الكون وبينهم ، وعلاقتهم ببعضهم ، بل فقدوا علاقتهم بأنفسهم وذلك لفقدتهم وضياعهم للرابطة بالله تعالى وهي أساس العلاقات والوجهة لها .

ولقد بدأ الإسلام بتحرير وجدان الإنسان من الشرك من عبادة أحد غير الله، ومن الخضوع لأحد غيره . فما لأحد عليه غير الله من سلطان ، وما من أحد يحييه أو يحييه إلا الله ، وما من أحد يملك له ضراً ولا نفعاً إلا الله وما من أحد يرزقه من شيء في الأرض ولا في السماء إلا الله وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع والله وحده هو الذي يستطيع ذلك ، والكل سواه عبيد ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً ينفعهم أو يضرهم . (قطب، سيد، ١٤٠٠هـ، ص ٤٢) . كما قال تعالى :

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ أَللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُواً أَحَدٌ
وَلَمْ يُوْلَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُواً أَحَدٌ

(سورة الإخلاص)

إذا استقر توحيد الله وعبادته في الوجود وإنجحه جميع الأفراد إليه فلا عبادة لسواه ولا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ولا يكون لأحد منهم فضل أو منه إلا بالقوى .

ولما كان الأنبياء هم مظنة أن يتوجه اليهم الناس بشيء من العبادة ، أو ما في معناها على وجه من الوجوه فقد عني الإسلام بتحرير وجدان البشرية من هذه الناحية تحريراً كاملاً . (قطب، سيد، ١٤٠٠هـ، ص ٤٢) .

ويحدث الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء . فقال تعالى عن حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم :

وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ فَمَا دَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّمَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَبِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَيَّ عِقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ
اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ أَلْشَكِيرِينَ

آل عمران : ١٤٤ .

ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم صراحة بحقيقة موقفه فيقول :

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِوْ تَوَبْ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ

آل عمران : ١٢٨

كما يأمره بأن يجهر بحتمية موقفه من أمةه فيقول :

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوْرَبِي وَلَا أَشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ﴿١﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشْدًا ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَحِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا

(الجن : آية ٢٠ - ٢٢)

ويقول عن المسيح عيسى بن مريم :

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

الزخرف : ٥٩

كما يوضح صورة تأليه الناس لعيسى ابن مريم وتأليه العباد بعضهم بعضاً بأنها

شك . فقال تعالى :

(٦١)

أَنْخَذُوا أَخْبَارَهُمْ
وَرُهِبَنَّهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرِيمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَيْهَا وَاحْدًا
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا يُشَرِّكُونَ

(التوبه : آية ٣١)

فالإسلام يؤكد على تثبيت العقيدة في الوجودان ويوضحها للأنبياء ليعملوا بها في أنفسهم ولتوسيحها لاتباعهم . وذلك ليصل إلى تحرير الوجودان من كل شبهة شرك من الوهية أو ربوبية ، قد تضغط هذا الوجودان وتختضنه لخلوق من عباد الله إن يكن نبياً أو رسولاً ، فإنه عبد من عباده لا إله . (قطب، ص ٤٤) .

فإذا انففي التمييز انفت الوسائل بين الله وعباده جميعاً ، وانتفت وساطة الكهانة وانتفت وجود الولي فلا ولاية تتوسط في استجابة الدعاء بل كل فرد يتصل مباشرة بخالقه، يتصل شخصه الضعيف الفاني بقوة الأزل والأبد يستمد من الله القوة والعزة والشجاعة يستشعر الرحمة والعطف والعناء الألهية ، وبهذا يشتد إيمانه وتقوى معنوياته لأنه يشعر بأن القوى الإلهية الكبرى تعينه وتحميته من كل خطر. (قطب، ص ٤٤) .

كما قال تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْرَوُا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخرَةِ فَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلَا هُمْ
يُصَرُّونَ

(البقرة : آية ٨٦)

(٦٢)

وإذا شعر الفرد دائمًا بالله تعالى في كل لحظة من حياته في الليل والنهار تحرر من مظاهر الخوف والشعور به ، واطمأنت نفسه لأنه في معية الله تعالى . كما أن الاعتقاد بأن الله هو الخالق وأن الأجل بيده وأن هذا الأجل محدود لا يزيد ولا ينقص . كما قال تعالى : **وَلَن يُؤْخِرَ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (المنافقون: ١١) **وَمَا كَانَ**

وَقَالَ تَعَالَى :
لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ كَثِيرًا مُّؤْجَلًا وَمَنْ يُرِدُ
ثَوَابَ الَّذِينَ آتُوهُمْ مِّثْلَهَا وَمَنْ يُرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ
مِثْلَهَا وَسَبَّاجِزِي الشَّكِيرِينَ
(آل عمران : ١٤٥)

فالحقيقة أن الموت مدرك الإنسان لامحالة فإذا جاءت نهايته لا يُؤخر . ومهما كره الإنسان الموت ونفر منه ، وفر منه خوفاً ورعاً فإنه يدركه ولو كان في قلعة حصينة منيعة . (أبو فارس، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦١) . كما قال تعالى :

أَيْنَمَا
تَكُونُوا يُدْرِكُوكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْكُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

(النساء : آية ٧٨) .

وَقَالَ تَعَالَى :
قُلْ إِنَّ
الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ إِنَّهُ مُلْكُ الْقِيمَاتِ
وَمَنْ يُغَيِّرُ دُنْيَاهُ إِلَّا عِنْدِ الرَّحْمَنِ
إِلَى عِنْدِ الرَّغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيُتَبَّعُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
(الجمعة : آية ٨)

فلا اعتقاد بقوة الله يحرر الفرد من الخوف والقلق .

إذا استقرت العقيدة في قلب الفرد انتفى الخوف فيأتي ان يذل أو يهون في أي ظرف خاصة وقد علم اليقين ان شجاعته لا تقص من عمره لحظة واحدة، وان الجبن لايزيد في عمره لحظة أو ثانية .

فلحظة ان تستقر هذه المعاني المنشقة من العقيدة الراسخة والثقة الدائمة في الله لحظة أن تستقر في الوجودان يستقر أصحابها ويشتون امام الأعاصير الهوج ثبات الشم الرواسي . لاتهون لهم عزيمة ولا تلين لهم قناة (أبو فارس ، ص ٦٣) .

ولقد ترجم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم السلف الصالح هذا كله في مواقف حية . فسيدنا بلال ابن رباح رضي الله عنه لما آمن وسرت العقيدة الى شغاف قلبه ووجد انه قد تحدى سادة الكفر من قريش بل تحدى الدنيا بآيمانه ، فيعلن هذا الإيمان دون خوف أو وجع لا يعي بما يلاقى من صعاب ، وعنت ومشقة وعناء، تهون امامه كل الآلام وكل الأسقام ، بل كلما إشتد به العذاب حتى يترك دين الله وينصرف الى عبادة اللات والعزى ، يأتي ويكرر ما يغضبهم . بقوله أحد أحد ... لو وجدت كلمة تغطيهم أكثر منها لقلتها . (ابن الجوزي ، (د . ت) ، ج ١ ، ص ٤٣٧) .

ومثل آخر السيدة الصحابية فاطمة بنت الخطاب تدخل الدين الإسلامي وتعتصم برب العالمين وتقف في وجه أخيها عمر بن الخطاب . وتحداه دون خوف قائلة له أسلمنا فافعل ما بدارك ، ويلطهما على وجهها ويسيل دمها فلا تبالي بما أصابها في سبيل الله وتبقى مصرة على موقفها الائمياني . فيرى عمر هذا التحول العجيب والجرأة

والشجاعة المقطعة النظير من هذه المرأة التي كانت متابعاً يورث في الجاهلية لاتملك شيئاً من أمرها أمام أبيها وأخيها . فقد أورثها الدين الإسلامي حرية العقيدة والشجاعة والعزة والدفاع بجرأة عنه . كانت هذه الصفات التي اتصف بها وجدان فاطمة بنت الخطاب وترجمت إلى سلوك فعلي سبباً وأثراً في اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . (أبو فارس، ١٤٠٢هـ ، ص ٦٧) . (خالد ، ١٣٨٤هـ ، ص ١٣) ..

ب - التحرر من العادات والتقاليد :

كان من ضمن الجوانب التي عمل الاسلام على تحرر الوجدان منها التحرر من العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الجاهلي .. حيث كانت تلك العادات والتقاليد البالية تأسر تفكيرهم ووجدانهم فكان التقليد الأعمى للأباء والأجداد والمحافظة على كل قديم حتى ولو كان هو الشر كله ، ورفض كل ما هو جديد ولو كان الخير كله.

فأقفلوا عقوفهم وأفتدتهم وقالوا :

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيبَةِ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُرْفُوهاً
إِنَّا وَجَدْنَا إِبَاءَ نَاعِمَةً وَإِنَّا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ مُفْتَدِونَ
(الزخرف : آية ٢٣)

فكان من التقاليد والعادات التي ورثوها عن أجدادهم الاعتقاد في الجن والاعتقاد أنهم يعلمون الغيب وان لهم سلطان على الأرض . وهذا أصلاً نتج عن عبادة الجن.

كما قال تعالى في محكم كتابه :

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِينَ يَعْذُونَ بِرَحَالٍ
مِنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهْقَانًا

(الجن : آية ٧١)

فمناسبة هذه الآية هو الحال الذي كان عليه مجتمع الجاهلية ، حيث كان الواحد منهم إذا أمسى بواد أو قفر ، جأ إلى الاستعاذه بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه الأرض، فقال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ثم بات آمناً . (قطب، سيد، ٤٠٠ هـ، ج ٥، ص ٣٧٢) ثم أمتد الأمر في الاعتقاد الخاطيء من الجن إلى الالتجاء إلى الكهنة والسحرة والعرافين ، فكانت فكرة الكهنة والعرفة والسحر تسيطر على وجدهم وتحكم في تصرفاتهم ، فيتصرفون على ضوء أقواهم ، ويصدقون كل ما يقوله الكاهن أو العراف أو الساحر . فهم ازاء الكهنة والعرافين والسحر تسيطر على وجدهم، وتحكم في تصرفاتهم ، فيتصرفون على ضوء أقواهم ويصدقون كل ما يقوله الكاهن أو العراف أو الساحر. فهم ازاء الكهنة والعرافين مسلوبوا الإرادة عديموا الاختيار . بل بلغ بهم هذا الحال مبلغاً أن يستجيب لأمر الكاهن أو غيره إذا زين له ذبح ولده . (أبو فارس ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١١٢) .

فيتجرد بذلك من كل مشاعر الحنان والعطف والمشاعر الإنسانية النبيلة . وهذا ما أشار إليه الله سبحانه وتعالى في قوله :

وَكَذَلِكَ زَيْنَ
لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ
شَرَكَ أُوْهُمْ لِيَرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوْا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

فإِلَّا سَلَامٌ حَرَرَ الْوَجْدَانَ مِنْ هَذِهِ التَّقَالِيدِ وَالْمُعْتَدَدَاتِ الْفَاسِدَةِ . وَبَيْنَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الضرَّ وَالنَّفْعَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرِّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ

(سورة الأنعام: آية ١٧)

كما حذر الإسلام كل من يستعين بالجن والرهبان والكهان والعرافين وغيرهم، واعتبر الاستعانة بهم مع الاعتقاد بالنفع والضر شركاً وكفراً . كما اعتبر السحر من السبع الموبقات المهنكتات في الدنيا والآخرة . كما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رسول الله وما هي ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا باحق، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقدف المصنفات الغافلات المؤمنات ". (مسلم ، (د . ت) ، ص ١٩٠ .

وكم روي أيضاً " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى عرافةً أو كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما نزل على محمد" (الألباني)، ٤١٤٠هـ، ج ٥، ص ٢٢٣). (ابن حنبل، ١٤١٤هـ، ج ٣، ص ٤١٩).

بل اعتبر الإسلام أن مجرد سؤال العراف وإتيانه جريمة لأن السؤال يؤدي للاعتقاد والقناعة والطمأنينة إلى قدرة ذلك العراف فينساق إلى أهوائه تبعاً لما يعليه عليه العراف من أقوال وأفعال . فروي " عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه

وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أتى عرافاً فسألة عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " (مسلم بشرح النبوة ، ج ٤١ هـ ، ١٤١ هـ ، ص ٢٢٧) .

فمن التقاليد والعادات التي اتبعها الناس في الجاهلية تعليق التمام والخط في الرمل والخصى بادعاء معرفة الغيب فانتشرت هذه العادات وتناقلها الناس فيما بينهم، حتى اننا نجد آثارها ممتدة في الوقت الحاضر، فنجد تلك التمام تكثر وتتعدد صورها بأنواع وبشكل يقتضي منه العجب عند العامة وكثير من الخاصة على مختلف المستويات والثقافة . فنجد كثيراً من الناس يذهبون الى المشعوذين ليحججوهم حجاباً لدفع ضر أو جلب منفعة فملاً نجد إمرأة متعلمة وصلتها بالله ضعيفة فنرى أنها تعلق خرزة زرقاء على رأس ولدها أو تشتري له حلية ذهبية على شكل عين ظناً منها أنها تدفع عنه حسد الحاسدين .

وترى إمرأة أخرى قد نشب بينها وبين زوجها خلاف لسوء خلقها أو لتقديرها أو لسوء خلقه، ولم تكن لديها القدرة على تغيير ما هي عليه من سوء الخلق ، أو غير قادرة على الصبر والتأثير على زوجها ، فتكثر من الشكوى منه فتشير عليها بعض النساء أن تذهب إلى أحد المشعوذين ليحجب لها حجاباً أو يشير أن تعمل له دواء على شكل طعام أو شراب تسقيه اباه دون أن يعلم . (أبو فارس ، ٢٤٠ هـ ، ص ١٢٢).

ومن الصور التي تبين العادات والتقاليد التي حرر الاسلام الوجدان منها . تحويطة للعروسين ليلة الزفاف حيث يذهب أحد العروسين الى هذا المشعوذ أو الساحر ليكتب له تحويطة تمنع عنه السحر والحسد والنكد ، فيكتب له ورقة تحوى من الجهالة والضلال والأباطيل ، بل الكفر شيئاً كثيراً ، ويدفع في مقابل ذلك مبلغاً من المال ويعود وكأنه غنم الدنيا وسلم من نكدها . (أبو فارس ، ٢٤٠ هـ ، ص ١٢٦) .

ومن العادات والتقاليد التي كانت في الجاهلية ثم قام الاسلام بتحريها وتحريرها وجدان الفرد منها عادة الخط على الرمل ، التعرف على الغيبات التي تكون مرت أو ستمر بالفرد ، وهذه من العادات التي تطورت من الخط على الرمل وقراءة الكف وقوع البحر إلى ما وجد في كثير من المخلات في بلاد المسلمين والتي تكتب في المخلة تحت زاوية (حظك اليوم) أو زاوية (برجك اليوم) وهذه الأشياء تستهوي قلوب الكثير من الناس وتطرأ وجدان بعض الجهلة من الشباب ذكوراً وإناثاً ، فيقبلون على شراء تلك المخلات بهدف التعرف على حظهم .

وهذا العمل محرم في الاسلام لانه تعلق الى دائرة القدر الكبرى الخاصة بالله سبحانه وتعالى فلا يعلم الغيب إلا الله وحده ولا شريك له .

ج - التحرر من الوهم والخرافات :

من الأمور التي تقيد حركة الانطلاق والسعى في تحقيق الدور الذي ينبغي ان يقوم به الفرد . الخرافة والوهم ذلك الاعتقاد الباطل الذي لا يصدقه الواقع والمنطق .

والاسلام دين منطقي مع تعاليمه التي كشف بها عن طبيعة الانسان ككائن يجب الا يقيد حركته ومسعاه إلا بما منحه الله من تفكير في حدود ما تفضل عليه من رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم . يريد الاسلام محاربة الخرافة الا يفسح الطريق للانسان من الأوهام والأباطيل في الاعتقاد ليكون ذات تفكير سليم وعلم صحيح ، وذات ايجابية في الحياة .

فالإسلام بدعوته الانسان الى أن يتحرر نفسه من الوهم والخرافات ، إنما يريد فرداً قوياً في تصوره وإدراكه . يريد سيداً على نفسه يهتدى بعقله وبهدي الله إيه معاً .

يريده غير ذليل وغير هياب في إرتياح سبل الحياة . يريده إذا خضع في عبادته أن يخضع

الله وحده . يرجوا رحمته ورعايته ويجعل الأمل فيه دائماً ويتوكل عليه بتفاؤله بالخير في حاضره ومستقبله وسائل أوقاته حتى يعيش راضياً هادياً الوجدان . ولتحقيق ذلك عليه أن يتبع عن التساؤم لأنه يؤذى الإنسان نفسياً ووجدانياً ويجعله يعيش قلقاً وحياناً . (العبد، ١٤٠٨، ص ٢٨٠).

لذلك حرم الإسلام الطيرة وهي التساؤم ، واعتبرها شركاً . كما روى عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : الطيرة شرك الطيرة شرك ، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل " . (أبو داود، ١٣٩٩هـ، ج ١٠، ص ٤٠٥) . أي أن الاعتقاد أن الطيرة تجلب النفع أو الخير أو أنها تدفع الضر والشر فهي شرك .

ويقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام : إن التطير هو الظن السيء الذي في القلب ، والطيرة هي الفعل المرتب على الظن السيء . (أبو داود، ج ١٠، ص ٤٠٥ - شرح) .

فالطيرة أو التطير هي شيء واحد . وكان العرب يتطيرون من أنواع الطيور كالغراب والبوم إذا حطت على منزل أحدهم ، وكانت العرب إذا خرج أحدهم من بيته عادياً في بعض الحاجة نظر : هل يرى طائراً يطير، فيذجر سنوحة وبروحة، فإذا لم يرد ذلك ، عمد إلى الطير الواقع على الشجر فحركه ليطير ثم نظر إلى أي جهة بأخذ فذجره (علي، ١٩٧٠، ج ٢، ص ٧٨٩) .

وذكر أنهم كانوا إذا خرج أحدهم حاجته ، فإن رأى الطير طار عن يمينه تيمن به واستمر ، وإن طار على يساره تشاءم به ورجع . (جود، علي، ١٩٧١م، ج ٦، ٧٨٩) .

فلما جاء الاسلام عمل على تحرير الوجدان من هذه الخرافية وهذا الاعتقاد الباطل وأبطل الطيرة . بل نهى عن التطير . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أقروا الطير على مكانتها لاتطيروها ولا تزجورها ". (الألباني، ١٤٠٢هـ ، ج ١، ص ٣٨٠) . (الهيثمي ، ١٤٠٦هـ، ج ٥، ص ١٠٦) .

كما تشاءم العرب في الجاهلية من بعض الأيام وهماً منهم أن فيها المضرة . ومن هذه الأيام كل أربعة يوافق أربعاً من الشهر . كذلك تشاءموا من بعض الشهور مثل شهر شوال وصفر . كما تشاءموا من الإنسان لعطفه . فإذا عطس أحدهم وكان وضعياً مغموراً أو سمعوه كلاماً مراً فيه رد للشئون على صاحبه . كانوا يقولون له : " بك لا بي : أسائل الله أن يجعل شؤوم عطاسك بك لا بي " . أما إذا عطس إنسان معروف محظوظ شريف قالوا له : " عمرأ وشباباً " . (علي، ١٩٧٠م، ج ٦، ص ٧٧٩) .

وللأسف ترسبت بعض هذه الأوهام والاعتقادات الباطلة الى نفوس بعض الناس في الوقت الحاضر - حيث نجد بعض الأشخاص لايسافرون في صفر وبعضهم لا يتزوج أو يزوج في هذا الشهر ، كما لا يعزون في الميت إذا صادف يوم الاثنين . ويتشاءمون إذا رفت العين اليسرى ظناً منهم أنه سيحدث مكروره .

فلما جاء الاسلام أبطل التشاوؤم والطيرة وغيرها من الامور التي تترك آثارا سلبية في الوجدان . والتي يتربى عليها تقييد حركات الانسان وتغيير سلوكياته وتصرفاته . وتشيع الاحقاد والضغائن بين الناس كما تسبب القلق والتوتر والخيرة وكل هذه امراض لها عواقب وخيمة .

واستبدل الاسلام التشاوؤم بالفأل . ويظهر ذلك جلياً في تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم فكان من أخلاقه أنه يتغافل ولا يتشاءم . وكان اذا خرج حاجة يعجبه

ان يسمع بالنجح ياراشد . كما روي عن قتادة عن أنس ان النبي صلى الله عليه قال : " لا عدو ولا طيرة ، ويعجبني الفال الصالح ، والفال الصالح الكلمة الحسنة " . (أبو داود ، ج ١٠ ، ص ٣٤) . وكما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاطيرة وخيرها الفال ، قال وما الفال يا رسول الله ؟ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم " . (أبو داود ، ج ١٠ ، ص ٣٤) .

فالتفاؤل جانب مرتبط بالوجدان حيث أنه يهيج القلب ، ويجدد النفس ، ويضفي على الفرد الصحة النفسية والجسمية المتمثلة في العافية . (العقاد ، ١٣٨٦هـ ، ص ١١٢) . ولهذا السبب أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالفال في الكلمة الصالحة والاسم الحسن والكلمة الحسنة والرؤيا الصالحة ولأن الفال ايضاً له دلالة أخرى مرتبطة بحب الله سبحانه وتعالى فمحبته تقتضي الظن الحسن به .

أما التشاوُم فهو دليل على نضوب معنى الحياة ، وشح في نصيب صاحبه من التخييل والشعور (العقاد ، ١٣٨٦هـ ، ص ١١٢) . الشعور الجميل الذي يتمثل في محبة الله ومعيته والشعور بالطمأنينة والرضى .

وقد أحب الرسول صلى الله عليه وسلم الفال لأن الناس إذا أملوا فائدة الله سبحانه وتعالى وراجوا عائدهه عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير ، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير ، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر .

وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن عروة بن عامر قال أحمد القرشي قال : " ذكر الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفال ولا ترد مسلماً فإن رأى أحدكم ما يكره

فليقل اللهم لا يأتني بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك " . (أبو داود، ١٣٩٩هـ، جـ ١٠، صـ ٤١٦)

فالرسول صلى الله عليه وسلم ربى وجدان المسلم على الفأل الحسن وعلم المسلم عند رؤيته للشيء الذي يكرهه من اسم أو كلمة أو نحو ذلك أن يلتجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء فالله سبحانه وتعالى هو الذي باستطاعته أن يأتي بالخير ويبعد الشر ، بالدعاء يسلم المسلم من الأوهام والخرافات التي تعزز وجدانه.

إذا كان هناك بعض الأمور قد تتحقق الشؤم فعلاً فيها والتي حددتها الإسلام مع عدم الجزم في ارجاع الشؤم لها وهي الدار والمرأة والفرس فهذه الأشياء المحددة. قد أمر فيها بتغييرها . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لا هامة ولا عدوى ولا طيرة ، وان تكون الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار " (أبو داود، ١٣٩٩هـ، جـ ١٠، صـ ٤١٩) . فالرسول صلى الله عليه وسلم حدد الجوانب التي قد يكون فيها الشؤم . وهذه الجوانب لها أسباب كما قال المنذري في شرح أبو داود : قال في الفرس : أي الجموح ، والمرأة: أي السليطة ، والدار : أي فهي الدار الضيقة .

وقيل إن شؤم الدار : ضيقها وسوء جارها ، وشؤم المرأة : أن لاتلد ، وشؤم الفرس : ألا يغزى عليها .

وقيل ان تكون هذه الأمور بمنزلة الإستثناء أي لا تكون الطيرة إلا في هذه الثلاثة فيكون إخباراً عن غالب وقوعها وهو لا ينافي ما وقع من النهي عنها. (شرح ابو داود، ١٣٩٩هـ، جـ ١٠، صـ ٤١٨-٤١٩) .

وهدف الاسلام من النهي عن التطير حتى من هذه الامور المستثناء أن هذه الامور يمكن حلها . فالدار الضيقة يمكن توسيعها أو تغييرها بدار أخرى إذا كانت ضيقة أو بسبب سوء جوارها . والمرأة السليطة يمكن بالصبر عليها ان ترجع عن سوء خلقها أو يمكن تشقيفها دينياً فترجع وتربى على الأخلاق الإسلامية . وهناك العديد من الكتب التي تتطرق لجوانب تربية المرأة المسلمة والتي تفيد في هذه المشكلة . وإذا كانت المرأة لا تلد فيمكن في الوقت الحاضر معالجة هذه الامور بالطرق الحديثة التي لا تتنافى مع الاسلام والموجودة في المستشفيات شريطة أن يتم بمعالج مسلم يخاف الله . أما إذا استحال الأمر فيمكن أن يتزوج بأخرى تلد ويترك التشاوؤم ، والفرس يمكن أن يستبدل بها فرساً أخرى . فالتشاؤم ضعف في الوجدان ووهن في ثقة الانسان بنفسه وبالله والتفاؤل من سمات الانسان المؤمن السليم الوجدان الواثق من نفسه وقدرة ربه وقضائه، فهو يقدم على العمل بحماس لأن وجدانه ممتليء بالاطمئنان .

هذا كان حرص الاسلام على ترقية الوجدان من الاوهام والخرافات ومثبتات العزائم ، فلا تشيه تلك الامور عن الإقدام لأعمال الخير لأن وجدانه مرتب بالله سبحانه وتعالى فهو يسعى لتحقيق هدف ايجاده في هذه الحياة وهو الخلافة في الأرض وعبادة الله سبحانه وتعالى .

٤ - أساليب تقوية الجانب الوجداني في الإسلام :-

بعد أن حرر الإسلام وجدان الفرد من الشرك والعادات والتقاليد البالية ومن الوهم والخرافات لما لها من أثر سيء في سلوك الفرد تجاه ربه ونفسه والخيطين به عمل الإسلام على تقوية وجدان الفرد بأساليب لها أثر في سلوكه وتعمل على بناء شخصيته. فمن الأساليب التي تعامل على تقوية الجانب الوجداني :

أ - زرع محبة الله تعالى :

فالمحبة تعني كما عرفها القاضي عياض : الميل إلى ما يوافق الإنسان ، وتكون موافقته له : إما لاستلذاذه بادراكه ، كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة المذيدة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له . أو لاستلذاذه بادراكه بحسنة عقله وقلبه معاني باطنية شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثر عنهم السير الجميلة والفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء . أو يكون حبه إيمانه لموافقتها له من جهة إحسانه له وانعامه عليه ، فقد جبت النفوس على حب من أحسن إليها. (البيهقي، ١٣٩٩هـ، ج٢، ص٢٩ - ٣٠).

وعلى ذلك فهذا الميل إما أن يكون حسياً أو عقلياً أو قليلاً " وجدانياً " وعلى هذه الجوانب الثلاثة - منفردة أو مجتمعة - يقوم الحب في القلب ، فما وافقها مال إليه القلب وأحبه ، وما خالفها نفر عنه وكرهه .

وأصل الحب كما يقول ابن تيمية : أنه قوة في القلب تحرك ارادة الإنسان لتحصيل المحبوبات أصلاً ، ودفع المكرهات تبعاً ، فتميل النفس إلى الشيء إن كان محبوباً ، وتنفر عنه إن كان مكرهها . (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ، ج١٠، ص١٩٢).

ويتوقف تعلق النفس بالشيء حباً ، أو بالنفور عنه كرهًا على الأدراك الفطري أو الكسي . فالحب إذن ثمرة الإدراك والمعرفة ، فكلما كانت المعرفة أتم كان الحب أقوى والعكس صحيح . لأجل هذا كان الناس متفاوتين في حبهم للأشياء والأشخاص تفاوتاً بينما تبعاً لتفاوت إدراكيهم ومعرفتهم ، وإذا كانت وسائل المعرفة والإدراك لدى المرء سليمة وصحيحة أحب الإنسان ما ينفعه ويصلحه ، وإلا أحب الضار يحسبه نافعاً والفاسد يحسبه صالحاً . وبناء على هذا يمكن أن يعرف الحب بأنه : ميل القلب فطرة أو ادراكاً ومعرفة إلى ما يوافقه ويستحسن . (عثمان ، تقديم سفر الحوالي ، ٤١٢ هـ ، ص ٣٧ - ٣٨) .

والمحبة وردت في القرآن والسنّة بكل جوانبها الطبيعية والشرعية . فاجنواب الفطرية أو الطبيعية مثل حب الآباء والأبناء والأزواج وحب المال وسائر الشهوات . كما قال تعالى :

رَبِّنَا لِلنَّاسِ حُبُّ الْشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
 وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
 وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَنَمِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَتَّعُ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَيَابِ

(آل عمران : ١٤) .

فهذه هي الحببة الفطرية الجبلية كما وردت في النصوص الشرعية . وهذا الجانب سوف تقوم الدارسة بتوضيحه في معرض الفصل الرابع عند دراسة العواطف كمجال من مجالات التربية الوجدانية في الإسلام .

وأما الحبة الشرعية والمتمثلة في حب الله ورسوله وهو الموضوع الذي بصدده
الدراسة الآن في هذا الجانب فهي ما جاءت صريحة اللفظ في القرآن والسنة لبيان حب

يَكْأِبُهَا

الله لعباده المؤمنين والذين له . فقال تعالى :
 الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَجَرُهُمْ
 وَيُحِبُّونَهُ وَأَذْلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ بِمُجْهَدُوْنَ فِي
 سَيِّلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يُمِرِّ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ
 (المائدة : ٥٤)

وَمِنْ

وقوله تعالى : أَنَّ النَّاسَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
 وَالَّذِينَ أَمْنَوْا أَشَدُ حُبَّ اللَّهِ وَلَوْلَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
 الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (البقرة : ١٦٥)

وَقُولَهُ تَعَالَى :

إِنْ كُنْتُمْ تُجْنِبُونَ اللَّهَ
 فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 (آل عمران : ٣١)

والسنة النبوية تبين الحبة الشرعية المتمثلة في الحب المتبادل بين العبد والله تعالى
والتي تظهر من خلال سلوكيات الفرد . " فعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى
الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختتم بقل هو
الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه لأي شيء
يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : أخبروه أن الله يحبه " . (البخاري ، ١٣٨٣هـ ، ج ٩ ، ص

وسلم ان الله قال : من عادى لي ولها فقد آذنها بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقارب إلى بالنواقل حتى أحبه ، فإذا أحبته كتب سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سأله لأعطيته ولئن استعاذه لأعيذه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردد عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساهته " (البخاري، جـ، ٨، ص ١٣١) . " وعن أنس بن مالك ان رجلاً سأله النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يارسول الله ؟ قال : ما اعددت لها ؟ قال : ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنني أحب الله ورسوله . قال انت مع من أحببت " (البخاري، جـ، ٨، ص ٤٩) .

والحب علاقة و جانب و جداني متبادل بين الله وبين عباده المؤمنين . بيد أن حب الله لعباده صفة من صفاته .

وحب المؤمنين لله حب عبادة ورضا وشكر ومجاهدة بالعمل الصالح للفوز برضاه والتقرب إليه ، ووسيلة لرضاه وعمل بأمره ، وحب الله تربية للمؤمنين وتهذيب وسمو لأعلى الدرجات التي تؤهل الفرد لحبه ورضاه . لأن الله سبحانه وتعالى لا يحب أي إنسان لذاته مهما كان شأنه في الدنيا ، وإنما يحب التوابين والمتطهرين المتقيين المقطفين الصابرين المتكلمين المطهرين ولا يحب الله كل كفار أثيم فلا يحب الكافرين أو الظالمين أو من كان مختالاً فخوراً ، أو من كان خواناً أثيماً ، ولا يحب المفسدين أو المسرفين أو المعذين أو الخائبين أو الفرحين أو المستكبرين (عبد الباقى، ٤٠١ هـ، ص ١٩١ - ١٩٢) .

(٧٨)

فحب الله تعالى يدعو المؤمن للتذلل إلى ربه والحرص على استرضائه . يحمله حملًا على الالتزام بالحدود الشرعية التي فرضها . لأن الله لا يحب من العبد كيانه البيولوجي ، ولا سماته السيئة التي انقاد فيها لنفسه الأمارة بالسوء وترك استعداداته القابلة للخير والشر بلا تربية وترويض ، وإنما يجب ذلك الجانب المكتسب الذي اختار فيه الإنسان فأحسن الاختيار ، وطوع نفسه لمشقات الطاعة وعرف ربها فأحبه ولزمه . (الخولي ، ١٩٨٧ م، ٥١٠-٥١١) .

كذلك حب الله يدعو الإنسان إلى الشكر الوقوف عند حدود الله واستغلال القدرات التي أسبغها تعالى بالوجوه التي يهدى إليها شرعه ، لأن من أبغض كفر النعمة وضعها في غير ما وضعت له والتقوى بها على معصية الرازق الوهاب وتسخيرها للخروج عن أوامره . (الترابي ، ١٣٩٤ هـ ، ص ١٥٠) .

كما قال تعالى :

فَالْأَرْبَيْبِ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَىٰ فَلَمْ أَكُونْ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ

(القصص : آية ١٧)

ومن لم يرده واعظ نفسه عن بشاعة الكفران فإن الله يبين له عقابه عظة وريبة:

سَلَّمَ بْنِي إِسْرَائِيلَ كُمَّا أَتَيْنَاهُمْ مِّنْ أَيْمَنِنِّي وَمَنْ يُبَدِّلُ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

(البقرة : آية ٢١١)

(٧٩)

وقوله تعالى :

أَلَمْ تَرِئَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفَّارًا
وَأَحَلُّوا أَقْوَامَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُنْسِبُ
الْفَرَارُ

(ابراهيم : آية ٢٨ - ٢٩)

فحب الله وشكر نعمه داعيـان قويـان للإـستدلال عن حـكم الله في كل حال ليـظهر وجه التـقرب فيها من الله وابتـغاء مرضـاته والنـفور من سـخطـه وللنـظر في كل نـعمـه المـوهـوبـة ليـتبـين تـوجـيهـات الله في استـعـماـلـها ، فـإـذا فـقـهـ المؤـمنـ التـزمـ حدـودـ اللهـ حـيثـما كانـ، فـيـضـبـطـ قـدرـاتـهـ لـديـهاـ فـيـكـفـ اللـسانـ وـيـغـضـ البـصـرـ وـيـصـرـفـ السـمعـ وـيـمـسـكـ الـيدـ عنـ محـارـمـ اللهـ وـيـوجهـ إـمـكـانـاتـهـ وـفـقـاـ هـاـ مـصـرـفـاـ مـالـهـ وـسـلـطـتـهـ فيـ طـاعـةـ اللهـ . (التـزـابـيـ، صـ ١٥٠ـ).

وـمـنـ أـجـلـ ذـلـكـ رـغـبـ الإـسـلامـ فيـ مـخـالـقـ النـاسـ بـخـلـقـ حـسـنـ رـاجـياـ حـبـ اللهـ، كـمـاـ يـنـهـىـ عـنـ سـيـئـهـ مـحـذـراـ بـالـبـعـدـ عـنـ اللهـ وـالـتـعـرـضـ لـسـخـطـهـ . (التـزـابـيـ، صـ ١٥١ـ). كـمـاـ قـالـ

تعـالـىـ :

وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ كُفَّارٌ
وَلَا تَعْسِدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

(البقرة : آية ١٩٠)

وـقـالـ تعـالـىـ : بـلـيـ مـنـ أـوـفـيـ عـهـدـهـ وـأـتـقـيـ فـإـنـ اللهـ يـحـبـ الـمـتـقـينـ

(آل عمران : آية ٧٦)

(٨٠)

وقوله تعالى :

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْحَكَمَيْنَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(آل عمران : آية ١٣٤)

وقوله تعالى :

لِكِيلًا
تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُو بِمَا آتَيْتُكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَحُورٌ

(الجديد : آية ٢٣)

وقوله تعالى :

أَوْلَادُهُدْلِيلٍ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَالُونَ أَنفُسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَانِيًّا أَشِيمًا

(النساء : آية ١٠٧)

وقوله تعالى :

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ
اللَّهُ سَيِّعًا عَلِيًّا

(النساء : ١٤٨)

وقوله تعالى :

سَمِعُوتُ لِكَذِيبٍ أَكَلَوْنَ لِلشَّحَّتِ فَإِنْ جَاءَكُمْ وَكَانَ
فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعَرِّضْ عَنْهُمْ فَكَانَ
يُضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

(المائدة : ٤٢)

(٨١)

وقوله تعالى :

يَبْرِئِنَّ أَدَمَ حُذْوَارِيَّتَكُمْ عِنْدَكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأَشْرِبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

(الأعراف : ٣١)

وقوله تعالى :

وَابْتَغِ فِيمَا آتَيْتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَاحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

(القصص : ٧٧)

وهذه الحبة الشرعية المتمثلة في عبادة الله والشكر على نعمه والرضا لها أسباب تدعوا المؤمن إلى الامتثال لها .

فالمؤمن يوجه الحبة لله والولاء له لكونه الخالق الأوحد للكون والحياة والإنسان وانه أسبغ على الإنسان النعم الظاهرة والباطنة ، بل الكون كله سخره لمصلحة الإنسان . كما أنزل على البشرية من أنظمة حكم ومناهج حياة .. والله هو الذي يستحق الحبة والولاء لاجابتة دعوة المصطر اذا دعاه وكشفه الضر والسوء عنه .

كما يستأهل هذه الحبة وهذا الولاء لافتقار العبد المؤمن إليه ، واعتماده عليه في كل الأحوال المتصلة ب حياته في الدنيا والآخرة . (علوان ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٨).

وهذا التوجّه لله بالمحبة لله من قبل العبد ورد ذكره ضمناً في سورة إبراهيم في

قوله تعالى بوجود الحمد :

وَإِنْتَمْ كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
لَا تَحْصُّوهَا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

(ابراهيم : آية ٣٤)

كما ورد ذكره في سورة النمل في قوله تعالى :

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلِّمْ
عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مَا يُشَرِّكُونَ ٥٩
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا إِنَّ اللَّهَ بِلِهِ مَمْوُلُونَ ٦٠
أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا آنَهْرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوْسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا إِنَّ اللَّهَ بِلِهِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦١ أَمَّنْ يُحِبِّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ الشَّوَّى وَيَجْعَلُكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَاذَا كَرُونَ ٦٢ أَمَّنْ يَهْدِي يَكُمْ فِي
ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بِشَرَابِينَ يَدِي
رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ٦٣
أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ شَرِيعَتِهِ وَمَنْ يُرْزِقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّ اللَّهَ قَلْ هَا وَإِنْ هُنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(النمل : آية ٥٩-٦٤)

فالمؤمن اذا لم يكن على هذا المستوى اللائق من الحبة لله والولاء له ، والإفقار إليه ، والتوكيل عليه ، والاستعانة به ، والشكر لأنعمه وفضائله . يكون كاذباً في دعوى الحبة ناقصاً عري اليمان . (علوان ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٩)

فليست كل دعوى لحبة الله صحيحة . فينبغي ألا يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما أدعت حبطة الله تعالى ما لم يتحتها بالعلامات وما لم تقرن بالبراهين . فاحبطة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح . (الفقي ، ١٣٩٠ هـ ، ص ٤٤٢) .

والعلامات الدالة على حبطة الله هي :-

أن يحب لقاء الله ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقالت عائشة أو بعض أزواجه : أنا لنكره الموت ؟ قال : ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشير برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكراهه لقاءه " . (الدارمي - تحقيق مصطفى البناء ، ١٤١٢ هـ ، ج ٢ ، ص ٧٦٨) .

ان الله يحب عباده على القتال في سبيله ويستحب لهم عليه وان غاية الصدق في حبطة الله تعالى هي أن يقدم الانسان روحه رخيصة في سبيل الله . كما قال تعالى :

إِنَّ

الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم

(سورة الصافات : آية ٤)

بِذِيْنَ مُرْضُوصٍ

(٨٤)

إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّ مِنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ
وَقُولَهُ تَعَالَى : يَا أَيُّهُمْ لَهُمْ أَجْنَاحَةٌ يَقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّورَةِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَأَسْتَبْشِرُوا
بِتَبَعِيكُمُ الَّذِي بَأَيْمَانِكُمْ يَهُ دَلِيلٌ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

(سورة التوبة : آية ١١١)

فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن جحش مثل صادق يعبر عن حبه لله تعالى ورسوله بأن يقتل في سبيل الله رسوله : " روى عن سعيد بن المسيب ، أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش يقول قبل يوم أحد بيوم : اللهم إنا لا نقو هؤلاء غداً وإنني أقسم عليك لما يقتلوني ويقرروا بطني ويجدونني فإذا قلت لي : لم فعل بك هذا فأقول : اللهم فيك . فلما التقوا فعل ذلك به فقال الرجل الذي سمعه : أما هذا فقد استجيب له واعطاه الله ما سأله في جسده في الدنيا وأنا أرجوا أن يعطى ما سأله في الآخرة . " (ابن الجوزي ، (د.ت) ، ج ١ ، ص ٣٨٦) .

فالحب الحق لله تعالى أساسه الأخلاقي والانسان الذي يحب الله لا يخاف من الانتقال الى الدار الآخرة ، بل يسعى لها سعيًا وهو مؤمن ويشتاق للقاء الله تعالى ، فإذا أتي أمره تعالى كانت روحه سعيدة مطمئنة راضية لأنها ستصل الى الأبد بحالها وحبيبتها . (الشرقاوي، ١٩٨٤م، ص ٢٥٧) .

ومن العلامات الدالة على محبة الله تعالى أن يكون العبد مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم شاق العمل ويجتسب إيقاع الهوى ويعرض عن دعوة الكسل ، ولا يزال مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالتوافق وطالباً عنده مزايا الدرجات حيث وصف الله الحسين بالإيثار . (الفقي، ١٣٩٠هـ ، ص ٤٤٣) . كما قال

تعالى : ﴿يَحْبِهُمْ وَيُحْبَّونَهُ﴾ وَاذَا أَحْبَهَ اللَّهُ تَوْلَاهُ وَنَصَرَهُ عَلَى اعْدَائِهِ وَانَّا عَدُوهُ نَفْسَهُ وَشَهْوَاهُ فَلَا يَخْذُلُ الْعَبْدُ وَلَا يَكُلُهُ هُوَاهُ وَشَهْوَاتِهِ . ولذلك قال تعالى :

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(الخشر : آية ٩)

ومن العلامات الدالة على محبة الله الاتصال الدائم بالله وبالآخرة ، والتفكير بالآلهة ، ذلك الحب الذي يدعو العبد الى التضحية بكل شيء بالمال والناس والمصب والنفس . (البلاني ، ١٤١٣ هـ ، ص ٩٤) .

والمثال على ذلك الحالة التي كان يعيشها الصحابي الجليل أبويس القرني رضي الله عنه كحتاج للتربية المتواصلة على قضايا الآخرة .

فعمار بن سيف الضبي قال : لحق رجل بأويس القرني فسمعته يقول : اللهم إني اعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني ، وليس في بيتي شيء من الرياش إلا ما على ظهري . قال : وعلى ظهره خرقه قد تردى بها ، قال : فاتاه رجل فقال له كيف أصبحت؟ وكيف أمشيت؟ فقال : أصبحت أحب الله وأمشيت أح مد الله ، وما تسأل عن حال رجل إذا هو أصبح ظن لا يمسى ، وإذا أمشى ظن أنه لا يصبح ؟ إن الموت وذكره لم يدع المؤمن فرحاً ، وإن حق الله في مال المسلم ، لم يدع له من ماله فضة ولا ذهباً ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً ، فأمرهم بالمعروف فيشتمون اعراضنا ويجدون على ذلك أعوااناً من

(٨٦)

الفاسقين حتى والله رموني بالعظائم ، وأيم الله لا ادع أن أقوم الله فيهم بحقه ، ثم آخذ الطريق. (ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، (د.ت) ، ج ٣، ص ٥٣-٥٤).

ومن العلامات الدالة على محبة الله اجتناب النواهي . قال سهلي التستري رحمه الله تعالى : عالمة الحب بإشاره على نفسك وليس كل عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيباً وإنما الحبيب من إجتب الماهي وهو كما قال لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى : ﴿ يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذل العبد ولا يكله هواه وشهواته . ولذلك قال تعالى :

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَاءِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيَا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا

(سورة النساء : آية ٤٥)

وقال بعض العارفين : إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حباً متوسطاً، فإذا دخل سويداء القلب أحب الحب البالغ وترك العاصي بالجملة فإن في دعوى الحبة خطراً لا يستهان به . قال الفضل : إذا قيل لك أتحب الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت ، وإن قلت نعم فليس وصفك وصف الحبين فاحذر المقت. (الفقي، ١٣٩٠هـ، ص ٤٤٣).

ومن العلامات الدالة على محبة الله الاكثار من ذكر الله تعالى والاستغفار .

كم قال تعالى :

فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَآشْكُرُوكُمْ وَلَا تَكُفُرُونِ

(البقرة : ١٥٢)

(٨٧)

فالذكر بالإضافة إلى كونه دليلاً على محبة الله تعالى ، فهو أيضاً سبيلاً إلى الاستقرار الوجداني ، فالقلب يطمئن بذكر الله تعالى . كما قال تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمِّئُ
فُؤُبُّهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا إِذْ يَذْكُرُ اللَّهَ تَطَمِّئُ الْقُلُوبُ

(الرعد : آية ٢٨)

وما دام العبد في حال ذكر واستغفار دائم فإن الله سبحانه وتعالى لا يعذبه في الآخرة بل ايضاً يسبح عليه رحمته ، كما قال تعالى :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبْهُمْ
وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

(الأنفال : آية ٣٣)

وقوله تعالى :

وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا

(النصر : آية ٣)

وقوله تعالى :

وَاسْتَغْفِرُ أَرَيْكُمْ ثُمَّ تُبُوأَ إِلَيَّ إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ

(هود : آية ٩٠)

ولذكر الله واستغفاره في الإسلام آداب ومواقيت وأساليب واستعدادات نفسية أفضى بها الإسلام . فذكر الله سبحانه وتعالى وما يتعلق به من علامة حبه تعالى وحب

القرآن الذي هو كلامه وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ للمنهج قولهً وفعلاً وتقريراً.

والذكر هدف من الأهداف الأساسية في تربية الوجدان والتسامي بالبواعث الفطرية للنفس وتعديلها بالذكر والاستغفار والعبادة حتى يصير الوجدان فياضاً بحب الله ورسوله . (الخولي، ١٩٨٧م، ص ٥١١) .

ومن العلامات الدالة على محبة الله تعالى أن يكون الفرد مشفقاً على جميع عباد الله رحيمًا بهم ، شديداً على الكافرين أعداء الله وعلى كل من يتعرف شيئاً مما يكرهه

الله تعالى ولا يرضاه ، كما قال تعالى :

مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ أَشَدُّ أَعْيُنَ الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ
 تَرَهُمْ رُكَّعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَاسِيَّا مِّنْهُمْ
 فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمِثْلُهُمْ
 فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ سُطْعَهُ فَغَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى
 عَلَى سُوقِهِ يُعَجِّبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
 أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
 (الفتح : آية ٢٩)

فالإسلام جعل الأصل في الحبة بين البشر هي الحبة من خالقه تعالى . فمحبة الإنسان لأخيه الإنسان هي حب في الله وفي طريقه . فتكون السمة السائدة الألفة

واللودة والرحمة والعطاء والإيثار . كما قال تعالى :

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
 وَإِذْ كُرُونَعْمَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّذِينَ قُلُوبُكُمْ
 فَاصْبَحُوكُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاعَ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
 فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيَّتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ
 (آل عمران : ١٠٣)

وقوله تعالى في الحديث القدسي : " عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه إلى الرب عز وجل قال : " حقت محبي للمحابين في، وحقت محبي للمتواصلين في، وحقت محبي للمتواصلين في ". (القاري، تحقيق : ابو عبد الرحمن الألباني المصري، ١٤١٢هـ، ص ١٤٢) .

وكما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : يقول الله عز وجل يوم القيمة : يا ابن آدم مرضت فلم تدعني .. قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تده .. ؟ أما علمت إنك لو عدته لوجدتني عنده .. يا ابن آدم استطعْتَك فلم تطعني . فقال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أنه استطعْتَك عبدي فلان فلم تطعمه .. أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقْتَك فلم تسقني .. قال يارب كيف أسيك وأنت رب العالمين؟ قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما أنك لو سقْتَه وجدت ذلك عندي " . (الألباني، ١٤٠٢هـ، ج ٢، ص ١٥٤-١٥٥). (القاري، ج ١، ص ٢٦٣) .

فمحبة الله سبحانه وتعالى إثراء للعلاقات بين الأفراد وثرة لصلة المجتمع .. وتعاون على البر والتقوى والصلاح والألفة بين الأفراد ، ومودة ورحمة بين الأرحام والأزواج .. (الشرفاوي، ١٩٨٤م، ص ٢٤٨) .

كما قال تعالى :

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ بُطِّلَعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنْتُمْ
وَلَا كَنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمْ إِلَيْمَنْ وَزِينَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهَ إِلَيْكُمْ
الْكُفُرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ أَوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (الحجرات : آية ٧)

وبدون الحبة الاهية تنفص العلاقات والروابط بين الأفراد ، وتنظم النفس ، وتحجر القلوب ، ولا تتحقق المودة والرحمة بين الناس ، فترتبط العلاقات بالصالح المادي والفوائد النفعية فحسب مما ينشأ عن العداوة والكراءة والمشاجنة والبغضاء والخذد والظلم والانتقام ، فيقوى في النفس الحب الشهوي ، ويعظم طلب الدنيا واللذات الحسية . (الشرقاوي، ١٩٨٤م، ص ٢٤٨) .

فمحبة الله تستهدف الحياة الأخلاقية المثلى التي ينشدها الإسلام ، والخير الفاضل ، بالإضافة إلى كونها أساساً من أصول الدين الإسلامي ، وأساس التربية الوجدانية .

ب - ذرع محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الصلة بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون صلة قلبية ووجدانية . صلة حب للشخصية التي جعل الله لها الفضل الأكبر على الناس في اخراجهم من الظلمات إلى النور والتي أحلاها منه أهل الأول . ولا تكون الطاعة والاقتداء مفهدين لا فادة الكاملة إلا إذا اقتربنا بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم الحب الذي لا يفوقه حب حتى حب الإنسان لنفسه . (المبارك، ١٣٩٥هـ ، ص ١٢٥) .

وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتب بحب الله عز وجل نحن المؤمنين إذا عرفنا الله بالله فإننا عرفنا منهجه الله برسول الله والفرد يجب من يحبه حبيه ، ورسول الله هو أحب خلق الله إلى الله .. كما روى "عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلات من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه

(٩١)

الله منه كما يكره أن يقذف في النار " (مسلم بشرح النووي، ٤٠١ هـ، جـ ٢، ص ١٣) .

ولقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى محبتة في قوله : " والذى نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وما له وولده والناس أجمعين (مسلم بشرح النووي ، جـ ٢ ، ص ١٥) . وفي قوله لسيدنا عمر إذ قال عمر يا رسول الله والله لأنك أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال عمر : والله لأنك أحب إليّ من كل شيء حتى من نفسي . فقال : الان ياعمر " (البخاري، ١٣٨٣ هـ، جـ ٨، ص ٦٦) .

ولقد كان ارتباط محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بمحبة الله تعالى وهي جزء من الإيمان الكامل . ذلك لعدة أسباب وعدة أمور دعت إليها .

فالأسباب التي تستوجب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي :

١) ان الرسول صلى الله عليه وسلم يستحق هذه المحبة لأن الله تبارك وتعالى الذي خلقنا قد إصطفاه من بين الناس لتأدية هذه الرسالة ، فيجب أن نعلم بأن الله اختار خير الأخيار لأنه سبحانه وتعالى أعلم بمن يعطيهأمانة الرسالة ، وما دام الله اصطفاه من بين الناس لهذه المهمة العظيمة ، فيجب على المؤمنين أن يصطفوا محبتة من بين الناس أجمعين . (العامر، ١٤١٠ هـ ، ص ٤٨) .

٢) حب رسول الله يرسخ في القلوب والوجدان عندما يعلم الفرد بأنه أثناء نشر دعوته لاقى الصعاب وما من باب إلا وطرقه الكفار جاهدين لكي يشوه عن تبليغ الرسالة . فجميع تلك الصعاب والمشاق الجسدية والمعنوية لم تثنيه عن موافقة

دعواه الربانية ، وجميع تلك الفتن التي واجهها مستعصماً بالله تعالى متوكلاً عليه، وعندما ندرك بأن الرسالة الإسلامية لم تأتنا على طبق من ذهب، إنما عانى أصحابها أشد المعاناة الجسدية والنفسية فأوصلها إلينا كاملة كما أنزلها إليه رب العالمين ، فلذلك لا يسع قلوبنا ووجداننا إلا أن تقترب مشوقة لحبة خير خلق الله الصابر المحتسب رسول الله . (العامر، ص ٤٨).

(٣) ان الرسول صلى الله عليه وسلم يستأهل المحبة لأن حبه درجة من درجات حب الله لنا كما قال تعالى على لسانه :

! قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُجِبُونَ اللَّهَ
فَأَتَتِّبُعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آل عمران : آية ٣١)

وكم أن الاتباع مقررون بمحبة المتبوع ، وعندما نحب المتبوع محمداً صلى الله عليه وسلم فإننا بذلك نتألّم محبة الله خالق الأكوان رب العالمين، وهذه درجة عظيمة يتمنى كل فرد مسلم أن ينالها . (عثمان ١٤١٢هـ ، ص ٥٦).

(٤) ونحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكمال خلقه فقد وصفه الله رب العالمين بذلك كما قال تعالى :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ

(القلم : آية ٤)

وَكَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى : "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خَلْقِ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَتْ كَانَ خَلْقَهُ الْقُرْآنُ". فَإِذَا الشَّاءُ عَلَى صَاحِبِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ جَاءَ مِنَ الْخَالِقِ لِحِبِّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَلَا يَكُونُ ذَلِكَ تَشْرِيفًا لِأُمَّتِهِ بِاغْتِمَارِ مُحِبَّتِهِ صَاحِبِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٥) كَمَا يَسْتَحقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحِبَّتِهِ لَأَنَّهُ يَحْبُّ الْخَيْرَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعَهُ . لِذَلِكَ أَنَّ نَحْنَ وَنَقْرُبُ قُلُوبَنَا مِنْ يَنْتَقِرُّ بِنَا بِعَطْفِهِ ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْبُّنَا حَبًّا عَظِيمًا ، فَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْفَفَ عَنِ الْأُمَّةِ الصَّلَاةَ وَذَلِكَ فِي قَصْةِ الْأَسْرَاءِ وَالْمَرْاجِ رَحْمَةً وَعَطْفًا عَلَى أُمَّتِهِ ، وَأَدْخِرْ دُعَوَتِهِ لِأُمَّتِهِ لِكِي يَشْفَعَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلِمَنَا السَّبِيلَ لِنَيْلِ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ بِالدُّعَاءِ الْمُأْثُورِ اللَّهُمَّ رَبُّ هَذِهِ الدُّعَوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضْيَلَةَ وَالدُّرْجَةَ الْعَالِيَّةَ الرَّفِيعَةَ وَابْعَثْهُ اللَّهُمَّ مَقَامًا الْمَحْمُودِ الَّذِي وَعَدْتَهُ إِلَّا حَلَتِ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (أَبُو دَاوُدُ، ط٣، ٢٣١، ج٢، ص٤١) . كَمَا أَنَّ مَا مِنْ بَابِ خَيْرٍ إِلَّا وَدَعَانَا إِلَيْهِ لِتَالِهِ ، وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَمَا يَرَى مِنْ أُمَّتِهِ مَنْ يَعْذِبُونَ فَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " امْتَي ... امْتَي ... لَذَا وَجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْاعْتِزَازَ فِي النُّفُوسِ وَالتَّزَامُ قَوْلُ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنِّي أَحْبَكَ وَأَحْبَبُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَنَحْنُ رَسُولُ اللَّهِ لِفَرْطِ رَأْفَتِهِ وَعَمَقِ شَفْقَتِهِ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَذَهَّبَ نَفْسُهِ أَسْفًا عَلَى قَوْمَهُ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

الْعَلَّاكَ بَلْ خَلَقْتَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

(الشعراء : آية ٣)

(٩٤)

فقد أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر بن العاص : ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى عز وجل في ابراهيم :

رَبِّ إِنَّمَا أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
فَمَنْ يَعْمَلْ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ

(ابراهيم : آية ٣٦)

وقال عيسى عليه :

إِنْ تَعْذِيزُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(المائدة : ١١٨)

فرفع يديه وقال " اللهم أنت أنتي " وبكي فقال الله عز وجل يا جبريل إذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسألة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال . وهو أعلم . فقال الله يا جبريل إذهب إلى محمد فقل : إننا سترضيك في أمتك ولا نسوءك " (مسلم، شرح النووي، ج ١، ٤١١هـ، ج ١، ص ١٩١) . وأكراماً للنبي المحب لأمته جعله الله شفيعاً لأمته الحبة له يوم القيمة " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل لكل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة فهي نائله إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً " (مسلم بشرح النووي، ج ١، ص ١٨٩هـ) . (البخاري، ١٣٨٣هـ، ج ٨، ص ١٨٢).

ونحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائد الذي عمد إلى تطيب القلوب حيث عمد إلى ذلك مع كافة المهاجرين ومع الأنصار . فتطيب القلوب هو أثمن شيء

يحصل عليه رئيس الدولة ، كما يحصل عليه الأفراد فيما بينهم . فقد كان رسول الله يفعل هذا ويحرص عليه فكان ما أن يلاحظ تذمراً أو عدم رضا بين الناس ل موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات حتى يسرع لبيانه وتطيب قلوب المسلمين ففعل هذا مع الأنصار . " فعندما دخل سعد بن عبادة في الجعرانة على رسول الله فقال : يا رسول الله إن هذا الحبي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك - أهل مكة - وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحبي من الأنصار منها شيء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ، قال : فاجمع لي قومك في هذه الخظيرة ... فأتاهم رسول الله فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : " يامعشر الأنصار ، ما قاله بلغني عنكم ، وجدة وجدتوها على في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالاً فأغناكم الله ، واعداء فألف بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، والله ورسوله المن والفضل . قال : ألا تحبوني يا معاشر الأنصار ؟ قالوا : بعافاً نحبك يا رسول الله ، الله ورسوله المن والفضل قال : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصدقتم : أتيناك مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فآسيناك .

أوجدتم يا معاشر الأنصار في أنفسكم على الطاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترثون يا معاشر الأنصار أن يذهب الناس بالشأة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمرعاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً " سلكت شعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار وابناء الأنصار ، وابناء أبناء الأنصار " وسع الأنصار ما قاله رسول الله ، ورسموا - في خاطرهم - صورة ذهنية لما قال رسول

الله " قوم يشرون بالإيمان ، يقابلهم قوم يشرون بالجمال " و " قوم يصحبهم رسول الله يقابلهم قوم يصحبهم الشاة والبعير " و توقعهم الصورة من إغفاءة فكرية كانوا فيها ، و رسول الله ماثل أمامهم و يدركون أنهم وقعوا في خطأ ما كان لأملاهم أن يقع فيه ، فتطلق حناجرهم بالبكاء و ماقيهم بالدموع ، و يصيحون رضينا برسول الله قسماً وحظاً " . (مسلم بشرح النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٧ ، ص ١٥٧ - ١٥٩) .

فهذا دليل على حب النبي صلى الله عليه وسلم و شفقته على أمته و رحمة بها .
فمن كان يعبر على الجانب الوجданى المتواصل في أعماق وجداه بال موقف وبالكلمة المباشرة وبال فعل . وجدير من كان يمثل هذا الوجدان ان تسوق اليه القلوب و تتوجه بكليتها الى محبتة وأن تجعل من حبه و سيلة قربى و زلفى الى الله عز وجل .

٦) وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كامن في الوجدان لأنه يجسد حياتنا بالمثل الأعلى ، فهو مثلنا الأعلى في التقوى والعبادة ، وهو مثلنا الأعلى في المعاملات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية ، ومثلنا الأعلى في الأخلاق الفاضلة ، ومثلنا الأعلى في الدعوة الى الله تعالى ، فهو كالنور الذي نهتدى به في طريقنا المظلم .

قال تعالى :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُهُوَةً
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَذِكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا

(الأحزاب : آية ٢١)

وقوله تعالى :

الَّذِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٦﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا

(الأحزاب : ٤٥ - ٤٦)

(٩٧)

فمن اللائق للمسلم ان يكن للرسول الحبة والطاعة والانقياد لأنه إذا لم يفعل يكون كاذباً في دعوى الحبة ناقضاً عرى الاعيال ، كما قال تعالى :

إِنَّمَا يُحَمِّلُكُم مُّؤْمِنُونَ
هُنَّ الظَّاهِرُونَ
فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجٌ مِّمَّا فَضَيْتَ وَمُسْلِمٌ وَأَسِيمًا

(النساء : آية ٦٥) .

٧) وعندهما نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإننا نبالغ ثماراً طيبة، فمحبته كالشجرة المشمرة ، فقد أثمرت حب الله تعالى لنا ، وأثمرت حب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأثمرت حب الملائكة عليهم السلام المتمثل في الاعتراف بهم والاتباع لما جاؤوا به، اثمرت حب الصحابة رضي الله عنهم وزوجاته متمثلة في الاقتداء بهم والتأسي بسيرتهم وأثمرت حب جميع المسلمين المتمثلة في ترابط الأمة أمتها عليه السلام ."كتتم خير أمة أخرجت للناس" .

٨) ونحن نحب رسول الله لأنه أرشدنا إلى كيفية إتباع الأسلوب الأمثل للمواقف الثلاثة التي ما من إنسان إلا ويتوقف فيها . وهي موقفنا من الدنيا - وموقفنا من الحياة البرزخية وموقفنا من الخشر .

فجسد لنا رسول الله تلك المواقف الثلاثة الدنيا والقبر والخشر ، حتى تكون على بصيرة لا جتيازها متأملاً لنا عليه السلام أن نبالغ الجنة التي هي غاية السعادة ونجو من النار التي هي غاية الشقاء ، فرأفته ورحمته هي الدافع لتوضيح تلك المواقف كما

قال تعالى : إِنَّمَا يُحَمِّلُكُم رَّسُولُنَا مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(سورة التوبة : آية ١٢٨)

فهذا وذاك دافع لنا أن نحبه عليه السلام أكثر من أنفسنا وأولادنا والدنيا والناس أجمعين . (العامر ، تقديم أحمد القطان ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٤٨ - ٥٢) .

وهناك بعض العلامات الدالة على محبة الرسول :

من العلامات الدالة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرص على أحواله وسيرته وشمائله ، فالمعرفة لها ارتباط وثيق بالحب ، وإذا لم يعرف المسلم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ويعرف عليه وعلى عظيم سيرته وقدره ومكانته في نفسه وعند ربه عز وجل فسيكون حبه له ضعيفاً منزرياً في داخل النفس والوجدان فقط دون تأثير على السلوك . فإذا أراد الفرد أن يزداد حبه لرسول الله فلا بد له من معرفته ومعرفة جوانب شخصيته وأخلاقه وذلك بطالعة سيرته وشمائله وأيامه والنظر فيها بعمق من كتب السيرة والأصول لاستخلاص الدروس وال عبر والعيش مع الرسول والأحداث التي واجهته والماضي التي وقفها والأعمال التي قام بها والنظر إلى حال الصحابة معه وكيف كان عيشهم وجهادهم لأعدائهم وحبهم لنبيهم ، فيزداد بذلك حبه في وجدان الفرد ، ومن ثم يعمل على إتباع سيرته وسيرة صحبه . فالاتباع دليل المحبة الأول ، وهو شاهدتها الأمثل وهو شرط صحة هذه المحبة وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح : فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم هو من أطاعه واقتدى به وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه ، وظهرت آثار ذلك عليه من موافقته في حب ما يحبه وبغض ما يبغضه . (الخولي ، ١٤١٢ هـ ، ص ٦٧) .

ويؤكد القاضي عياض ارتباط المحبة بالإتباع والاقتداء والموافقة فيقول : " أعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقه ، وإن لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً . فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه . وأوها :

(٩٩)

الاقداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله ، وامثال أوامرها واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه . (البحصي، ١٣٩٩هـ / ج ٢، ص ٢٤).

وشاهد هذا قوله تعالى :

قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُجْنِبُونَ اللَّهَ
فَأَتَيْتُكُمْ يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَعْرِلُكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آل عمران : آية ٣١)

كما أن إشار ما شرعه على هوى نفسه وموافقة شهواته كما قال تعالى :

وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْتَغِيَاءَ مَرْهُصَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

(سورة البقرة : آية ٢٠٧)

فأقوى شاهد ومظهر وأوضح علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الإتباع والإيثار .

ومن العلامات الدالة على محبة رسول الله محبة القرآن الذي أتى به وهدى به وتخلق به في جميع الأحكام حيث قالت عنه السيدة عائشة عندما سئلت عن خلقه كان خلقه القرآن هذا في تفسير وإنك لعلى خلق عظيم ، كان خلقه القرآن أي متمثلاً بأوامره ومتنهياً عن زواجره ومتمسكاً بآدابه وما اشتمل عليه من مكارم أخلاقه . وجبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه في مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان أحوال أنيائه وعاقبته أعدائه . (القاضي عياض، شرح القاري، د.ت)، ج ٢، ص ٥٠-٥١).

وحب رسول الله يقتضي محبة القرآن الذي هو كلام الله المنزلي عليه لاتباعه واتباع منهجه الذي رسه للأمة . يقول الإمام الغزالى في إحياءه : فعلام حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب إليه .. فإن من أحب رسول الله الحبيب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه . ومن غالب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباده الصالحين .

(أبو حامد الغزالى، (د. ت)، ج٤، ص ٣٤٣) .

ومن علامات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم كثرة تذكره وتغنى رؤيته والشوق إلى لقائه ، ذلك أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ولا يكون ذلك إلا إذا شغلت الخبرة قلب الحب وفكرة ، وسبب ذلك استحضار الأسباب والداعي الباعثة على حب رسول الله ومعرفة قدر النعمة التي أنعم الله بها على الناس إذ بعث فيهم رسول الله . ويتبع ذلك تغنى رؤيته صلى الله عليه وسلم والشوق إلى لقائه وسؤال الله اللحاق به على الإيمان وأن يجمع بينه وبين حبيبه نبيه صلى الله عليه وسلم في مستقر رحمته . (الخولي، ١٤١٢هـ، ص ٩٠).

وهذه نماذج من محبة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم به . روى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان مالي أراك محزوناً " ؟ فقال يانبي الله شيء فكرت فيه، فقال ما هو ؟ قال : نحن نغدو ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك ، وغداً ترفع مع النبيين ، فلا نصل إليك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فأتاه جبريل بهذه الآية :

وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ
أُولَئِكَ رَفِيقًا

(النساء : آية ٦٩)

الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فبشره "ابن كثير-الصابوني، ٢٤٠٢ هـ،

جـ١، صـ٤١١ .

وعن عائشة قالت : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يارسول الله إنك لأحب إلي من نفسي ، وأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي ،
واني لاكون في البيت فأذكري فما أصبر حتى آتيك فانظر إليك ، وإذا ذكرت موتي
وموتوك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفت مع النبيين ، وإن دخلت الجنة خشيت ان
لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه : ﴿ وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ
وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (ابن كثير - تحقيق الصابوني، جـ١، صـ٤٦١).

ومن محبته بالإضافة إلى تمني رؤيته والشوق إليه تمني سلامته . روى البيهقي وابن إسحاق أن نسيبة بنت كعب الأنصارية قد قتلت أبوها وأخوها وزوجها شهداء أحد ،
فقالت لما أخبرت بذلك : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ "تسأل عن
سلامته" قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحيين ، فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما

رأته قالت : " كل مصيبة بعد جلل " أي كل مصيبة بعد سلامتك هينة " (ابن هشام وآخرون ، (د.ت) ج ٣ ، ص ١٠٥) .

وهذه المحبة جعلت أبا دجابة ينصب نفسه ترساً لرسول الله في أحدٍ ، فجعلت السهام المصوبة على رسول الله تقع في ظهر أبي دجابة ، وأبو دجابة سعيد بها في ظهره ما دامت لم تصب رسول الله وهو يقول : نفسي دون نفسك فداء يارسول الله . (ابن الجوزي - تحقيق محمد فاخور - قلعة جي ، ١٩٦٩ م ، ج ١ ، ص ٤٨٥) .

عن حصين بن وحوح ان طلحة بن البراء أنه لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم جعل يدניו منه ويلتصق به ويقبل قدميه فقال له يارسول الله مرنبي بما أحبت لا أعصي لك أمراً فعجب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وهو غلام فقال له أذهب فأقتل إباك فذهب ليفعل فدعاه فأقبل فاني لم أبعث بقطيعة رحم . قال فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقال اني لا أرى طلحة إلا قد حدث به الموت فاذنوني به وعجلوا فإنه لا ينبغي لمسلم أن يحبس بين ظهراني أهله - هكذا أورده أبو داود مختصرأ كعادته في الاقتصاد على ما يحتاج إليه في بابه أورده ابن الأثير من طريقه ثم قال بعده - روى انه توفي ليلاً فقال أدفعوني والحقوني برببي ولا تدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخاف عليه اليهود أن يصاب في سببي ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح فجاء حتى وقف على قبره وصف الناس معه ثم رفع يديه وقال اللهم الق طلحة وأنت تضحك إليه وهو يضحك إليك " . (العسقلاني ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٢٧) .

ومن علامات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة قرابته وآل بيته . فمن محبة الفرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم امتدادها لآل بيته بل تقتد هذه المحبة الى صحباته

من المهاجرين والأنصار ، وبغض من شتمهم - فمن أحب شيئاً أحب من يحب . فحربي بالمؤمن الكامل الإيمان أن يحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما وقد أوصى بهم . فقد روى اسماعيل بن ابراهيم عن يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحسين بن سيرة وعمر بن مسلم إلى يزيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حسين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثكم فأقبلوا وما لا فلا تلروا فيه ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً جاءه يدعى ضما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم تقلين أو هما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذلوا بكتاب الله وأستمسكوا به . فتحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ، فقال له حسين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . قال كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم . (مسلم - بشرح الترمذ ، ١٤١١هـ ، ج ١٥ ، ص ١٧٩-١٨٠) .

ومن محبته صلى الله عليه وسلم مجدة صحابته من المهاجرين والأنصار وعداؤه من عاداهم وسبهم .

فمن أحب شيئاً أحب من يحب ، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين اللهم أني أحبهما ، وقال من أحبهما فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله

(١٠٤)

تعالى ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله تعالى . وقال في الحسن
اللهم إني أحبه فأحب من يحبه . وقال الله اللهم في أصحابي لا تخدوهم غرضاً بعدي
فمن أحبهم فبحي أحبهم ومن أبغضهم فيبغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن
آذاني فقد آذى الله تعالى ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذنه . (عياض - شرح القاري،
(د.ت) - ، ج ٢ ، ص ٤٧) .

فمن علامات محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حب آل بيته وأصحابه
ومعرفة فضلهم وقدرهم والثناء عليهم بما هم أهل ، والانتصار لهم في من يؤذيهم وبغير
الخير بذكرهم ، فهم خير هذه الأمة بعد نبيها ، ويكتفي أنهم فازوا بشرف نسبة
وصحبته صلى الله عليه وسلم ، وأن الله خصهم بهذا الشرف دون غيرهم من العالمين
فكانوا لهم منزلة الصحبة التي لاتعاد لها أي منزلة سواها في هذه الأمة ، وقد أثنى الله
عليهم في كتابه في مواضع كثيرة . (عثمان ، ١٤١٢هـ ، ص ٩٣) . في قوله تعالى :

وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
أَتَبْعَوْهُمْ بِالْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَ
لَهُمْ جَنَّتٍ تَجَرَّى تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

(التوبه : آية ١٠٠) .

وقال تعالى :

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يَأْتُونَكَ تَحْتَ السَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَشْبَهُمْ فَتَحَاقِرِيَّا
(الفتح : ١٨) .

وقال تعالى :

لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَتَعْنُونَ فَضَلَالًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُونَا وَيُنَصِّرُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يَحْبُّونَ مِنْ هَاجَرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صَدْرِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوَقَّعْ سُحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا
وَلَا خَوْنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا بَنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(الحشر : آية ٨-١٠)

فهؤلاء هم آل بيت رسول الله وصحابته أصحاب الوجدان النقي وزراء النبي صلى الله عليه وسلم والقدوة الحسنة بين المسلمين . فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فأصطفاه لنفسه ، وابتعد عنه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فيما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئاً " (ابن حنبل، ط ٢، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٣٧٩) .

فصحابة رسول الله ينبغي إعلاء منزلتهم التي أنزلتهم الله إليها وينبغي الاقتداء بهم لكونهم القدوة الحسنة لاتصالهم برسول الله تأسياً ومحبة .

وقد قال عبد الله بن مسعود في تعداد محامدهم وفضائلهم ، ووجوب التأسى بأفعالهم الحميدة ، ووجدانهم الكريم .. " من كان متأسياً فليتأسى بأصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً ، وأحسنا حالاً .. اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم " .
 (علوان ، ١٣٩٨هـ ، ج ٢ ، ص ٦٥٣) .

وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي على المسلم توخي الخدر من ذكرهم بشيء يسيء إلى سمعتهم ، كما ينبغي التصدي لمن مسهم بسوء ، لأنه ينبغي عدم سبهم وشتمهم .

فقد أجمع العلماء على حرمة سبهم وتجريحهم أو الطعن فيهم والخط من قدرهم وقد نهى رسول الله عن ذلك في قوله فيما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لاتسبوا أصحابي ، فإن أحدكم لو اتفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " . (احمد بن حنبل ، ط ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٤) .

فصحابة رسول الله هم المكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله سبحانه وتعالى اختارهم لنشر الدعوة بعده صلى الله عليه وسلم فلهم الكفاح في تبليغ سنته فأوصلوا الدين كاملاً إلى من بعدهم من التابعين واتباع التابعين .

فمقام أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من أي فرد آخر
 العمر كله كما قال بذلك رسول الله فيما روي " عنه فسیر بن زعلوق قال : كان ابن عمر يقول لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره " (ابن ماجة ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ ، ج ١ ، ص ٣٢) .

فالعلماء أجمعوا على حرمة سب صحابة رسول الله وتجريحهم أو الطعن بهم أو التعرض لحقهم حيث أن ذلك يعتبر ايذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقاداً له

وحط من مكانته عليه السلام لأنهم أصحابه الذين رباهم وزكاهم ، وذكرهم بخير وأوصى بهم خيراً ، ومعلوم ان ايذاء أصحاب النبي ايذاء للنبي صلى الله عليه وسلم . والطعن في صحابة رسول الله والتجریح لهم يؤدي إلى إبطال الشريعة إذ هم نقلتها والبلغون لها . قال القرطبي : من نقص واحداً منهم ، أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين . (القرطبي، ١٩٦٥م، ج٦، ١٦٢) .

فلا ينبغي للمسلم أن يبطل شرع الله ومنهاجه الذي رسّمه وفيه خير الدنيا والآخرة وفيه كفاية شر الدنيا وعذاب الآخرة .

فالهدف التربوي المستقى من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وآل بيته الطيبين حتى يتأسى المسلم بسير الأولين وشخصياتهم حركة وبطولة وجهاداً وتعاماً فيرتبط المسلم بالتاريخ شعوراً بتلقين الولد منذ نشأته أصول الإيمان ، وأركان الإسلام ، وأحكام الشريعة وتأديبه على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب آل بيته وحب الأصحاب القواد الفاتحين .. حتى يتربى على الإيمان الكامل والعقيدة الراسخة .. وإذا ترعرع وكبر لم يتزعزع ولم يتأثر بالرجل الإلحادي ولم يتأثر بدعایات أهل الكفر والضلالة ..

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : نعلم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن .

كما أوصى الإمام الغزالى في الأحياء : " بتعليم الطفل القرآن الكريم وأحاديث الأخبار الدينية " وحكایات الأبرار تمثل أولاً في مغازي رسول الله وسيرته ثم صحابته الكرام .

روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أدبوا أولادكم على ثلات خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن فإن حكمة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه واصفيائه " (الهندي، ١٤٠٩ هـ ، ج ٦ ، ص ٤٥٦) .

والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عن محنة أناس من أمته له بعد عهده . وهؤلاء الناس هم التابعون واتباع التابعين وسائر المسلمين . فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أشد أمتي حباً ، ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رأني بأهله وما له " (مسلم بن حجاج، ١٣٣٤ هـ، ج ٤، ص ٢١٧٨) . (مسلم بشرح النووي، ١٤١١ هـ، ج ٧، ص ١٧٠) .

فمحنة رسول الله وصحابته من أكبر العوامل في التأثير على القلوب والوجدان .. ومن أعظم الأسباب في نشر الإسلام وفي تربية البشرية إلى سبيل الإيمان وطريق الإسلام . فما أجر بالمربي والمتعلم والمجتمع أن يفهموا هذه الحقيقة وإن يعطوا لغيرهم القدوة الصالحة والأخلاق الفاضلة ، والسمعة الحسنة ، والمعاملة الطيبة ، والصفات الإسلامية النبيلة ، ليكونوا دعاة خير وحق وامتداداً للتربية المحمدية . (علوان، ١٣٩٨ هـ، ج ٢، ص ٦٥٣) .

وحرى بأمة محمد أن تسعى لإكتساب حبه بالقدوة به صلى الله عليه وسلم فكراً وسلوكاً ووجداناً جماعة وأفراداً يكونون دعاة ومربيين للأجيال لاخراج خير أمة أخرى جئت للناس .

الفصل الثالث

الانفعالات مجال من مجالات التربية الوجدانية في الإسلام

١) مفهوم الانفعالات في الإسلام .

٢) أنواع الانفعالات في نظر الإسلام .

أ - الانفعالات السلبية والطرق التربوية لعلاجها في الإسلام :

١- الغضب . ٢- الخوف . ٣- الحسد ٤- الحقد . ٥- الغرور

٦- الجبن .

ب- الانفعالات الإيجابية والطرق التربوية لتنميتها في الإسلام :

١- الشجاعة . ٢- الشقة ٣- العزة ٤- الحذر ٥- الفرح

٦- التواضع .

الانفعالات مجال من مجالات التربية الوجدانية في الإسلام :

١ - مفهوم الانفعالات في الإسلام :

يعتبر مجال الانفعالات والعواطف من صميم الوجدان الإنساني ، لأنها أوضح من غيرها وجوداً وتأثيراً في حياة الإنسان .

والانفعال : هو : -

حالة نفسية ذات صبغة وجدانية قوية مصحوبة بتغيرات فسيولوجية سريعة وبحركات تعبيرية كثيرة ما تكون جلية أو عنيفة ، وينشأ الانفعال عادة من إعاقبة فجائية لميول أو رغبات قوية أو عن إرضاء غير منتظم لهذه الميول ، وفي الانفعال نواح إدراكية تسبقه وتصحبه ، وفيه التغيرات الجسمية التي تصحبه وتتبعه مباشرة وهي ضرورية للحالة النفسية ، والانفعالات باعتبارها وجدانات نفسية من أهم سماتها أن التغيرات العضوية التي تصحبها تختلف باختلاف نوعية الانفعال ، وانها تفترض وجود حالة نفسية سابقة على هذه التغيرات ، وان المثير لها قد يكون أمراً خارجياً ، وقد يكون أمراً معنوياً داخلياً يتعلق به الإدراك . وان الانفعالات لا تخضع مباشرة للإرادة ، وان الشعور الوجداني يهدأ بزوال مثيره . (حب الله، ١٩٤٨م، ص ١٧) .

والانفعال : كما يعرفه محمد (١٤٠٥هـ) : في كتابه علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام: هو تغير مفاجيء يشمل الفرد كله نفساً وجسماً ويؤثر في الإنسان ككل في سلوكه الخارجي وتكويناته الوظيفية . والانفعال كحالة وجدانية له سمات يتسم بها : فهو حالة قوية مصحوبة باضطرابات فسيولوجية حشوية بارزة تغشى أجهزة التنفس والدورة الدموية والجهاز العضلي والجهاز الغدي الهرموني ، وهو حالة تبدو على الفرد

بصورة مفاجئة أي بصورة لا تتيح له الفرصة على الاحتفاظ بتوارثه وتكيفه . كما تأخذ صورة أزمة عابرة فلا تبقى وقتاً طويلاً . (محمد ، ص ١٦٨ - ١٦٩) .

وهناك تعريف آخر للانفعالات . فالانفعالات كما عرفها عبد البديع الخولي (١٩٨٧م) : هي الحالات النفسية الوجدانية المصحوبة بتغيرات فسيولوجية سريعة ، وبحركات تعبيرية كثيرة ما تكون حادة وتحدث جلية عندما يعاقد ميل من الميل ، أو تشتد إحدى الرغبات أو ترضى على غير انتظار ، والانفعالات والعواطف لها علاقة مرتبطة بعضها البعض . ولها أثرها ومكانتها في التكوين الوجداني للشخصية . (الخولي، ص ٥١٥) .

وتعريف الانفعالات عند علماء التربية الإسلامية القدامى أمثال القابسي والزرنوجي والغزالى ... وغيرهم إنما ورد بالتفصيص مثل " الانفعال الغضبي" الذي عرفه الغزالى . وسوف يرد ذكر هذه التعريفات عند دراسة أنواع الانفعالات في نظر الاسلام في الفقرات اللاحقة .

٢ - أنواع الانفعالات في نظر الإسلام :

تبدأ الانفعالات في نظر الإسلام منذ أن يولد الإنسان هي فطرية، وهي التي تعبر عن مشاعره وأحساسه وتكون وجدانه ، وترتبط في مواقفه والتجاهاته وتكيفه مع ظروف البيئة الخارجية التي يعيش فيها . ويidel على ذلك فيما روى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارحاً من مس الشيطان ، غير مريم وابنها " . (الألباني، ٤٠٢، ج ٥، ص ١٦٢) . (مسلم بشرح النووي، ١٤١١هـ، ج ٥، ص ١٥) .

في دراسة حياة الطفل النفسية منذ مرحلة الطفولة المبكرة تتضح لنا الانفعالات التي يبديها ، وكثيراً ما تتسم هذه الانفعالات بالجدة والقوة كالخوف أو الفزع الذي

يعتريه عندما يسمع فجأة صوتاً عالياً يشق عليه سكونه ، أو كبكائه عندما يشعر بالجوع أو العطش أو ما يتعلق راحته ، أو كصراخه .

وقد تتسم انفعالات الطفل بعدم الشبات وسرعة الانتقال من حالة إلى أخرى . وكلما تقدم في السن ونضجت مداركه العقلية توسيع علاقاته الاجتماعية وزادت صلته بالأشياء وتعرفه عليها فأصبح أقدر على ضبط انفعالاته والتحكم فيها ، نتيجة لما تخضع له حياته الوجدانية من تهذيب وتنظيم وتوجيه تربوي يحقق لها التوازن والاعتدال اللازم لبناء شخصيته بناءً سليماً (الزنتاني، ١٩٨٤م، ص ٥٨٣) .

ولأن الانفعالات متعددة وتعتبر من أخص صفات الحياة واعتدالها أو تطرفها نلمس أثره في علاقات الإنسان بالأشخاص والأشياء ، فإن الدراسة تكتفي في تربية الانفعالات من الوجهة الإسلامية بذكر بعض الانفعالات السلبية والطرق التربوية لعلاجها في الإسلام مثل انفعال الغضب، والخوف ، والحسد، والحدق، والغرور، والجبن.

وذكر بعض الانفعالات الإيجابية والطرق التربوية لتنميتها في الإسلام . مثل الشجاعة، الثقة، العزة، الحذر، الفرح، التواضع.

١- الانفعالات السلبية والطرق التربوية لعلاجها في الإسلام :

١- الغضب :

يعرف الإمام أبو حامد الغزالى الانفعال الغضبي بأنه شعلة نار اقتبس من " نار الله الموددة التي تطلع على الأفءدة" (سورة الهمزة: آية ٦) . وأنها مستكنة في طي المؤاذن والوجدان استكانه الحجر تحت الرماد " ويعرفه أيضاً بما يشبه تعريف أسطوله فيقول : " انه غليان دم القلب بطلب الانتقام " (الغزالى، د.ت)، ج ٣، ص ١٦٠).

ويعرف ابن مسكوني الغضب : بأنه حركة للنفس يحدث لها غليان دم القلب للانتقام . (مسكوني، د.ت)، ص ١٦٤ .

والإمام الغزالى يضع الانفعال مع جملة دوافع السلوك وبراعته . كما يشير إلى أن كل الناس يتلقون في غضبهم أو خوفهم إذا مس ما يتعلق بالقوت والمسكن وصحة البدن ولكن بعضهم فقط ينفعل بتهديد أمور ليست ضرورية بالطبيعة ، ولكنها صارت كذلك في حق البعض اكتساباً وعادة . وعلى العموم فإن كل ما هو ضروري في حق إنسان يجعله ينفعل إذا تعرض الناس له " (الغزالى، د.ت) ج ٣، ص ١٦٥ .

وهذا ما يؤكده قوله تعالى :

وَإِنَّ الْإِنْسَنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ ۱۱ إِذَا مَسَهُ الشَّرْجُزُ عَـا

(سورة المعارج : آية ١٩ - ٢٠) .

والغضب حالة نفسية يشعر بها كل إنسان الصغير والكبير ، ولكن هناك فروقاً واضحة بين الأفراد . كما يشير إلى ذلك الغزالى حيث يقول : فالمريض أسرع غضاً من الصحيح، والمرأة أسرع غضاً من الرجل، والصبي أسرع غضاً من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضاً من الكهل ، ذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضاً من صاحب الفضائل . (الغزالى، د.ت)، ج ٣، ص ١٧٢ .

كما تختلف أيضاً أساليب التعبير عن الغضب من فرد إلى فرد آخر اختلافات واضحة ، فالطفل يختلف عن الرجل عن المرأة من حيث وسيلة التعبير عن الغضب . هذا فضلاً عن أن المواقف المثيرة للغضب تختلف من فرد إلى آخر كما تختلف في شدتها اختلافات بينه . ونظراً لفطرية إنفعال الغضب فإنه يخضع غالباً لقوانين الوراثة ، ولكن

(١١٤)

لأنه صفة نفسية فإنه يخضع في نفس الوقت لأثر العوامل البيئية كالتقاليد والعادات والمثل والمعاملة ودرجة حرارة الجو ونوع التغذية والتي ذلك من عوامل البيئة . (محمد، ١٤٠٥هـ، ص ١٧٧-١٧٨).

والغضب له جانب ايجابي وآخر سلبي . فالغضب الايجابي يتمثل في غضب المؤمن لنصرة دين الله ويكون موجهاً لمن خالف الدين أو عادى الدين ، كما يغضب حينما يترك حد من حدود الله ، فهذا الغضب محمود من قبل الله سبحانه وتعالى من قبل نبيه ومن المؤمنون . وهذا الانفعال من الغضب يشير الاسلام الى أهميته وضرورته في بعض المواقف ، حيث مدح القرآن الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين معه كما قال تعالى :

شَرِّهُ وَرَبُّهُ وَرَبُّ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَنَاهُمْ
تَرَبَّهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَغَوَّلُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضِيَّوْنَا سِيمَا هُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ
فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ سُطْعَهُ دُفَاعَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى
عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيغْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

(سورة الفتح : آية ٢٩)

فالقرآن حث الرسول الكريم على جهاد الكفار والمنافقين والغلطة عليهم

كما قال تعالى :
يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ
أَمَّا وَيُهُمْ جَهَنَّمُ وَلِنَسَ الْمَصِيرُ

(سورة التوبه : آية ٧٣)

ولا تكون الغلطة والشدة إلا من الغضب ، فهذا توجيه تربوي إسلامي أن يوجه الغضب للدفاع عن المقدسات والحرمات ، ولذلك غضب الرسول صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً عندما حدثه أسامة بن زيد مستشفعاً في المخزومية التي سرقت .

"عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهملهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : من يجزيء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتشفع في حد من حدود الله تعالى !؟" ثم قام فاختطب ثم قال : "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأئم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" .

(النووي، (د.ت)، ص ١٩١) . (مسلم بشرح النووي، ج ١١، ص ١٨٦). وكذلك غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم للدفاع عن المقدسات والفرائض كما روي " عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدرى رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنني لأنتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان ، مما يطيل بنا ! فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظةٍ قط أشد مما غضب يومئذ . فقال : " يا أيها الناس إن منكم منفرين ، فأيكم أم الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير ، والصغير ، وذا الحاجة " (النووي، (د.ت)، ص ١٩٠). (البيهقي ، ٦٤٠هـ، ج ٣، ص ١١٥) .

أما الغضب السلبي ، فهو (انفعال) من الانفعالات السلبية التي ذمها الاسلام، إذا لم يكن هناك دواعٍ لغضبه أو كانت هناك دواعٍ أقل من أن يستنفر الانسان لها هذه القوة العارمة . لأن الافراط في الغضب يخرج الانسان عن العقل والحكمة والدين،

(١١٦)

ولايقى للإنسان بصيرة وادراك وفکر وحسن تصرف ، فيغلب عليه انفعال الغضب الذي هو قوة في النفس الأمارة بالسوء فينزع الإنسان إلى الانتقام والتشفي . فالإسلام يربى المسلم على أن يروض هذه الطاقة فلا يقوده الغضب ويغشاه ولكنه يوجهه إلى ما يفيده وما يحده عند زوال مثيراته . فالإسلام يبدأ بتوجيه الإنسان إلى ترويض الغضب والسيطرة عليه . فالقرآن الكريم أمر بالعفو وقت الغضب ومدح من يتحلى بـ وجداه بهذه الصفة ، بل جعل الثواب والمغفرة ، كما قال تعالى :

خُذِ العِوْنَوْمَ إِلَيْ الْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَنِّيلِينَ

(سورة الأعراف : آية ٢٠٠ - ١٩٩)

وقال تعالى :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَأَنَّيَّةً فَاصْبِحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ

(سورة الحجر : آية ٨٥)

وقوله تعالى :

وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتَوْا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا لَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِكُمْ
وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(سورة النور : آية ٤٢)

(١١٧)

وقوله تعالى :

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَوْنَى ظَمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(سورة آل عمران : آية ١٣٤)

وقوله تعالى :

وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَّمَ الْأَمْرُ

(سورة الشورى : آية ٤٣)

وقوله تعالى :

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيْئَةُ
أَدْفَعْ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٢٤) وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَنَهَا
إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ

(سورة فصلت : آية ٣٤-٣٥)

كما حثت السنة النبوية على التحكم في انفعال الغضب ، بل وضعت عدة أساليب للعلاج . فالرسول صلى الله عليه وسلم بين محسن اجتناب الغضب كما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : " إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه " (النووي ، ص ١٨٧).

ولأن للغضب مضار نفسية وجسمية واجتماعية فقد أوصى الإسلام المسلم باجتنابه . كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : تقوى الله وحسن الخلق " وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : " الفم والفرج " (النووي ، ص ١٨٥) . لأن الإنسان لحظة الغضب قد يتغوه بكلمات يندم عليها بعد أن يهدأ ، فالإنسان حين يشتد غيظه يفقد الرشد والصواب ، ويصبح شديد الانفعال ولا يدري ما يقول ويفعل . وقد يعتقد انه بذلك يظهر بمظهر المخترم لنفسه والمحافظ على كرامتها وهو إنما يظهر بمظهر الطائش الأحق وهو لاشك خاسر . بينما بالحلم والعفو يكون فطناً لأن الحلم دليل الفطنة ورجاحة العقل .

لذلك كانت وصية الرسول صلى الله عليه وسلم تجنب الغضب . كما روى "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني . قال : لا تغضب . فردد مراراً ، قال : لا تغضب " (النووي، ص ١٨٨) (ابن حببل، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٢٨٧) . فكظم الغيظ والعفو والصفح والإعراض عن الجاهلين كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : " اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " (النووي ، ص ١٨٦) . " وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم الله تعالى " . (النووي، ص ١٨٦) . " وعن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه إعرابي فجذبه برداهه جبدة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبه . ثم قال :

يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء " (النwoي ، ص ١٨٦) . فالرسول صلى الله عليه وسلم بين ما في السيطرة على النفس وحياتها من غوايـل الغضـب من قـوة وانضـباط فـعلاً وقولـاً كـما روـي " عن أبي هـرـيرة رضـي الله عنه قال : قال رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ : " لـيـس الشـدـيد بالـصـرـعـة ، إـنـا الشـدـيد الـذـي يـعـلـك نـفـسـه عـنـدـ الغـضـب " (الأـلبـانـيـ، ٤٠٢ـهـ، جـ٥ـ، صـ٨٧ـ) . (ابـنـ حـنـبـلـ، جـ٣ـ، صـ٢١ـ) . وكـما روـي عن مـعاـذـ بنـ أـنـسـ قال : قال رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ : " مـنـ كـظـمـ غـيـظـاً ، وـهـوـ قـادـرـ عـلـىـ أـنـ يـنـفـذـهـ ، دـعـاهـ اللهـ عـلـىـ رـؤـوسـ الـخـلـائـقـ ، حـتـىـ يـخـيرـهـ مـنـ الـحـورـ الـعـينـ ، يـزـوـجـهـ مـنـهـاـ ماـشـاءـ " (الأـلبـانـيـ، ١٩٨٢ـهـ، جـ٥ـ، صـ٣٥٣ـ) ، (التـرمـذـيـ، ١٣٥٧ـهـ، جـ٤ـ، صـ٣٧٢ـ) .

وكـما قال صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فيما روـيـ عنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهاـ : " أـنـ الـيهـودـ أـتـوـ الـنـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـالـوـاـ : السـامـ عـلـيـكـ قـالـ : وـعـلـيـكـمـ ، فـقـالـتـ عـائـشـةـ : السـامـ عـلـيـكـمـ ، وـلـعـنـكـمـ اللهـ وـغـضـبـ عـلـيـكـمـ ، فـقـالـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : مـهـلاًـ يـاـ عـائـشـةـ ، عـلـيـكـ بـالـرـفـقـ ، وـإـيـاكـ وـالـعـنـفـ أـوـ الـفـحـشـ . قـالـتـ : أـلـمـ تـسـمـعـ ماـقـالـوـاـ ؟ قـالـ : أـلـمـ تـسـمـعـيـ ماـقـلتـ ؟ رـدـدـتـ عـلـيـهـمـ ، فـيـسـتـجـابـ لـيـ فـيـهـمـ وـلـاـ يـسـتـجـابـ لـهـمـ فـيـ " (الـبـخـارـيـ، دـ.ـتـ)، جـ٨ـ، صـ١٠٦ـ) .

وكـما روـيـ عنـ اـبـنـ عـمـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ قالـ : قالـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : " إـذـا سـبـكـ رـجـلـ بـمـا يـعـلـمـ مـنـكـ فـلـاـ تـسـبـهـ بـمـا تـعـلـمـ مـنـهـ ، فـيـكـونـ أـجـرـ ذـلـكـ لـكـ وـوـبـالـهـ عـلـيـهـ " (الأـلبـانـيـ، ٤٠٢ـهـ، جـ١ـ، صـ٢٢ـ) (وـنـتـسـكـ وـأـخـرـوـنـ، ١٩٤٣ـهـ، جـ٢ـ، صـ٢٨٧ـ) . فـهـذـاـ تـوـجـيـهـ لـضـبـطـ الـنـفـسـ ، وـتـأـمـيـنـ فـوـرـانـهـ ، حـتـىـ لـاتـبـدـرـ مـنـ

الغاضب نكأة يندم عليها اما في نفسه او في المغضوب عليه (ابن الجوزي - سيد اللحام، د.ت) ، ص ٤٢) .

كذلك إتخاذ الإسلام طريقاً آخر في التربية لعلاج انفعال الغضب . وذلك بالاستعانة بالله والاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهاً إلى ذلك في قوله فيما روي " عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: " إستب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم موجهاً أحدهما تحرر عيناه وتتنفس أوداجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف كلمة لو قاها الذهب عنه الذي يجد ، أعود بالله من الشيطان الرجيم ، فقال وهل ترى بي من جنون " (ناصف، ٤١٣٥ هـ، ج ٥، ص ٥٣) (مسلم بشرح النووي، ج ٦، ص ١٦٤) .

وكما روي عن سليمان بن صرد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إني لأعلم كلمة لو قاها الذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعود بالله من الشيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد . " (الألباني، ١٤٠٢ هـ، ج ٢، ص ٣٢٨) ، (مسلم بشرح النووي، ج ٦، ص ١٦٣-١٦٤) .

وهناك أسلوب حركي يساعد الفرد على الاسترخاء وتهيئة الوجدان من الغضب فإذا كان يتكلم فليستكت . كما روي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا غضب أحدكم فليستكت " (الألباني، ١٤٠٢ هـ، ج ١، ص ٢٤٩) (الهيمني، ١٤٠٦ هـ، ج ١، ص ١٣١) وإذا كان الغاضب قائماً أن يجلس . كما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإن لم ينتفع " (الألباني، ١٤٠٢ هـ، ج ١، ص ٢٢٥) (أبو داود، ١٣٩٩ هـ، ج ١٣، ص ١٤٠) . وان يستعيد بالله سواء كان جالساً أو مضطجعاً فإنه بذلك يسكن غضبه . كما قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم فيما روي عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله سكن غضبه ". (اللباني، ٢١٤٠٢هـ، جـ١، صـ٢٥٠) (السيوطى، ١٤١٠هـ، جـ١، صـ٥٣). فالأسلوب الحركي مع الاستعاذه بالله من الشيطان الرحيم يسكن الغضب ويقلل من نسبة التركيز على انفعال الغضب ، بل قد يفرغ الطاقة فيتحول التركيز من انفعال الغضب إلى التركيز في عملية اجلوس أو الاضطجاع . فيعمل العقل على التفكير في المكان الذي يجلس فيه أو يضطجع فيه ، أو في عملية الوضوء لأن الوضوء أيضاً أسلوب من أساليب الإسلام في السيطرة على انفعال الغضب . كما روي عن عطيه السعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوهناً " (منصور ناصف، ١٣٥٤هـ، جـ٥، صـ٥٤) (السيوطى، جـ١، صـ١٢٨).

يتضح مما تقدم أن الإسلام يظهر الوجدان من آثار الغضب ويدفع إلى التحلسي بالصفح والاحسان لينال الفرد الجزاء في الدنيا والآخرة فيتربى المسلم تربية سليمة تعكس آثارها على المجتمع فيصبح مجتمعاً متعاطفاً متراهماً متماسكاً نتيجة التربية السليمة للوجدان .

٢ - الخوف :

الخوف أحد الانفعالات السلبية التي تطرق لها الإسلام في مجالات التربية الوجданية.

والإمام أبو حامد الغزالى (د. ت) يعرف الخوف بأنه عبارة عن تأمل القلب واحترافه بسبب توقع مكروه في الاستقبال " (جـ٤، صـ١٥٢) .

(١٢٢)

وابن الجوزي (د.ت) يعرف الخوف مع الحذر فيقول : الخوف والحذر إنما هي للمستقبل، والحازم من أعد للخوف عدته قبل وقوعه، ونفي فضول الخوف مما لا بد منه إذ لا ينفعه خوفه منه . (ص ٦١) .

وأبو العباس غرف الخوف (د.ت) : بأنه الانخلال عن طمأنينة الأمان، والتقييد، والتقطظ لنداء الوعيد، والحذر من سطوة العقاب . (بن أبي بكر ، ص ٣٦٢) .

وابن مسکويه يعرف الخوف (د.ت) : أن الخوف يعرض من توقع مكرره، وانتظار محذور، والتوقع والانتظار إنما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل . (ص ١٧٣) .

وقال أبو القاسم الحكيم (١٤١٠هـ) : الخوف نوعين : رهبة وخشية ، فصاحب الرهبة يتتجيء إلى الهرب إذا خاف ، وصاحب الخشية يتتجيء إلى الرب . وقال أبو القاسم أيضاً من خاف من شيء هرب منه ، ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه . (القشيري، ص ١٢٦) .

وابا حفص يعرف الخوف فيقول : إنه سراج القلب به يضر الخير والشر . (القشيري، ص ١٢٦) .

وقد ورد لفظ الخوف صريحاً في قول الله تعالى :

أَتَتَجَاوِفُونَ جُنُوبَهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خُوفًا وَطَمَعاً وَمَمَارِزَ قُنَاطِهِمْ
يُنِفِقُونَ

(السجدة : آية ١٦) .

(١٢٣)

كما أن الله سبحانه وتعالى فرض على العباد أن يخافوه كما قال تعالى :

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ

(آل عمران : آية ١٧٥)

وكما قال تعالى :

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَخِذُوا إِلَيْهِمْ
أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ لَّهٗ وَلَحْدَهٖ فَإِنَّمَا فَارَّهُوْنَ

(سورة النحل : آية ٥١).

كما مدح المؤمنين بالخوف فقال تعالى :

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ

(سورة الرعد : آية ٤١)

ونقل القشيري قول أبي علي الدقاد في تقسيمه للخوف على مراتب : الخوف والخشية والهيبة : واعتبر الخوف من شروط الإيمان وقضياه ، واستند إلى ذلك بقوله تعالى في القرآن الكريم من الآيات الدالة دلالة لفظية أو معنوية . (القشيري، ص ١٢٥) .

كما قال تعالى :

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ

(آل عمران : آية ١٧٥)

والخشية التي هي جانب آخر للخوف واعتبرها من شروط العلم . قوله تعالى :

وَمِنْ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَمُ
مُخْتَلِفُ الْوَنْدَهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الظَّلِيمُونَ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ

(سورة فاطر : آية ٢٨)

والهيبة التي هي جانب آخر للخوف واعتبرها من شروط المعرفة بالله . قال تعالى :

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تُودُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأْ بَعِيدًا وَيَحْذِرُ كُمْ
اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

(آل عمران : آية ٣٠)

ويستعمل بعض علماء التربية وعلم النفس أحياناً لفظي الانفعال والغريرة للتعبير عن نفس الظاهرة ولكن يجب قصر الانفعال على وصف الاستجابات من حيث هي مصبوغة بصبغة وجданية خاصة ، والغريرة على مجموعة من الاستجابات المتسلسلة بعض النظر بما يصاحبها من بطانة وجدانية فلا يصح أن يقال غريرة الخوف، بل يقال انفعال الخوف وغريرة الهرب . (الحازان، ص ٤٥-٤٦) .

ولا نكاد نجد انفعالاً مؤثراً في حياة الإنسان كالخوف، فلو لا ت تعرضنا لكثير من مخاطر الحياة ، كما نتعرض لمخاطر الآخرة من عذاب ومصير سيء والعياذ بالله . والخوف يؤثر في النفس فتستعد جسمياً وذهنياً لتلافي هذه الأخطار . فمن الطبيعي أن

يخاف الإنسان كما يجب الخوف منه ، وما يكون الخوف منه سبيلاً للنجاة في الدنيا أو الآخرة . (الخولي، ١٩٨٧م، ص ٥١٥) . بينما هناك نوع آخر من الخوف وهو مرض سلبي يلم ببعض الناس وهو الخوف المطلق : أي الخوف من أي شيء ، أي أنه غير مرتبط بشيء معين ، أو مرتبط بشيء معين ومحدد كالاماكن المغلقة ، فالمخاوف الطبيعية هي المخاوف الموجهة نحو موضوعات خطيرة على الحياة حقاً ، أما المخاوف المرضية فهي في الحقيقة خوف من أنفسنا مسقط على موضوع خارجي أو خوف من اندفاع مافي النفس ، خوف من "رغبات لاشعورية" ومن السهل أن ندرك الفرق بين نوعي الخوف ، فالخوف الطبيعي يؤدي إلى الكفاية البيولوجية وحسن الأداء كالمصيلاني الذي يخاف من تسمم عملائه فيدقق ويتحاط ويلاحظ في تركيب الدواء ، فهذا يؤدي إلى الكفاية والاتزان ، أما الخوف المرضي فإنه يؤدي إلى فقدان الكفاية البيولوجية كالمصيلاني الذي يتوهם أنه سهم أحدهما ، فيحاصره هذا الخوف ويؤدي إلى فقدان الكفاية والاتزان . (الخولي، ص ٥١٦) .

والتسامي بالخوف يؤدي إلى يقظة عقلية تدرك الصعوبات والأخطار وتستعد للاقاتها في كل المواقف ، وهذا نقىض الإهمال أو اللامبالاة ، فإن يكون الإنسان خائفاً خوفاً طبيعياً لا يعني أنه هياب جزع ، كالمجراح الذي يخاف أن يخطيء فيحدّر أسباب الخطأ، فعدم الخوف قرين الاستهتار . والثقة لا الاستهتار هي خط ذلك الرجل الذي يدرك الخطر ولكنه يدرك أيضاً أنه قادر على مواجهته . (الخولي، ص ٥١٦).

ولأن الخوف انفعال ليس ضاراً إذا ما عرف مصدره ووجه الفرد نفسه وغيره إلى ما ينبغي الخوف منه ، ففي هذا الاطار نجد أن الاسلام وجه انفعال الخوف توجيهها هادفاً . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه وامته إلى أن هناك أموراً

يجب أن يخاف منها المؤمن . كما روي عن أنس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً ، ففقط أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم وهم خرين . " (التوسي ، د.ت ، ص ١٢٦) .

وفي رواية : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال : " عرضت على الجنة والنار فلم أر كال يوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً " مما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه ، غطوا رءوسهم وهم خرين . " الخرين " بالخاء المعجمة هو : البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف . (التوسي ، ص ١٢٦) .

فالإسلام أهاب بالانسان اذا ما آمن حق الامان ألا يخاف مما يخاف منه أو عليه الناس عادة ، فالمؤمن لا يخاف الموت ، لأنه مؤمن بأن لكل أجل كتاباً وأن خوفه لن ينفعه ، بل يضره ويبعد طاقته . لذا يؤكّد القرآن أن الموت والحياة بيد الله وحده ، وأن الأجل محدود فلا خوف يطيله ولا شجاعة تزهقه . (الحولي ، ص ٥١٦) . كما قال تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نُحْكِمُ وَنُبْيِطُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ

(١٢٧)

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى :

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلَهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَانَعُهُمْ مَا تَعْمَلُونَ

(سورة المنافقون : آية ١١) .

وَقُولُهُ تَعَالَى :

أَيْنَمَا

تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْكُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصْبِهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصْبِهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا إِلَّا هُنُّ لَاءُ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

(سورة النساء : آية ٧٨) .

فَأَمَّا مَنْ خَافَ الْمَوْتَ لِأَجْلِ الْعِقَابِ الَّذِي وُعِدَّ بِهِ ، وَالْعِقَابُ أَنَّمَا يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ
باقٍ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعْدَ الْبَدْنِ ، وَهُوَ لَا مَحَالَةٌ مُعْتَزِفٌ بِذَنْبِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ مُعْتَزِفٌ
بِحَاكِمٍ عَدْلٍ يَعْاقِبُ عَلَى السَّيِّئَاتِ لَا عَلَى الْحَسَنَاتِ . فَهُوَ إِذَا خَائِفٌ مِنْ ذَنْبِهِ . وَعَلَيْهِ
أَنْ يَعْمَلَ عَلَى تَحْسِينِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ ، وَلِيَتَأْكُدَ أَنَّهَا سَتَنْقَذُهُ مِنْ شَدَّةِ الْمَوْتِ وَسَكْرَاتِهِ .

كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِذَلِكَ فِي قُولُهُ تَعَالَى :

كَانَ مِنَ الْمُسَيِّدِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّذِي ثَفَّتِ بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ

(سورة الصافات : آية ١٤٣ - ١٤٤) .

فَالْأَعْمَالُ الْحَسَنَةُ مِنَ التَّسْبِيحِ انْقَذَتْ سَيِّدَنَا يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ
حِيثُ سَبَحَ رَبِّهِ وَقَالَ : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبَحَنَكَ إِنِّي كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة

الأنبياء : آية ٨٧) . وبالعكس فإن الأعمال السيئة تكون وزراً على الإنسان وعليه أن يتتجنبها حتى لا يكون مصيره سيئاً ساعة الموت ، كما قال تعالى مبنياً قصة فرعون :

إِلَّا أَنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

(سورة يونس : آية ٩١) .

كما ينبغي على الفرد علاج الخوف من الموت بأن يستعيذ بالله من الشيطان كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة الاستعاذه في قوله " عن أبي اليسر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق وأعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً وأعوذ بك أن أموت لديغاً " (النسائي بشرح السيوطي، ط ٢، ١٤١٢هـ، ج ٨، ص ٦٧٨) .

كما عليه ان يعالج داء الخوف من الموت باحسان الظن بالله تعالى حتى لا يغويه الشيطان . وقد استشهد ابن الجوزي في ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله " (مختصر صحيح مسلم - تحقيق الدمشقي والألباني، ١٣٩٨هـ، ص ١٢٤) .

فالموت والحياة مقدرات بيد الله فالحياة الدنيا فانية ونعمتها زائل والحياة الآخرة هي الباقيه ونعمتها خالد . فبهذا الجانب النفسي كان المسلمون الأوائل يقاتلون في سبيل الله بشجاعة وإقدام ويقبلون الموت في ساحة القتال بشجاعة وحرص على نيل تلك الشهادة بالجهاد في سبيل الله وهذا يعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على

(١٢٩)

انتصارهم في حروبهم والسبيل في انتشار الاسلام سريعاً في العالم . (بحاتي، ط٣، ١٤٠٨هـ، ص ١٠٨).

ولقد ربي الاسلام المؤمن على عدم الخوف من زوال الرزق ، فالرزق بيد الله سبحانه وتعالى فهو الرزاق ذو القوة المتين . كما قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ

(الذاريات : آية ٥٨)

والله سبحانه وتعالى هو الذي حدد للناس سبل معيشتهم في الحياة الدنيا ويفك ذلك لعباده حتى لا يرهبهم طاغوت أو يدل عليهم ذو سلطان . (الخولي، ١٩٨٧م، ص ٥١٧). كما قال تعالى :

أَللَّهُ يَسْرُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفِرَحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتْنَعٌ

(سورة الرعد : آية ٢٦).

وقوله تعالى :

أَهُمْ

يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الْدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتٍ لِتَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ

(سورة الزخرف : آية ٣٢)

(١٣٠)

وقوله تعالى :

وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ لَا أَعْلَمُ بِرِزْقَهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

(سورة هود : آية ٦)

وقوله تعالى :

وَكَانَ مِنْ دَآبَةٍ لَا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يُرِزِّقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(سورة العنكبوت : آية ٤٠)

وقوله تعالى :

اللَّهُ يُسْطِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(سورة العنكبوت : آية ٦٢)

وقوله تعالى :

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا يُمْسِكُ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(سورة فاطر : آية ٤)

وقوله تعالى :

إِنَّا لَهُ مُعْذِلُونَ
النَّاسُ أَذْكُرُ وَأَنْعَمْتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرَ اللَّهِ يُرِزِّقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَافْتَوْكُونَ

(سورة فاطر : آية ٣)

(١٣١)

والاسلام حرر الفرد من الخوف من أذى الناس وتهديدا لهم مهما سطوا في الأرض. كما قال تعالى :

قُلْ لَنَّ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَسْتَوْكِلُ الْمُؤْمِنُونَ

(سورة التوبه : آية ٥١)

وقال تعالى :

فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ
بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَسْتَوْكِلُ الْمُؤْمِنُونَ

(سورة آل عمران : آية ١٦٠)

والاسلام ربي الفرد على التحرر من الخوف حاضراً ومستقبلاً فالمؤمن الكامل الإيمان لا يخاف مما يكرهه حاضراً ، وتغيب عنه نتائجه مستقبلاً ، فقد يغير الله سائر توقعاته الكريهة الى الحسن . (الخولي، ١٩٨٧م، ص ٥١٧) . كما قال تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ
أَمْنُوا لَا يَحْلِلْ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا عَصْلُوهُنَّ
لِتَذَهَّبُوا بِعَيْنِ مَا أَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ
مُبَيِّنَةٍ وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوْ أَشْيَاعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

(النساء : آية ١٩)

وقوله تعالى :

يَأَيُّهَا النِّسَاءُ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطْلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَلَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيوْتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حَدُودُ
اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حَدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
اللَّهُ يُحِدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا

(سورة الطلاق : آية ١)

فالخوف من أذى الناس وتهديدهم أو الخوف من الحاضر والمستقبل كلها مخاوف بشرية زائفة أزاحتها الاسلام بقوته وتصديه لها . فالقرآن يحرر النفس المؤمنة من كل المخاوف البشرية الزائفة ليطلقها غريزة قوية واثقة بالله متمكنة من أسباب الحياة مطمئنة إلى قدرة الله (محمد قطب ، ط٧ ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٥٢) وهذا كسب وجданى يتمتع به الفرد المؤمن ، فيعيش حياته نقياً وهانىء الوجدان راضي الضمير يعجز الشيطان نفسه عن بلبلة وجданه وتعكير صفوه والله سبحانه وتعالى قال لبيان ذلك :

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لِكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
أَتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ

(سورة الحجر آية : ٤٢)

لكن يكون الخوف قوة ايجابية مؤثرة في حياة الانسان إذا كان نابع من الخوف من الله سبحانه وتعالى فيكون سبيلاً في تربية الانسان وتهذيبه واطمئنانه ، فهذا الخوف يكون مربياً أي يكون من الله من صفات قدرته تعالى على العقوبة ورهبته ، ومن مقامه الأسمى وما يخوف به عباده ليربيهم تربية اسلامية حقة ، يخوفهم عذاب الدنيا والآخرة ، عذاباً حسياً ومعنىـياً يرهب المشاعر المختلفة ويقرع المستويات المتباينة ، ويظهر ذلك كما في قوله تعالى :

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِيْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفَيْتُمْ بِعَهْدِيْ
أَوْفِيْ بِعَهْدِكُمْ وَلَيَسَّرْتُ فَارَهِبُونَ

(سورة البقرة : آية ٤٠)

وقوله تعالى :

إِنَّمَا يَنْهَا رَبِّكَ لِشَدِيدِ

(سورة البروج : آية ١٢)

(١٣٣)

وقوله تعالى : **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
الْيَمْ شَدِيدٌ** ﴿١٠٥﴾ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ**
ذَلِكَ يَوْمٌ مُجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ ﴿١٠٦﴾ **وَمَا**
تُؤْخَرُهُ إِلَّا لِأَجْلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٧﴾ **يَوْمٌ يَاتٍ لَا تَكُونُ نَفْسُ**
إِلَّا يَأْذِنُهُ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٨﴾ **فَامَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي**
النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيدٌ

(سورة هود آية : ١٠٢ - ١٠٦)

وقوله تعالى :

لَا يَتَخَذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَفِيرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ **وَمَنْ**
يَفْعَلُ ذَلِكَ فَلَيَسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ
نُفَسَّةٌ وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

(سورة آل عمران : آية ٢٨)

وقوله تعالى :

يَأَيُّهَا النَّاسُ أَقْوَارِبَكُمْ إِنَّ رَزْلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعٍ كَعَمَّا**
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاتٍ حَمَلَ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سُكَّرَى وَمَا هُمْ بِسُكَّرٍ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

(سورة الحج : آية ١ - ٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " تدني الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون
 فيهم كمقدار ميل (قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد : فوالله ما أدرني ما ياعني
 بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين) فيكون الناس على قدر اعمالهم في
 العرق، فمنهم من يكون الى كعبية ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى

(١٣٤)

حقوبه ، ومنهم من يلجمه العرق إجاماً " وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه " (النwoي، ص ١٢٦-١٢٧) .

ويتضح من ذلك أن الأسلوب لتربية وجذان الفرد يكون بتحريره من خوف زائف ومن سلطة بشرية متحكمة ، وخوف وخشوع مرب دافع إلى الخير وهو الخوف من الله ومن عذابه وهو أمر مفید وواجب وهو الحارس الأمين الذي يضمن سير الفرد على الصراط المستقيم . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من خاف أدخل ، ومن أدخل بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالبة ، ألا إن سلعة الله الجنة " " وأدخل " باسكان الدال ومعناه : سار من أول الليل . والمراد به التشمير في الطاعة " (النwoي، ص ١٢٨) .

والخوف من الله فضيلة كبيرة لأنها النار المحرقة للشهوات ، وفضيلة الخوف تكون بقدر ما يحرق من الشهوات ويقدر ما يکف عن المعاصي وبه تحصل العفة والتقوى والورع والمجاهدة وهي الأعمال المحمودة التي تقرب إلى الله تعالى - كما قال تعالى :

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَصَبُ أَخَذَ أَلَّا لَوَاحَ وَفِي
نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ

(سورة الآعراف : آية ١٥٤)

وقال تعالى :

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدَنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْمَاهَا الْأَنْهَرُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبْدَارٌ ضَرِّ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُ

(سورة البينة : آية ٨)

(١٣٥)

وكل مادل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف ، لأن الخوف ثرة العلم

كما قال تعالى :

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ

(سورة آل عمران : آية ١٧٥)

فأمر بالخوف وأوجهه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه . (أبو حامد

الغزالى ، ج ٤ ، ص ١٥٧ - ١٥٨)

فالخوف ضابط للوجودان والسلوك . وقد وجهه الفقيه السمرقندى (١٤٠٧ هـ) :

في سبعة أمور

ليكون له أثره في التربية :-

الأمر الأول : أن يتبع الفرد في لسانه ، فيمنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول، و يجعل لسانه مشغولاً بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم.

الأمر الثاني : أن يخاف في أمر بطنه ، فلا يدخل في بطنه إلا طيباً حلالاً ، ويأكل من الحلال مقدار حاجته .

الأمر الثالث: أن يخاف في أمر بصره ، فلا ينظر إلى الحرام ، ولا إلى الدنيا يعني الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة .

الأمر الرابع: أن يخاف في أمر يده ، فلا يمد يده إلى الحرام وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عز وجل .

الأمر الخامس: أن يخاف في أمر قدميه فلا يمشي في معصية الله .

الأمر السادس: أن يخاف في أمر قلبه ، فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الأخوان ،
ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين .

الأمر السابع: أن يكون خائفاً في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله، ويحاف
الرياء والنفاق، فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم بأنهم
المقين. (السمرقندي - تحقيق الدليل، ٤٠٧ هـ، جـ ٢، طـ ٣، صـ ٤٢٠ -

٤٢١) كما قال تعالى:

وَرَجُلٌ خَرْفًا إِنْ
كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَنَعَ الْحَيَاةُ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةُ إِنْدَرِيلَكَ
لِلْمُتَّقِينَ

(سورة الزخرف، آية ٣٥)

وحتى يتقي الإنسان الأخطار ويتمتع بمنافع الخوف يجب عليه أن يخضع
للمفاهيم الصادقة وحدها ألا وهي مفاهيم التربية الإسلامية .

٣ - الحسد :

الحسد إنفعال يشعر به الإنسان أن شخصاً آخر يمتلك شيئاً ما يتمنى هو أن
يكون لديه هذا الشيء بدلاً من أن يكون لهذا الشخص . كأن يحسد الإنسان شخصاً
لأنه يمتلك ثروة كبيرة كان يتمنى هو أن تكون لديه هذه الثروة ، وقد وصف القرآن
الكريم هذا النوع من الحسد حينما خرج قارون في زينته على قومه فحسده بعض
الناس وتموا أن يكون لهم مثل ما لقارون من أموال وذهب . (نجاتي، ١٩٨٧م، طـ ١،
صـ ٩١) . كما قال تعالى :

(١٣٧)

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيقُتُ لَنَا
مِثْلَ مَا أَوْقَى قَاتُلُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ

(سورة القصص : آية ٧٩)

والحسد انفعال شائع بين كثير من الناس إلا من رحم ربها ، فكثير من الناس يميلون إلى أن يحسدوا غيرهم على ما خصهم الله به من أموال أو أبناء أو صحة أو نجاح . (نجاتي ، ص ٩١-٩٢).

والقرآن الكريم أعطى مثالاً لذلك حيث وصف حسد اليهود المشركين للنبي عليه الصلاة والسلام على ما خصه الله به من فضل النبوة ، وحسدهم للمؤمنين على ما خصهم الله به من فضل الإيمان والهدایة . فلا شك في ذلك فهم أشد عداوة للذين آمنوا . كما قال تعالى :

وَذَكَرَ شَيْرُوتْ أَهْلِ
الْكِتَبِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَانَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا هَذِي يَأْتِي اللَّهُ بِأَمْرٍ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(سورة البقرة : آية ١٠٩)

ونتيجة هذه العداوة تولد الحسد في وجدانهم ونفوسهم كما اشار إلى ذلك قوله تعالى:

مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُ
(سورة البقرة : آية ١٠٥) بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(١٣٨)

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَيْنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ أَتَيْنَا
هَذِهِ الْأُجُورَ إِلَيْهِمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنَّنَاهُمْ مُّلَكَّاً عَظِيمًا

(سورة النساء : آية ٥٤)

وَدَكَشَّيْرُقْتَ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْيِرْدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَانَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(سورة البقرة : آية ١٠٩)

ونحدث الامام الغزالى عن الحسد فأشار الى أنه من نتائج الحقد والخذل من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله . ثم أشار الى أن الحسد من الفروع الذمية مala يكاد يخصى . (الامام الغزالى ، جـ ٣ ، ص ١٨٣) .

وحقيقة الحسد في رأي الامام الغزالى : أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : أحدهما أن تكره تلك النعمة وتحب زواها وهذه الحالة تسمى حسداً ، فالحسد حدة كراهة النعمة وحب زواها عن المنعم عليه .

الحالة الثانية : ان لا تحب زواها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة ، وقد يختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسداً والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني . (الامام الغزالى ، جـ ٣ ، ص ١٨٥) .

وابن الجوزي يعرف الحسد بأنه تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحسد مثلها . وسبب ذلك حب الميزة على الجنس ، وكراهة المساواة ، فإذا حصلت للغير

(١٣٩)

نعمة تميز بها تألم هذا الانسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها ، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود .

ويقول هذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه في باطنه ، ولا يأثم الانسان بوجود ذلك ، بل يأثم بالشمي لزوال النعمة عن أخيه المسلم . (ابن الجوزي ، شرح سعيد اللحام ، ص ٣٤) .

ويعرف بعض الحكماء : الحسد جرح لا يبراً وحسب الحسود مایلقى . وقال إعرابي ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك نعمة عليه . (الامام الغزالى ، ج ٣ ، ص ١٨٥) .

قال بعض السلف : أول خطيئة كانت هي الحسد ، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية . (الامام الغزالى ، ج ٣ ، ص ١٨٤) .

وأول حسد حدث في الأرض من الانسان هو حسد قابيل لأخيه هابيل حينما تقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فدفعه الحسد إلى قتل أخيه ، كما ظهر ذلك قوله تعالى :

وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبْنَىٰ إَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا فَرَبَّانَا
فَنُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبِلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَاَقْتَلَنَّكُمْ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُنَّقِّبِينَ

(سورة المائدة : آية ٢٧)

فالحسد أول خطيئة اقترفت في السماء وأول معصية ظهرت في الأرض ، فأبليس حسد الملائكة فعصى ربه وغوى واستكبر كما جاء في القرآن الكريم . قال تعالى :

(١٤٠)

وَإِذْ قُنَا لِلْمَلِئَكَةِ أَسْجَدُوا لِلأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَيْنَا
قَالَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقَتْ طِينًا

(سورة الاسراء : آية ٦١)

ولم تهداً ثائرة حسده ولا طفشت جذوة حقده باخراج آدم وزوجه من الجنة
فطلب أن يتعقبهما وذريتهما في دار الدنيا بالإغواء والإضلal : قال تعالى :

أَقَالَ أَرْءَيْنِكَ هَذَا الَّذِي
كَرَمْتَ عَلَيَّ لِنَ أَخْرَتْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا حَتَّنِكَ
ذَرِيتَهُ إِلَّا قَلِيلًا

(الاسراء : آية ٦٢)

فاستجاب الله دعوته فيمن ضل من عباده قال :

أَقَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَعَلَّكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَرَآ وَكُرْجَزَاءَ مَوْفُورًا ٦٣ وَاسْتَفِرْزَ مَنْ أَسْتَطَعْتَ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَلِكَ وَرَحِلِكَ وَشَارِكَهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَلَا وَلَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكَيْلًا

(سورة الاسراء : آية ٦٣-٦٥)

ويكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم الأسباب ، كالعداوة ، والتكبر ، والعجب ، وحب الرياسة ، وحب النفس وبخلها . ويقع ذلك غالباً بين الأقران ، والأمثال ، والأخوة ، وبني العם ، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على تعاضد يحصل التناقض فيها ، فيثور التناقر والتباغض . ومنشأ الحسد حب الدنيا ، فإن الدنيا هي التي تضيق على المترافقين وأما الآخرة فلا ضيق فيها ، فإن من أحب معرفة الله تعالى وملائكته وأنبيائه وملائكته أرضه وسمائه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك لأن المعرفة لا تضيق على العارفين ، بل المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته غيره ، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصودهم معرفة الله سبحانه وتعالى . وغرضهم المنزلة عند الله عز وجل . والفرق بين العلم والمال لا يحل في يد ماله يرتحل عن يد أخرى ، والعلم مستقر في قلب العلم ويحل في قلب غيره من غير أن يرتحل عن قلبه .

(ابن قدامة - تقديم الزجيلي - تحقيق سليمان - قلعة جي ، ١٤١٤هـ، ص ١٩٣ - ١٩٢).

١٩٤ .

وأشد أنواع الحسد وأسبابه العداوة والبغضاء . فالحسد يلزم البعض والعداوة ولا يفارقهما . لذلك كان تقديم الاسلام للنهي عن التباغض ثم الحسد ثم التدابر في الانفعالات التي تؤثر على الوجدان . كما روي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتبغضوا ، ولا تقطعوا ، ولا تدارروا ولا تحسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام " (الألباني ، ١٤٠٢هـ ، ج ٦ ، ص ١٢٧) (مسلم بشرح النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٦ ، ص ١١٦).

فإنفعال الحسد مرض من الأمراض الوجدانية التي حرمها الاسلام ونهى عنها

واستعاذه منها كما قال تعالى :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

(سورة الفلق : آية ١-٥)

وقيل في قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّ الْفَوْحَشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ وَإِلَّا شَمَ وَأَلْبَغَ يُغَيِّرُ الْحَقَّ وَأَنْ شَرِّكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا أَعْلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ

(سورة الأعراف : آية ٣٣)

قيل : (مابطن) هو الحسد . (القشيري - تحقيق زريق - قلعة جي ، ص ١٥٥)

فالإسلام حرم الحسد لأنه مرض له تأثيره السيء على النفس والدين والمجتمع .

فمن صفات الحاسد أن يجد حسرة وألمًا يلازمه في نفسه ويظهر أثره في صحته وجسمه ولا يجد لهذا الألم انتهاء ولا عنه مصراً فاما دامت نعمة الله تشرى على عباده : قال ابن المعتر " الحسد داء الجسد " ومن آثاره اخ太太 درجة الحاسد ، وانصراف الناس عنه ونفورهم منه لاشتهاره بالحسد إذ يرون في الدنو منه عناء وفي البعد عنه راحة لهم وخلو بال . (جاد المولى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣) . هذه صفات الحاسد التي تؤثر عليه شخصياً . وتؤثر على عقيدته إذ أن الحسد إسخاط الحاسد ربها بما يظهره من معارضته لقضاءه في خلقه وتوزيعه نعمه فيهم . (جاد المولى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣) . وقد

حضر منه الرسول صلى الله عليه وسلم : فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
 قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : " إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدُ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْخَيْرَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارَ الْحَطَبَ " (أبو داود ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ ، ج ١٣ ، ص ٢٤٥). أيضاً من
 صفات الحاسد أن يسعى بين المرأة وأهله الذين هم عذته في البلاء وزينته في الرخاء ،
 ويحرش بعضهم ببعض حتى يدخلهم بقرباتهم عداوة ويعودتهم جفوة وبلائهم غلظة
 وقسوة ، ومن صفاتاته أنه إذا استشير كان غير أمين ولا ناصح في رأيه ، وإذا أسدى إليه
 معروف كفره ، وإن رأى عيباً في محسوده أذاعه ونشره ، وإن حضر مدحه قدحه ، وإن
 رأى حسنة أخفاها ، وإن أطلع على سيئة أذاعها ، وإن كان عالماً تقصه من جميع جهاته
 وجعل محامده كلها مذماً ، وفضائله عيباً : فإن كان ذا رأي في الدين قال مبتدع ،
 وإن كان ورعاً ذا نسك ودين قال محتال ، وإن كان محسناً قال مراء ، وإن كان مجدأً في
 طلب دنياه قال نهم جشع يستهلك دينه في جميع أطراف دنياه وإن كان زاهداً قال
 عاجز ضعيف ، وإن كان حليماً قال جبان رعديد ، وما من صفة تراها في الناس حداً
 إلا يراها الحاسد فيه زماً وله عيباً ونقصاً . (جاد المولى ، ج ٤ ، ص ٤٢٥). وقيل : إن
 الحاسد إذا رأى نعمة بهتاً ، وإذا رأى عشرة شئت . وقيل : من علامات الحاسد أن
 يتخلق إذا شهد ، ويغتاب إذا غاب ، ويشمت بالمية إذا نزلت . (القشيري
 وآخرون ، ١٤١٠هـ ، ص ١٥٦) فهذه من الصفات الذمية للحاسد والتي يتاثر بها
 الأفراد في المجتمع ضرراً وأذى .

وإذا كانت هذه صفات الحاسد فما الأسلوب للعلاج والتعامل معه ؟ سؤال قد
 يرد إلى الذهن والإجابة عليه هي كما جاء في القرآن الكريم والسنّة النبوية :
 أولاً : معرفة تعامل الحاسد نفسه بنفسه فهو دواء القلب ذاتي ، ويكون بمعرفة ضرر

الحسد عليه في الدنيا والدين وعدم ضرر المحسود في الدنيا والدين وأن يخلو بنفسه ويفكر ، وليعلم أن كل شيء مقدر ومقسوم ومكتوب .. وان الانسان مهما بلغ من قوة الحسد فلن يستطيع أبداً أن يغير ما أراده الله .. وما شاء له أن يكون ويوجد

كما قال تعالى :
اَقُلْ لَنِّيْصِبِيْنَا اِلَّا مَا كَتَبَ
اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيْسَ تَوْكِيدُ كُلِّ الْمُؤْمِنُونَ

(سورة التوبة : آية ٥١)

فإذا جلس الانسان مع نفسه جلسة صادقة هادئة وكان سليم النوايا وصادق الرؤيا .. وعازماً على مداواة قلبه من داء الحسد اللعين . فإن الله تعالى لن يتخلى عنه ولن يتركه وسيكون له نعم المولى ونعم النصير .

ثانياً : يكون الدواء الثاني بالالتجاء الى العمل النافع : وهو أن يحكم الحسد ويغلب عليه .. فكل ما يتلاصاه الحسد من قول و فعل .. فينبغي أن يكلف نفسه نقشه . فإن بعثه الحسد على المدح في محسود وذمة .. كلف لسانه المدح له والشأء عليه.. وإن بعثه على كف الأذى عليه ألم نفسه في الأذى عليه .. فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود .. طاب قلبه وأحبه .. ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه .. وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد .. لأن التواضع والشأء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المحسود عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على تعامله بذلك بالإحسان الذي يعود على الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخر فيستريح القلب من ألم الحسد . (أبي حامد الغزالى - تحقيق جبى الحفنوى، ١٤١١هـ/ص ٦٦).

أيضاً من أسلوب الاسلام في التعامل مع الحاسد للعلاج قراء المعوذتين ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ التي فيها كل الفضل في التحصين من الحاسد ... ومن شر حاسد إذا حسد ﴿ (سورة العلق : آية ١-٥) . كما أوصى

الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمان السر والحوائج من الحاسد كما قال : " عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود ". (اللباني، ١٤٠٢ هـ، ج ٢، ص ٣٢٠) . (اهيئمي ، ١٤٠٦ هـ، ج ٦، ص ١٩٥) .

فالحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل . والعمل يكون أولاً بالطريقة المبدئية في التعامل مع الحسود . وبالعلم ينبغي أن يعلم الإنسان أولاً أن الأقدار السابقة لابد أن تجري ، وأن الاحتيال في صرف المقدور غير محكم ، وأن القسام حكيم ، ثم هو مالك يعطي ويحرم ، فهو الذي خلق الطرف السابق والكودن – أي ما فيه طرافة و قيمة من الناس والخيال وغيرها – الكودن : الفرس الهجين (وهو عند العامة الكديش) ، وكأن الحاسد مضاد لإرادة المعطي سبحانه وتعالى . (ابن الجوزي - اللحام ، (د.ت) ، ص ٤) .

كما ينبغي أن يعرف أن الحسد ضرر على الحاسد في الدين والدنيا لأنه لا يضر الحسود في الدين ولا في الدنيا، بل يتفع به ، والنعمة لا تزول عن الحسود بالحسد، ولو لم تكن تؤمن بالبعث لكان مقتضى أن يحدى العاقل من الحسد لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع ، مع العذاب في الآخرة .

رابعاً: كذلك يعالج الحسد باتباع الدين في اجتناب هذا الانفعال بالرجوع إلى الله في آدابه فإن ذلك يقهر النفس المريضة على المذموم من الخلق وتنتقل عن لئيم طبعها، وإن كان نقل الطبع عسراً لكن بالرياضة والتدریج يسهل منها ما استصعب ، ويحبب منها ما أتعب ، وإن تقدم قول القائل : من ربه خلقه كيف يخلّى خلقه ! غير أنه إذا عانى تهذيب نفسه ، تظاهر بالتخليق دون الخلق ، ثم بالعبادة يصير كالخلق . (الماوردي - تحقيق السقا ، (د.ت) ص ٢٦٣) .

خامساً: كما ينبغي أن يعمل فكره وعقله الذي يستقبح به من نتائج الحسد مالا يرضيه . ويستنكر من هجنه مساوته فيذلل نفسه أنفه . ويظهرها حية . فتدعن لرشدها . وتحبب إلى صلاحها . وهذا إنما يصح لدى النفس الأبية . وأهمة العلية وإن كان ذو أهمة يجل عن دناءة الحسد .

سادساً: كما ينبغي عليه أن يستدفع ضرره ويتوقي أثره . ويعلم أن مكانته في نفسه أبلغ . ومن الحسد وبعد فيستعمل الحزم في دفع ما كده وآكمده ليكون أطيب نفساً، وأهناً عيشاً . وقد قيل : العجب لغفلة الحساد ، وعن سلامه الأجساد .
(الماوردي، ص ٢٦٣).

كما ينبغي أن يرى تأثير ذلك الحسد في نفوس الناس تجاه الحاسد . حيث يظهر أثره في نفور الناس عنه ، فيخافهم إما على نفسه من عداوة ، أو على عرضه من ملامة فيتألفهم بمعالجة نفسه ويراهم إن صلحوا أجدى نفعاً ، وأخلص وداً (الماوردي، ص ٢٦٣).

سابعاً: كما ينبغي أن يستعمل تفكيره وعقله في تحليل الأمور وأمور الدنيا بالذات ومتاعها حيث لا تستحق أن يحسد غيره لأن من نال الدنيا فهذا ينبغي أن يرحم لا أن يحسد لأن فضول الدنيا هموم ، وقال الشاعر المتibi :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته .. ما فاته وفضول العيش أشغال

فالذي لديه كثير المال شديد الخوف عليه وكثير الجواري شديد الخدر عليهم ، وقوى الاهتمام بهن أو هن . والوالى خائف من العذل ، ثم ليعلم الحاسد أن النعم كثيرة الأكدار ، ثم هي قليلة اللبث ، والمصائب تردها ، فإن صاحب النعمة يتظاهر زوالها أو زواله عنها (ابن الجوزي - اللحام ، ص ٣٥).

ثامناً: كما ينبغي له أن يدرب نفسه على الرضا بقضاء الله وقدره وإن يتحلى بالقناعة بما يرزقه الله تعالى به وأن يردد عند ورود الرزق وإن كان قليلاً الدعاء بالبركة

والحمد على الرزق . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه : كان الناس إذا رأوا الشمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " اللهم بارك لنا في ثمننا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدننا " ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان (مسلم بشرح النووي، ١٤١١هـ، ج ٩، ص ١٤٦) . وعليه أن يكون قنوعاً برزقه القليل ويدعو الله بزيادة البركة فإذا ورد عليه رزق أن يقول : اللهم فتعني بما رزقتني وبارك لي فيما أعطيتني . فبذلك يتظاهر الوجدان من الطمع في الرزق والنظر إلى ما يملك الغير . فالقلب بذلك يتظاهر من آفة الخيانة ويصفو وتصفو النفس بأكمتها . وإذا لم يستطع فعليه بكتمان حسده يتبرأ تماماً من مرضي الحسد . وهذا ما أشار إليه ابن الجوزي حيث يقول : فلتكن مجاهدته إمساك لسانه عن قلبه وحبس ما في قلبه . (ابن الجوزي - تحقيق عطا ، ص ١٠٧) . فهذا احفظ للوجدان من التردي والتزول عن رفعته إلى الحسد والشر .

تاسعاً: كما ينبغي للحاسد أن يتبع أسلوب الأخلاص والاحلال في هذا المرض بأن يستبدل الغبطة بالحسد ، والغبطة هي أن لا يحب زوال النعمة ولا يكره وجودها ودوامها على غيره إنما يكون في وجданه قت لنفسه مثلها . وقد استند ابن الجوزي في ذلك الأمر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : " لاحسد إلا في اثنين . رجل أتاه الله عز وجل القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار " (ابن حنبل ، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ٢١٦) . وإذا رأى نعمه لدى الغير فينبعي للفرد أن يقول : ماشاء الله تبارك الله . فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء بالبركة حتى لا يكون هناك ضرر . كما قال فيما روي عن عامر بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من

(١٤٨)

أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة فإن العين حق". (الألباني، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٢١٢) (الهيثمي، ١٤٠٦هـ، ج٥، ص١٠٨).

وواجب الآباء والمربيين في التربية من انفعال الحسد تتمثل في عدة جوانب : في حالة استقبال مولود جديد في الأسرة فعلى الوالدين تهيئة عقل الطفل الى حادث الولادة كما يجب فطامه فطاماً وجداً تدريجياً بقدر الامكان فلا تحول الامتيازات التي كان ينعم بها الى المولود الجديد . حتى لا تبذر بذرة الحسد في وجدان الطفل نتيجة التفاضل .

كما يجب على الوالدين المساواة بين الأبناء في الحقوق والواجبات حتى يشعر الأبناء بعدالة الوالدين في معاملتهم . فلا يصح أن يغدق الوالدان الحب والحنان والاهتمام على طفل معين دون الآخرين لأن ذلك يولد في وجدانهم الحقد والغفل والضغينة والحسد من الصغر فيحفزهم على الانتقام . ولذلك كان تحذير يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام من أن لا يقصص رؤياه على إخوته خوفاً من حسدتهم نتيجة تفضيله عليهم مما يدفعهم إلى ايدائه . (نجاتي، ١٤٠٨هـ ، ص٩٢).

كما ورد في قوله تعالى :

قَالَ يَسْرُئِيلَ لَا نَقْصُصُ رُءُوفَكَ عَلَى إِخْرَاتِكَ فَيَكِيدُ وَاللَّهُ كَيْدًا
إِنَّ الشَّيْطَنَ لِلنَّاسِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

(سورة يوسف : آية ٥)

فهذه قصة سيدنا يوسف عليه السلام عبرة وعظة للمسلمين وكذلك قصة هابيل و Cain عبرة أخرى . فعلى الوالدين والمربيين الاقلاع عن الموازنات الصريحة بين الأطفال بل يجب اعتبار كل طفل بشخصيته المستقلة بحالها من قدرات وإستعدادات خاصة، ممايزيل الشعور بالحسد والخذل والضغينة بين الأطفال .

٤ - الحد :-

الحد و الحسد مرضان اجتماعيان لا تكاد تخلوا منهما أمة على ظهر الأرض. وان كانا في نسب متفاوتة وهمما ينشأن غالباً ويكثران حيث يختل العدل التوزيعي ، والعدل القانوني . ويشعر الفرد أنه في مجتمع لاحق فيه الا للقوة . هناك يكثـر التغالب والتسالب ويرى الفرد ألا مكان لمواهبه ولا بعقريته فتنتطوي نفسه ، بدـوافع قهـرية كـانفعـالـ الحـدـ وـالـحـسـدـ . أما في المجتمعات التي تم وعيها وعرفت لكل ذي حق حقه ولكل ذي موهبة مكانة . وأشاعت الأخاء والتعاون والأمن والثقة بين الأفراد وحدـتـ منـ أـطـمـاعـ الجـشـعـينـ وـاـنـهـازـ الـأـنـتـهـاـزـيـنـ وأـشـعـرـتـ كلـ فـرـدـ بـأـنـهـ يـعـمـلـ فيـ حـرـيـةـ وـتـكـافـلـ وـأـمـانـ عـلـىـ المـسـتـقـبـلـ إـنـ الـحـدـ وـالـحـسـدـ يـصـبـحـانـ عـنـ النـدرـةـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ . وقد وجد ذلك واضحاً في المجتمع الاسلامي الأول اذ كان لا يحرم ذو كفاية ولا بعدم من حرم الكفاية من يكفيه . (ذكرى، ١٩٦٥م، ص ٩٢-٩٣) .

فتعريف الحقد عند ابن الجوزي(د.ت) : هو بقاء أثر القبيح من المخـودـ فيـ نفسـ . ولعمري إن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح كما يقضي ببقاء أثر الجميل . (ص ٣٨) والغزالـيـ(دـ.ـتـ)ـ:ـ يـعـرـفـ الـحـدـ:ـ أـنـهـ ثـرـةـ الغـضـبـ ،ـ فـإـنـ الغـضـبـ إـذـ لـزـمـ كـظـمـهـ لـعـجـزـ عـنـ التـشـفـيـ فـيـ الـحـالـ رـجـعـ إـلـىـ الـبـاطـنـ وـاـحـتـقـنـ فـيـهـ فـصـارـ حـقـداـ .ـ وـمـعـنـىـ الـحـدـ أـنـ يـلـزـمـ اـسـتـقـالـهـ وـالـبـغـضـةـ لـهـ وـالـنـفـارـ عـنـهـ وـانـ يـدـوـمـ ذـلـكـ وـيـقـيـ (جـ ٣ـ،ـ صـ ١٧٧ـ)ـ .ـ

ويعتبر الحقد في المنظور الاسلامي من الانفعالات السلبية المركبة من جانبيـنـ وهـماـ الغـضـبـ وـالـغـيـظـ ،ـ وـهـوـ فـيـ الـلـغـةـ:ـ إـمـساـكـ العـداـوةـ فـيـ الـقـلـبـ وـالـتـرـبـصـ لـفـرـصـتـهاـ .ـ وـهـوـ الضـغـنـ .ـ (ـالـراـزـيـ،ـ ١٣٩٠ـهـ،ـ صـ ١٤٦ـ)ـ .ـ وقد وافق تعريف الامام الغزالـيـ للـحـدـ التعـرـيفـ اللـغـوـيـ .ـ

وابن الجوزي يعتبر الحقد نتيجة المعاملة السيئة التي ترك أثراً في الوجدان، فيتحول مع مرور الوقت إلى حقد وبغض وعداوة ، فكما يتأثر الإنسان بالفعل الجميل حيث يبقى ، كذلك الفعل السيء الذي يترك الأثر يبقى وينتتج عنه الحقد إلا أن ابن الجوزي يدعوا إلى التخلص منه بالاجتهاد في إزالته من الوجدان (ابن الجوزي، ص ٣٨).

وابن قدامة المقدسي (٤١٤ هـ) يوافق تعريفه للحقد تعريف الإمام الغزالى حيث يعرفه ابن قدامة بقوله : اعلم أن الغيظ إذا كظم لعجز عن الشفاعة في الحال رجع إلى الباطن، فاحتقن فيه فصار حقداً . ويرى أن الحقد ثمرة الغضب ، والحقد ينتج عنه مرض آخر وهو الحسد . إلا أن الحقد يقتضي الشفاعة والانتقام . (ص ٩٠-٩٢).

ويتوافق تعريف جاد المولى مع ابن قدامة حيث يقول جاد المولى : أن الحقد هو بقاء الغضب محتدماً مع الكظم . ومن مظاهره إصرار الحاقد على رد الفعل ، والانتقام متى سُنحت له الفرصة . (جاد المولى، ج ١، ص ٤٢).

والحقد انفعال سلبي يؤثر في السلوك فيشمل أموراً منكرة الأول: الحسد وهو كما أشار إليه الغزالى بأن يحمل الحقد على تبني زوال النعمة عن الغير فينقم الحاقد الحاسد بنعمة إن أصابها الغير ويسر بمصيبة إن نزلت بالغير .

الثاني : ان يزيد الحقد على إضمار الحسد في الباطن فيشتمت بما أصاب الغير من البلاء .

الثالث : الحاقد يهجو الغير ويصارمه وينقطع عنه وان طلبه الغير واقبل عليه .

الرابع : فقد يعرض الحاقد الضعيف على القوي فيستعظمه أو يهدى الحاقد الفقير على الغني وهو يشعر أنه أدنى منه منزلة .

الخامس : يتكلم الحاقد عن الغير بما ليس فيه وليس محلل له الكلام فيه من كذب وغيبة ، وإفشاء السر وهتك الستر والغيرة .

السادس : الحاقد يحاكي غيره استهزاء به وسخرية منه .

السابع : الحاقد يقوم بايذاء الغير بالضرب وما يؤلم البدن .

الثامن : الحاقد يقوم بمنع الغير من قضاء الدين أو صلة الرحم أو رد مظلمة . أو فعل الخير للاخرين ولكل ذلك محروم منعه أو منع الغير عنه .

وأقل درجات الحقد لو احترز الحاقد عن هذه الآفات الشمائية أن يترك البشاشة والرفق والعناية ، والقيام بأداء حاجات الغير ، أو المعاونة للغير على منفعة له . فهذه الأفعال والسلوكيات تنقص الدرجة في الدين وتضييع الشواب الجزيل من الله تعالى .
 (الإمام الغزالى ، ١٣١١هـ، ص ٢٥٠) .

هكذا يقضي الحاقد وقته في السلوكيات السيئة من محاولة الانتقام فهو كما كان شأن العرب قبل الإسلام حتى جاء الإسلام حيث علمهم الخير والفضيلة وكظم الغيظ ومكارم الأخلاق التي يكون مردودها سعادة الفرد بالثواب في الدنيا والآخرة وسعادة المجتمع . فبذلك ينالون محبة الله ورسوله كما قال تعالى مرشدًا إياهم في قوله :

وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
 لَهُنَّ فِرِيقَةً فَنَصِفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُواْ أَوْ يَغْفِلُواْ
 الَّذِي يَدِيهِ عُقْدَةُ النِّكَاجِ وَأَنْ تَعْفُواْ أَوْ أَفْرَبُ لِلتَّقْوَىِ
 وَلَا تَنْسُواْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُمَانِعُ الْمُعْمَلَوْنَ بَصِيرٌ

(البقرة : آية ٢٣٧)

وقال تعالى :

[الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ
 عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]
 (سورة آل عمران : آية ١٣٤)

وقوله تعالى :

فِيمَا

نَقْضِيهِمْ مِّيَثَاقُهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا أُفْلُوْبَهُمْ قَسِيَّةً
يُخْرِفُونَ الْكَلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مِّمَّا
ذَكَرُوا بِهِ وَلَا زَارَ أَنْتَلْعَ عَلَى خَائِنَتِهِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفِحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(سورة المائدة : آية ١٣)

وقوله تعالى :

إِنَّمَا

يَا أَعْرِفُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْجَنِّهِ لِيَرِبَّ

(سورة الأعراف : آية ١٩٩)

وكم ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه على ترك الحقد وغضهم على الصفح والعفو لتنقية وجدهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس . فقال صلى الله عليه وسلم : " فيما روي عن معاذ بن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذ ، دعاه الله على رؤوس الخلاق ، حتى يخирه من الحور العين ، يزوجه منها ما شاء " . (الألباني ، ١٤٠٢ هـ ، ج ٥ ، ص ٣٥٣) (أبو داود ، ج ١٣ ، ص ١٣٥) . [" وعن عقبة بن عامر قال : ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال يا عقبة صل من قطعك واعط من حرمك وأعرض عن ظلمك ، وفي رواية واعف عن ظلمك " . " وعن علي قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وان تعفو عن ظلمك " . " وعن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة من وصل من قطعه وعفا عن ظلمه وأعطي من حرمته " عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أفضل الفضائل أن تصل من قطعك

وتعطى من حرمك وتصفح عن شتمك " (اهيشهي - العراقي وابن حجر، ١٤٠٨هـ، جـ٨، صـ١٨٨-١٨٩) .

" وعن أبي هريرة أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ويتسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه أبو بكر فقال يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت قال : وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان ثم قال يا أبا بكر ثلاث كلهم حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيفضي عنها الله عز وجل إلا أعز الله بها نصرة وما فتح رجل بباب عطية يريد بها صلة إلا زاده بها كثرة وما فتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة " [(اهيشهي، جـ٨، صـ١٩٠-١٩١)] .

فالعفو والصفح أول علاج للحقد كما أشار إلى ذلك ابن الجوزي وقال : وعلاج ذلك يكون بالعفو والصفح : أي على الفرد أن يجتنب إصدار الأذى للناس حتى لا يولده الحقد والعداوة في وجدانهم . كما أن عليه بذل الجهد في إزالة ما علق في الوجدان من حق بالعفو والصفح والتسامح والتجاوز عن السيئات والتماس العذر عن ظلم فاعقل الناس اعذرهم للناس . (ابن الجوزي ، صـ٣٨) .

فالإسلام أمرنا بالتخاذل هذا الأسلوب كما قال تعالى :

وَلَا تُسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
أَدْفِعْ بِإِلَيْهِ أَحَسَنْ فَإِذَا الَّذِي يَنْهَا وَيَنْهِهُ عَدَاوَةُ كَانَ
وَلِيْ حَمِيمٌ

(سورة فصلت : آية ٣٤)

كذلك على الفرد أن يروض نفسه ويحملها على الحبة وعدم الكراهة وذلك مقام عظيم لا يناله إلا الأوفياء من الناس الذين يؤثرون محبة الله ورضوانه . ويتصررون على ما في قلوبهم من حقد أو غضب . (الإمام العزالي، ١٤١١هـ، ص ٣٩). وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه هو مثلك وهو الخليفة الأول في الإسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفق على ابن خالته مسطح بن أثاثة وكان مسكوناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها . فكان بسبب خوضه في الإفك حلف سيدنا أبو بكر أن لا ينفع مسطح بنافعه أبداً بعدهما قال في السيدة عائشة ما قال . فلما أنزل الله براءة السيدة عائشة أم المؤمنين، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين ومنهم مسطح وأقيم الحد على من أقيمت عليه ، شرع الله تبارك وتعالى : وأنزل قوله تعالى:

وَلَا يَأْتِي لَأُولُوا الْفَضْلِ مِنْ كُثْرَ
وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا الَّذِينَ جَحَّبُوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ

(سورة التور : آية ٢٢)

فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذه الآية وهو المعروف بالمعروف والفضل والأيدي على الأقارب والأجانب قال : بلى والله إننا نحب أن تغفر لنا ياربنا ، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال : والله لا أنزعها منه أبداً . (ابن كثير، ١٤٠٢هـ، ج ٢، ص ٥٩٣).

وفي حالة أن وجد الفرد بقايا من الحقد في وجدهاته لم تزول بعد فعليه أن يتونخي كمال العفو وحصول الرضا وذلك بمحاولة محوها من الوجدان نهائياً بأن يرى الفرد أن

الذى سلط عليه لأذاه إنما هو بذنب منه ، أو لتكفير خطأ ، أو لرفع درجة أو لاختباره في صبره . (إبن الجوزي - تحقيق فريال علوان، ص ٣٨) .

كما يمكن علاج الحقد بأن يجعل الفرد مردود هذا الحقد إنما ناتج عن قضاء وقدر من الله تعالى وإن ما وقع له من الأذى والضرر إنما يكون لتكفيراً عن الذنوب ، أو لرفع درجة بالصبر على الأذى ، فلا يحقد على من تسبب في أذاه . وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يساكها إلا كفر الله بها من خططيه " (الألباني، ١٤٠٢هـ، ج ٥، ص ١٩٢-١٩٣) (البيهقي، ٦١٤٠هـ، ج ٣، ص ٣٧٣). قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن صحيب " عجباً لأمر المؤمن ، أن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن اصابته سراء شكر وكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " (الألباني، ج ٥، ص ٢٦) (مسلم بشرح النووي، ١٨، ص ١٢٥). فالتدبر في هذه الآيات والأحاديث يعكس آثاره في وجدان الفرد فيصل إلى درجة الرضى والتسليم بقضاء الله وقدره فيصبح وجدانه نقىًّا وظاهرًا من الحقد والعداوة والأذى ويكون قرير العين هاديء الوجدان محبوباً ومحباً للغير .

٥ - الغرور : -

يعتبر الغرور فرعاً من فروع الانفعالات السلبية في الجانب الوجداني التي تطرق لها الإسلام بالتربية والعلاج .

الإمام الغزالى : يعرف الغرور أنه هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى وميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقاد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور . وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه . فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واحتلت درجاتهم حتى

كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق . (ج ٣ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩) .

وتعريف الغرور في رأي جاد المولى : أنه هو مجاوزة المرء حمل الشتم ، وميله إلى وضع نفسه في منزلة فوق منزلته ، ولذلك لا يقره الآخرون على هذه المنزلة ، ولا ينال من هذا الادعاء سوى الاستهجان . (ج ١ ، ص ٤٠) .

فالغرور من الأمراض التي قل أن يعصم منها الإنسان . فالغرور ، وهو آفة خطيرة تصيب المؤمن والكافر على السواء . أما غرور الكافر فينحصر في تسمين الاغترار بالدنيا والاغترار بالله . أما غرور المؤمن فينحصر في مسائل خاصة كالغرور بالعلم والغرور بالمال والغرور بالنسبة . وقد ينصب الغرور في جانب اعتقاده أن الله غفور رحيم فيأمل عفوه واحسانه ، ويهمل الأعمال الصالحة ويتكل على رحمة الله وتساحجه تعالى وفي هذه الأمور يختلف غرور المؤمن عن غرور الكافر ، فغرور الكافر فيه جحود ، فيه عدم الاعتراف بوحدانية الله ، أما غرور المؤمن فلا يصل إلى حد الجحود أو الكراهة . (الشرقاوي ، م ١٩٨٤ ، ص ١٤٩ - ١٥٠) . لأن المؤمن يحذر الغرور ، ويجتهد ألا يكون وصفاً له في حالة من الحالات ، إذ هو من أكبر العوائق عن الكمال وهو من أعظم المهالك في الحال ، فكم من نعمة انقلب بالغرور إلى نعمة وكم من عز صار ذلاً ، وكم من قرة صارت ضعفاً ، فكفى به داء عضلاً ، وكفى به على صاحبه وبالاً ، فلذلك حرمه الاسلام وفي الكتاب والسنۃ التفسیر والتحذير منه . (الجزائري، ١٣٩٦هـ، ص ١٦٦) . كما ورد في قوله تعالى :

يُنَادِيهِمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَاتُلُوا إِبْلَيْنَ وَلَا كَنْكُمْ فَتَنْتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَرَبِّصُمْ وَأَرْتَبْتُمْ وَغَرَّتُمْ أَلَمْ يَأْتِيَ حَقَّ جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ

(سورة الحديد : آية ١٤)

(١٥٧)

وقوله تعالى :

إِنَّمَا أَنْشَأَ النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرِّبُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يُغَرِّبُكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ

(سورة فاطر : آية ٥)

وقوله تعالى :

وَأَسْتَفِرْزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكِهِمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يُعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا

(سورة الاسراء : آية ٦٤)

غُرُورًا

وقوله تعالى :

أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الَّذِيَا لِعَبْ وَهُوَ زِينَةٌ وَفَاقْحِرْ بِنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأُولَادِ كُثُلْ غَيْثٌ أَبْحَبَ الْكُفَّارَ بَنَاهُ شَمْ بَهِيجْ فَرَرَهُ
مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا مَتَّعُ الْغَرُورِ (سورة الحديد : آية ٢٠)

وقوله تعالى :

إِنَّمَا إِلَّا نَسْنُ مَا غَرَّكَ بِرِيكَ الْكَرِيمِ

(سورة الانفطار : آية ٦).

وقوله تعالى :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا عَجَّبْتُمْ كُثُرَتْكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ

(سورة التوبه : آية ٢٥) بِمَا رَحِبْتُمْ ثُمَّ وَلَيَتَمْ مُدَرِّينَ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث منجيات : خشية الله تعالى في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغني ، وثلاث مهلكات : هوى متبع ، وشح مطاع ، واعجاب المرء بنفسه " (الألباني، ٤٠٢ هـ، ج ٣، ص ٦٥) (السيوطى، ٤١٠ هـ، ج ١، ص ٢٠٩). وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، وثلاث كفارات ، وثلاث درجات . فأما المهنكتات : فشح مطاع ، وهوئ متبع ، واعجاب المرء بنفسه . وأما المنجيات : فالعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر ، والغني ، وخشية الله في السر والعلانية . وأما الكفارات : فانتظار الصلاة ، وإسباغ الوضوء في السبرات ، ونقل الأقدام إلى الجماعات . وأما الدرجات : فإنطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلة والناس نيا " (الألباني، ٤٠٢ هـ، ج ٣، ص ٦٧) (السيوطى، ج ١، ص ٢٠٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من رجل يتعاظم في نفسه، ويختال في مشيته ، إلا لقي الله تعالى، وهو عليه غضبان " (الألباني، ٤٠٢ هـ، ج ٥، ص ١٦٥) (السيوطى، ج ٢، ص ٤٩١).

والغرور أو الإغترار يقع في الأغلب في حق أربعة أصناف : العلماء ، والعباد، والمنصوفة ، والاغنياء .

فأما أهل العلم فالمغترون منهم فرقه أحکموا العلوم الشرعية والعقلية ، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن العاصي واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم من الله بمكان ، ولو

(١٥٩)

نظر هؤلاء بعين البصيرة ، لعلمو أن علم المعاملة لا يراد به إلا العمل ، ولو لا العمل لم يكن له قدر . (ابن قدامة، ٤٤١هـ، ص ٢٤٣). لذلك أثني الإسلام على المتعلم العلم العامل به سلوكاً وفعلاً ، كما قال تعالى :

وَقُلْ أَعْمَلُوا فِسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرِّدُونَ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَتَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(سورة التوبة : آية ١٠٥)

كما أثني الإسلام على المتعلم الذي ينشر العلم ويفيد به آخرين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عن معاذ بن أنس " من علم علماً فله أجر من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل " (الألباني، ٤٠٢، ج ٥، ص ٣٢٣).

وهناك فرقة أو طائفة أخرى من أهل العلم المغترون وهم الذين أحكموا العمل الظاهر ولم يتفقدوا قلوبهم ليمحووا الصفات المذمومة منها ، كالكبر ، والحسد ، والحدق ، والرياء ، وطلب العلو ، وطلب الشهرة ، فهؤلاء زينوا ظاهرهم ، وأهملوا بواطنهم .

(ابن قدامة ، ص ٤٤).

فهؤلاء نسوا أن الله لا ينظر إلى صورهم ومكانتهم الاجتماعية ، وإنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم الصالحة . فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " (الألباني ، ٤٠٢، ج ٢، ص ١٤٠) (ابن ماجة، ج ٢، ص ٤٠٠).

فهؤلاء من طلاب العلم المغرورون تعاهدوا الأعمال ، ولم يتعاهدوا القلوب ، والقلب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

ومن المغورين بالعلم من اقتصر على علم الفتاوى الحكومات والخصومات ، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لصلاح المعيش ، وربما ضيعوا الأعمال الظاهرة وارتكبوا بعض المعاصي من الغيبة والنظر إلى مالا يحل ، والمشي إلى مالا يجوز ، ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وبجميع المهلكات ، فهولاء مغوروون من حيث وجهتين : من حيث العمل ومن حيث العلم فغوروهم مركب . وهم لا ينتفعون بعلمهم . لأن العلم المهم هو الذي يوصل إلى معرفة سلوك الطريق المستقيم وقطع عقبات القلب والوجدان التي هي من الصفات المذمومة ، فهي الحجاب بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى (ابن قدامة ، ص ٢٤٦) .

كذلك قد ينصب الغرور في العلم باقصاره على المعاملات ويظن أنه علم الدين ويترك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويترك أيضاً علم تهذيب الأخلاق ويترك التفقه في الدين الذي يوصل إلى إدراك جلال الله وعظمته والتي بدورها توصل إلى الخوف من الله تعالى والخشوع والهيبة والمحبة (الإمام الغزالى ، ١٣١١هـ، ص ٣١٦-٣١٧) . كما قال تعالى :

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَنْفَهُوْأُفِي الَّذِينَ
وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ.

(سورة التوبة : آية ١٢٢)

كذلك قد يغتر بالعلم فينصب الغرور في جانب واحد كالفرقة التي تغتر بقراءة القرآن كالذين يهدرمون القرآن هذرمة ، وقد يختتم قراءة القرآن كاملاً في اليوم ولكن اللسان يجري والقلب لايعي ويتردى في أودية الأمانى ولا يتفكر في معانى القرآن

(١٦١)

لি�نزجر بزواجه ، ويتعظ بعواذه ، ويقف عند أوامره ونواهيه ، ويعتبر بمواضع الاعتبار . فبغروره يظن أن المقصود من انزال القرآن الهممـة به مع الغفلة عنه . (الإمام الغزاـيـ، ص ٣١٦-٣١٧) .

فـالإسلام حض على الثاني في قراءة القرآن الكريم لـحـصـولـ الفـائـدةـ المـرجـوـةـ منـ قـرـاءـةـ القـرـآنـ ،ـ كـماـ قـالـ تـعـالـىـ :

فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقْضَى إِلَيْكَ وَهُوَ أَوْعَدُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
(سورة طه : آية ١١٤)

وـكـماـ قـالـ تـعـالـىـ :

لَا تُحْرِكْ يَدَكَ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْءَانَهُ
(سورة القيمة : آية ١٦-١٨)

وـثـبـتـ فيـ الصـحـيـحـ عنـ ابنـ عـبـاسـ :ـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ
يعـالـجـ منـ الـوـحـيـ شـدـةـ فـكـانـ مـاـ يـحـرـكـ بـهـ لـسـانـهـ ،ـ فـأـنـزـلـ اللهـ هـذـهـ الـآـيـةـ يـعـنيـ اـنـهـ عـلـيـهـ
الـسـلـامـ كـانـ إـذـ جـاءـهـ جـبـرـيـلـ بـالـوـحـيـ ،ـ كـلـمـاـ قـالـ جـبـرـيـلـ آـيـةـ قـاـلـهـ مـعـهـ ،ـ مـنـ شـدـةـ حـرـصـهـ
عـلـىـ حـفـظـ الـقـرـآنـ فـأـرـشـدـهـ اللهـ تـعـالـىـ إـلـىـ مـاـهـوـ الـأـسـهـلـ وـالـأـخـفـ فـيـ حـقـهـ لـثـلاـ يـشـقـ عـلـيـهـ.
أـوـ يـتـعـرـضـ لـنـيـسـانـ مـنـهـ شـيـئـاـ ،ـ فـأـمـرـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ يـنـصـتـ ،ـ فـإـذـاـ فـرـغـ
الـمـلـكـ مـنـ قـرـاءـتـهـ عـلـيـهـ قـرـأـهـ بـعـدـهـ .ـ وـقـدـ دـعـىـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ رـبـ العـزـةـ
وـالـجـلـالـ أـنـ يـنـفعـهـ بـمـاـ تـعـلـمـهـ وـيـعـلـمـهـ مـاـ يـنـفعـهـ كـمـاـ قـالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :ـ "ـ اللـهـمـ
انـفـعـنـيـ بـمـاـ عـلـمـتـنـيـ وـعـلـمـنـيـ بـمـاـ يـنـفـعـنـيـ وـزـدـنـيـ عـلـمـاـ وـالـحـمـدـ اللهـ عـلـىـ كـلـ حـالـ"ـ .ـ (ابـنـ
كـثـيرـ،ـ ٢١٤٠ـ هـ ،ـ جـ ٢ـ ،ـ صـ ٤٩٥ـ)ـ .ـ

والجانب الآخر من الغرور هو الغرور بالمال : فقد يعجب المرء بوفرة ماله ويفتر
بكثرة عرضه فينذر ويصرف بل قد يدفعه ذلك المال إلى التعالي على الخلق . وغمط
الحق فيهلك . (الجزائري، ١٣٩٦هـ، ص ١٦٧) .

وهناك من هو مغدور بكثرة المال فيدفعه غروره إلى الحرص على عمل بعض
الأمور الخيرة ليس من أجل فعل الخير في حد ذاته إنما ليظهر مكانته الاجتماعية مثلاً أن
يعمل على بناء المدارس والرياضات والقنطر أو حتى المساجد فيعمل على كتابة اسمه
على هذا العمل ليتخلد ذكره ويبقى بعد الموت أثره . فلو كلف أن ينفق ديناراً
ولا يكتب اسمه في الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ، ولو لا أنه يريد وجه الناس لا
وجه الله لما شق عليه ذلك ، فإن الله يطلع عليه سواء كتب اسمه أو لم يكتبه .

كما أن هناك من يدفعه الغرور إلى صرف المال في زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش
والزخارف لأن كثرة الأموال دفعه إلى حب ملذات الدنيا والنظر إلى القشور وليس إلى
أساس ، فهذا الانفعال السلبي يدفعه إلى الوصول بأمور الدنيا حتى المساجد ، والاسلام
نهى عن زخرفة المساجد لأنها شاغلة لتفكير المسلمين ووجودهم الذي ينبغي أن يكون
في معية الله تعالى ، فإن المقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب والزخرف يفسد
قلوب المسلمين . (ابن قادمة ، ١٤١٤هـ، ص ٢٥٢) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم حذر من زخرفة المساجد . كما قال فيما روي
عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا
زخرفتم مساجدكم ، وحليتم مصاحفكم ، فالدمار عليكم" (اللباني ، ١٤٠٢هـ /
١٩٨٢م ، ج ١ ، ص ٢٢٠) (الهندي ، ١٤٠٩هـ ، ج ٤ ، ص ٢١٠) . فالذي يفعل
ذلك قد إغتر بالمال وظن انه قد يستحق المغفرة والثواب بذلك العمل بينما الأمر ذلك

ينهى عنه فيكون بذلك خطأ . هذا بالإضافة إلى أن المال قد يكون من جهات محظورة .
 (الإمام الغزالي ، ١٣١١هـ، ص ٣٢٣) .

فالغرور بالمال ينبع عنه مرض آخر وهو التعالي والتعاظم على الغير سواء كان غني أو فقير وأصبح مافي الغرور بالمال التعاظم على الفقراء فهو لاء قد حرموا الأموال في الدنيا لكن بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء كما روي عن ابن عمر، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يامعشر الفقراء ألا أبشركم ؟ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسة وعشرين " (الألباني، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٣٠٦) (النيسابوري، ١٣٩٨هـ، ص ١٤٦) .

ف الإسلامي نهى عن الاغترار بالمال لأن المال غاد ورائح، فالفضيلة في نظر الإسلام بالتقى والصلاح ليس بكثرة المال، فالمال قد يكون نعمة ودمار للإنسان وليس في صلاحه إذا ما جعله يغتر على الآخرين كأن يحتقرهم أو أن يرى أنه أفضل منهم ويبيع بذلك لفظاً كما أشار إلى ذلك قوله تعالى في النهي عن التعالي على الخلق. كما في قوله

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
تعالى:

﴿٢٤﴾ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يَحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعْزُّ نَفْرًا
 وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَطْلَنْتُ أَنْ تَبِدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ﴿٢٥﴾ وَمَا أَطْلَنْتُ السَّاعَةَ قَائِمَهُ وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَى رَقِيٍّ
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا

(سورة الكهف : آية ٣٤-٣٦)

ضرب الله مثلاً بالرجلين جعل لأحدهما جنتين فأخذ يفتخر على صاحبه ويقول "أنا أكثر منك مالاً" وعزه النفر وظن أن هذه الجنة لا تفني ولا تهلك ولا تتلف وإن

(١٦٤)

رجع الى الله سيدرك أكثر ولو لا الكرامة ما أعطي فاغتر بهذا المال . فرد عليه صاحبه المؤمن واعظاً عما فيه من الكفر بالله والاغترار " أكفرت بالذي خلقك من تراب " كما ورد في قوله تعالى :

أَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ حَارِرٌ
أَكَفَرَتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّلَكَ رِجْلًا

(الكهف : آية ٣٧)

قوله تعالى :

وَلَحِيطَ بِشَرِيفٍ فَاصْبَحَ يُقْلِبُ كَفِيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عَرْوَشَهَا وَيَقُولُ يَا إِنْسَانِي لَمْ أَشْرِكْ بِرِبِّي أَحَدًا^ع وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا

(الكهف : آية ٤٢ - ٤٣) .

فكان مصيره ان " أحيط بشمره " وبأمواله وبشماره ما كان يحدره لما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها واهته عن ذكر الله عز وجل . (ابن كثير ، ٢٠٤١هـ ، ج ٢ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠) .

فينبغي على المسلم ألا يغتر بالمال فيتفاخر به على غيره لأن الغرور يذهب النعمة نعمة المال ، فينبغي على الفرد أن يشكر الله على فضله ويعكس ذلك على سلوكه وتعامله مع القراء فيتواضع لهم ويكرمهم . كما قال تعالى :

وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ
لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيِطُوا قُوَّةً مَا يَبْخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَإِلَهُمْ يَرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاللَّهُ مَا أَعْمَلُونَ حَسْنٌ

(سورة آل عمران : آية ١٨٠)

(١٦٥)

وقال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِمْتُمُوا لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَعْمَلْ
ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَنَا أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْنَاهُ
إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ فَاصْدَقُوا وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ

(سورة المنافقون : آية ٩ - ١٠)

فالمال يورث الطغيان في الوجدان كما يورث الخسران في الدنيا وبعد الناس عن ذلك المغدور به والخسران في الآخرة .

قال تعالى :

أَكَلَاهُنَّ
إِلَانِسَنٌ لِيَطْعَنَ ﴿٦﴾ أَنَّ رَبَّهُ أَهُمْ أَسْتَغْنَى

(سورة العلق : آية ٦ - ٧)

فالإنسان ليتجاوز الحدودي الطغيان واتباع هوى النفس ويستكبر على ربه عز وجل من أجل أن رأى نفسه غنياً وأصبح ذات ثروة ومال أشر وبطر (الصابوني ، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ ، ج ٣ ، ص ٥٨٢) .

والإسلام عالج الغرور بأن يتفكر الفرد في آفات كنز المال ومنع انفاقه على الفقراء ، وعظيم غوايده ، وان دوام المال محال فهو غادر ورائح ، وان ينظر إلى الفقراء وسبقهم إلى الجنة عن الأغنياء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل فقراء المؤمنون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسة مائة عام " (ابن ماجة ، ج ٢ ، ص ٣٩٦) .

فالمال فتنه في الدنيا يحجب عن الحقائق وحقيقة النفس ، فينبغي على الفرد مراقبة نفسه في ماله وان ينفقه لينال الجنة كما قال تعالى :

اَكُلُّ نَفْسٍ ذَآيِقَةً الْمَوْتِ
وَإِنَّمَا تُوقَنُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِنَ
عَنِ الْثَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا[~]
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

(سورة آل عمران : آية ١٨٥)

فعلى الفرد المؤمن ألا يتعاظم بالنعمة ويركز إليها وينسى إضافتها إلى النعم جل شأنه فعليه حق تجاه الله وسيجازى بالفوز العظيم في الدنيا والآخرة ، وينال الحسنة في الدنيا بزيادة المال والآخرة إن يقي نفسه من النار .

وهناك جانب آخر من الغرور كغرور الفرد بنسبة وشرفه فيعجب المرء بشرفه ويغتر بنسبة وأصله ، فيحمله ذلك إلى أن يقعد عن إكتساب المعالي ، ويضعف عن طلب الكمالات فيعطيه به عمله ولم يسرع به نفسه ، فيحقر ويصغر ، ويذل ويهون .
(الجزائري، ١٣٩٦هـ ، ص ١٦٧) .

فالغرور بالنسبة كعجبه بأنه من قبيلة كذا ذات الأصل كذا ويعظام بأجداده وآباءه . فهذا من عيبة الجاهلية التي نهى عنها الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ابن عمر " يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، وتعاظمها بآبائهما ، فالناس رجالان : رجل يرتقي كريما على الله ، وفاجر شقي هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب " (الألباني، ١٤٠٢هـ ، ج ٦، ص ٢٧١) (ابو داود، ١٣٩٩هـ، ج ٤، ١، ص ٢١).

(١٦٧)

فإِلَّا سَلَامٌ مُحِيَّ الْفَوَارقَ فِي النَّسْبِ وَالشَّرْفِ وَجَعَلَ التَّفَاضُلَ فِي النَّقْوَى بِقَدْرِ النَّقْوَى
يَكُونُ الْقَدْرُ عَظِيمٌ . كَمَا قَالَ تَعَالَى :

يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُورًا وَفَيَالِ لِتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلَيْهِ خَيْرٌ

(سورة الحجرات : آية ١٣)

وَقَالَ تَعَالَى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوْنَ مِنْ قَوْمٍ
عَسَى أَنْ يَكُونُوا أَخْيَرُ أَمْنَهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِّنْ نَسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا أَخْيَرًا
مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِرُوا إِلَّا لِقَدِّطَ يَنْسَ الْأَسْمَمُ
الْفَسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(سورة الحجرات : آية ١١)

فإِلَّا سَلَامٌ مُحِيَّ الْفَوَارقَ الَّتِي كَانَتْ مُخِيمَةً عَلَى أَفْكَارِ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ حِيثُ كَانَ
الْفَرَدُ يَظْنُ أَنَّ نَسَبَهُ كَفِيلٌ أَنْ يَجْعِيَهُ مِنَ الْعَذَابِ كَمَا يَكُونُ هاشِمِيًّا أَوْ فَرْشِيًّا يَدْخُلُ فِي
رُوْعَةِ أَنَّ نَسَبَهُ بَآبَائِهِ هُوَ غَايَةُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَهَذَا عَلاجُهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا
خَالَفَ آبَاءَهُ فِي أَفْعَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَظَنَّ أَنَّهُ يَلْحِقُ بِهِمْ فَقَدْ بَرَهَنَ عَلَى جَهَلِهِ وَإِنْ افْتَدَى
بَآبَائِهِ ، فَمَا كَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَجَبٌ بِالْحُوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْوُقُوفُ بِجَانِبِ الْحَقِّ
وَمُذْمِنَةُ النَّفْسِ دَائِمًا ، وَانْهُمْ شَرَفُوا بِالطَّاعَةِ وَالْعِلْمِ وَالْخُصُّالِ الْخَمِيدَةِ لَا بِالنَّسْبِ .
فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُقِيلْ لَهُ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ مِنْ أَكْيَسِ النَّاسِ لَمْ يَقُلْ مِنْ
يَنْتَمِي إِلَى نَسَبِيٍّ ، وَلَكِنْ قَالَ أَكْرَمُهُمْ أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذَكْرًا وَأَشَدُهُمْ لَهُ اسْتَعْدَادًا . فَقَدْ
نَزَّلَ الْآيَةَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ وَقَوْلُهُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَفْسُحْ لَهُ ابْنُ

فلانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانه فقام ثابت فقال : أنا يارسول الله فقال : أنظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت فقال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال : فانك لاتفضلهم إلا في الدين والقوى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مقاتل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً حتى أذن على ظهر الكعبة فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم ، وقال الحارث بن هشام : أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئاً يغيره . وقال أبو سفيان اني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا قد عاهم وسائلهم عما قالوا فأقر وله ، فأنزل الله تعالى :

يَتَأْلِمُ إِنَّ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأْنَاكُمْ
شَعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَذَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلَيْهِ الْحُكْمُ

(الحجرات : آية ١٣)

فلا تفاوت بين الناس في الأنساب والمكانة الاجتماعية إنما فائدة النسب من ينتسب إلى القوى والآيات **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** فمن أجل هذا المقياس أول مابداً الرسول بنشر الدعوة بدأ باله فقال صلى الله عليه وسلم " يابني كعب بن لؤي : انقذوا أنفسكم من النار ، يابني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار ، يابني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار ، يابني عبد مناف : انقذوا أنفسكم من النار ، يابني عبد المطلب : انقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة انقذني نفسك من النار ، فإنني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رجحاً سأبلغها بيلاتها " (الألباني، ٢٠٤٠، هـ، جـ٦، ص ٢٨٧) . (مسلم بشرح النووي، جـ٣، ص ٨٠) .

(١٦٩)

وقال صلى الله عليه وسلم فيما روي عن أبي هريرة عن عائشة : " يامعشر قريش أشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عممة رسول الله إلا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد ! سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً " (الألباني ، ٤١٤٢هـ ، جـ٦ ، ص٣٠٨) (مسلم بشرح النووي ، جـ٣ ، ص٨٠) .

وعلاج الغرور يكون بالصدق بالإيمان والبرهان التصديق بأن ما وجد عليه الفرد من ميزة إنما هي في زوال وما عند الله باق وهو خير . لذا ينبغي له أن يصرف هذه النعم في الخير . فيصدق قوله تعالى :

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْجَرِيتَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(سورة النحل : آية ٩٦)

وقوله تعالى :

وَمَا أُوتِنُّ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّنَهَا وَمَا أُنْدَ
اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(سورة القصص : آية ٦٠)

وقوله تعالى :

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا يَعْلَمُ إِذَا يُقَدِّرُهَا فَأَحْتَمَ السَّيْلَ زِيدًا إِيمَانًا
وَمَا يُوْقِدُونَ عَلَيْهِ فِي الْأَرْضِ أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَّعَ زِيدًا مِثْلَهِ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَطْلَ فَمَا أَزَّرَدُ فِي ذَهَبٍ جُفَاءً وَمَا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

(سورة الرعد : آية ١٧)

(١٧٠)

وقوله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآيِقَةُ الْمَوْتِ
 وَإِنَّمَا تُوفَّى نُحْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّنَ
 عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 إِلَّا مَتَّعٌ الْغَرُورِ

(سورة آل عمران : آية ١٨٥)

وقوله تعالى :

يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَلَا خَسُوا يَوْمًا لَا يَجِزِي وَالدُّنْيَا^١
 عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مُولُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالدِّيَةِ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 حَقًّا فَلَا تَغْرِبُنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبُنَّكُمْ بِاللَّهِ

الْغَرُورُ

(سورة لقمان : آية ٣٣)

ويستعان على التخلص من الغرور عموماً ، بتحكيم العقل فهو النور الأصلي الذي يدرك به الإنسان حقائق الأشياء ، وبالمعرفة التي يعرف بواسطتها نفسه وربه ودنياه وآخرته ويستعين على معرفة الدنيا والآخرة بما تطرقت إليه علوم الدين ومعرفة ما تطرقت إليه من ذكر الموت والمصير في الحياة الآخرة . فبهذا يشار في الوجдан حب الله تعالى ، ومن ثم يعرف كيف يسلك السبيل إلى سلوك الطريق المستقيم الذي يقربه من الله تعالى . فبهذا يتأنب بأداب الشرع في انفعالاته ، ويبعد عن طريق الشيطان الذي حلف بعزة الله وجلاله لأن يغويبني آدم ، كما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن ابليس قال لربه : بعذتك وجلالك لا أربح أغويني ببني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال الله : بعذتي وجلالي لا أربح أغوي لهم ما استغفروني " (القاري ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٥) . فقد أحاط الفرد المسلم بجميع الطرق المذمومة ووضع خلفاً لها الطرق الحمودة ، فإن بذلك يمكنه الخدر من أنواع الغرور .

٦ - الجن :-

يعتبر الجن من الانفعالات السلبية التي يتأثر بها الوجودان وهو عكس الشجاعة التي تعتبر فضيلة للقوة الغضبية لكونها قوية وهي قوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع في اقدامها واحجامها . أما الجن فهو حالة تنقص بها حركة القوة الغضبية عن القدر الواجب فتصرّف عن الاقدام حيث يجب الاقدام . (جاد المولى، "د.ت" ، ج ١، ص ٣٦٤) .

ويعرف جاد المولى الجن : بأنه الاحجام عن اتقاء ما ينزل به من الخطر، أو دفع ما يناله الانسان من الأذى مع القدرة على ذلك .

ومن آثار الجن الخيبة والخسارة في الدنيا والآخرة . لأن هذا الانفعال السلبي من ابتنى به تدعوه نفسه للابتعاد عن كل ما يؤذيها من أمور المواجهة فيبقى بعيداً عن كل مامن شأنه المساس براحته وسلامته . (البلالي، ١٤١٣هـ، ص ٣٣) .

أيضاً من مظاهر الجن الالتجاء تارة إلى الحيلة ، أو الالتجاء إلى الاستعانة بصفات أخرى ذميمة منها كالكذب والرياء أو المواربة . وغيرها من الصفات التي توقع في الإثم . (جاد المولى، "د.ت" ، ج ١، ص ٤٣) .

والنتائج المترتبة على الانفعال السلبي الجن والتي تتبعه إهانة النفس . وطمع طبقات الأنداش وغيرهم من ذوي الطبقات الدنيا أخلاقياً . كما ينتج ظهور قلة في الثبات والصبر في المواطن التي يحبب فيها هذا السلوك .

كما ينتج عن الجن ظهور الخور والكسل لأن الجن يؤدي إلى سكون تام للنفس عند ضرورة تحركها، فيلجم الجنان إلى الراحة بل تصبح صفة دائمة له وهي سبب كل

رذيلة . ومن لواحق هذه الخلة الاستخداة لكل أحد والرضا بكل رذيلة وضيم . والدخول تحت كل فضيحة في الأهل والنفس والمال ، وسماع كل قبيحة فاحشة من الشتم والقذف ، واحتمال كل ظلم من كل معامل ، وقلة الأنفعـة مما يألف منه الناس .

(جاد المولى، (د.ت)، جـ١، ص ٣٦٥) .

والجبن يعتبر من أرذل الصفات الخلقية التي استعادـه منها الرسول صلى الله عليه وسلم . كما روـي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال " (الألباني، ٤٠٢ هـ، جـ١، ص ٤٠٨) (ابن حـبـل، ٤٩٧ هـ، جـ٤، ص ٤١٤). كما كان صحـابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصـحـون بالتعـودـ من الجـبنـ ، فعن زـيدـ بنـ أـرـقمـ قالـ : لاـ أـقـولـ لـكـمـ إـلـاـ كـمـ كانـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـولـ ، كـانـ يـقـولـ : " اللـهـمـ إـنـيـ أـعـوـذـ بـكـ مـنـ العـجـزـ وـالـكـسـلـ ، وـالـجـبـنـ ، وـالـبـخـلـ وـالـهـرـمـ ، وـعـذـابـ الـقـبـرـ ، اللـهـمـ آـتـ نـفـسـيـ تـقـواـهـاـ وـزـكـهاـ أـنـتـ خـيـرـ مـنـ زـكـاهـاـ ، أـنـتـ وـلـيـهـاـ وـمـوـلـاهـاـ ، اللـهـمـ إـنـيـ أـعـوـذـ بـكـ مـنـ عـلـمـ لـاـ يـفـعـ ، وـمـنـ قـلـبـ لـاـ يـخـشـعـ وـمـنـ نـفـسـ لـاـ تـشـبـعـ ، وـمـنـ دـعـوـةـ لـاـ يـسـتـجـابـ لـهـاـ " (مسلم، ٤١٣٣ هـ، جـ٤، ص ٨١-٨٢) .

واعتـبرـ الاسلامـ الجـبنـ منـ أـرـذـلـ الصـفـاتـ الخـلـقـيةـ . كما قالـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : " شـرـ ماـ فيـ رـجـلـ شـحـ هـالـعـ وـجـنـ خـالـعـ " (ابنـ حـبـلـ، ٤١٤ هـ، جـ٣، ص ١٦٥) . والـرسـولـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـعـتـبـرـ الجـبنـ منـ أـشـرـ الصـفـاتـ الـتـيـ يـتـصـفـ بهاـ الرـجـلـ لـأـنـ الجـبنـ الـخـالـعـ يـؤـذـيـ الـإـنـسـانـ فـيـ جـعـلـهـ ضـعـيفـاـ خـائـفـاـ ذـلـيـلاـ عـاجـزاـ عـنـ الدـفـاعـ عـنـ دـيـنـهـ وـنـفـسـهـ وـعـرـضـهـ وـأـهـلـهـ وـمـالـهـ وـوـطـنـهـ ، بلـ يـضـرـ بـالـجـمـاعـةـ . (الـزنـتـانـيـ، ١٩٨٤ـمـ،

ص ٧٢٨) . لأنه إذا تفشي في الجماعة يصبح أفرادها غير قادرين على إظهار عملهم كاملاً فلا يستمعون بما عندهم من علم وتجربة . فتظهر أعمالهم ناقصة دائماً فيأملون لما يصيبهم من فوات المنفعة التي كانوا ينالونها لو لا فقدان الشجاعة والاتصاف بالجبن .

(جاد المولى، (د.ت) ، ج٤، ص ١٤٩) .

فالآمة التي يعم الجبن أفرادها ويصبح الصفة الدائمة لهم فإن اعداءها يطمعون فيها بل تغزى في عقر دارها، كما تستعيدها أضعف الأمم ، ومن نقص رأي حكامها أن يتصرفوا في رعيتهم بالجور حتى ينتقصوا شجاعتهم ، ويدهروا بخوتهم ويتركوهم كالشياة في ربقة لا يستطيعون ليد القصاب دفعاً (جاد المولى، (د. ت)، ج٤، ص ١٤٩-١٥٠) .

لذلك كان من أهداف الإسلام في تربية وجдан الآمة بث روح الشجاعة في أفرادها . فكان من أسباب فوز العرب حين قاموا يفتحون مالك الفرس ما امتازوا به من الشجاعة التي كانت أكبر مفاخرهم ، وقيام كل فرد بحراسة نفسه، والذود عن أهله، وعدم خضوعهم لسلطان قاهر يستذهم ويستعبدهم جعل الشجاعة تبلغ فيهم غايتها . (جاد المولى، (د. ت)، ج٤، ص ١٥٠) .

فالإسلام ذم خلق الجبن ، ودعا إلى تقوية الإرادة والعزمية بالشجاعة النفسية ليكون من مجموع الأفراد الآمة الصالحة نفسياً والتي تستطيع بنقاء وجدانها وخلوها من الأمراض القيام بدورها . فصحة الوجدان ونقائه يمكن كسبها من خلال التنشئة الصالحة منذ الطفولة التي تغرس في النفس بالمران والتدريب والتعود . (الزنطاني، ١٩٨٤م، ص ٧٢٨) .

إن الإسلام يعالج الجبن بأن يحرك مشاعر الإنسان نحو المقاصد النبيلة والقيم العليا والمتراع الأخرى وييهوّن في حسه من الحياة الدنيا وزخرفتها وينفره من قبول الهوان والذل حرصاً على ذلك المتراع . وقد جمع الله كل متراع الأرض في كفة ، ووضع في الكفة الأخرى حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ورجح الثانية على الأولى كما قال

تعالى :

قل إِنْ

كَانَ أَبَاكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالُ أَقْرَبِتُمُوهَا وَتَجَرَّهُ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسِكَنُ
تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَهَادَ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرْبَصُوا أَحَقَّ يَأْتِي أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ وَاللَّهُ لَا يَهِيءُ
الْقَوْمُ الْفَاسِقِينَ

(سورة التوبة : آية ٢٤)

فالمشارع تتحرّك لا محالة إذا حرّكت بما يلائمها ، وتبعث ما في طبيعتها ، فمن كان طبعه ميل إلى النقصان الجبن فليتعاطّ أفعال الشجعان مواطباً عليها حتى يصير له الاعتبار طبعاً . (جاد المولى، (د . ت)، ج ١، ٢٣٦٥) (ابن مسکویه تقديم حسن غنیم، (د . ت)، ص ١٧٣) .

وما دعا إليه الإسلام أن يجعل الطفل أكثر تعرفاً للشيء الذي يخيفه ، فإذا كان يخاف الظلام فلا بأس بأن نداعبه باطفاء النور ثم اشعاله، وإن كان يخاف الماء فلا بأس بأن نسمح له بأن يلعب بقليل من الماء في إناء صغير أو ما شابهه ، وإن كان يخاف آلة كهربائية كمكنسة كهربائية فلا بأس بأن نعطيه بعض من اجزائها ليلاعب بها ثم نسمح له بأن يلعب بها كاملة وهكذا تكون قد انتزعنا الخوف والجبن من وجداه . (علوان، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٣١٢) .

كما ينبغي تعليم الفرد الشجاعة بتلقينه مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ليتخلقوا بأخلاق السلف في الاقدام والبطولة النادرة وحب الجهاد . فذكر سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في هذا المعنى : " كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم سور من القرآن ". وإليك غوذجاً من شجاعة نادرة التي ينبغي أن يختذلها المسلمين في وقتنا الحاضر . أخرج الشیخان عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : اني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالی فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما . فغمدنا أحدا هما فقال : يا عماه !! أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده (أي شخصي شخصه) حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، فغمدنا الآخر فقال لي أيضاً مثلها فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس . فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألاني عنه ، فابتدرأه بسيفيهما فضربه حتى قتله ، ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : أيهما قتله ؟ قال كل منهما : أنا قتله ، قال : هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا : لا . قال : فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال : كلا كمَا قتله . وقضى بسلبه معاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ ابن عفرا رضي الله عنهما (علوان، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٣١٤) .

ولعلاج الجن فقد حكي عن بعض المتفلسفين أنه كان يعالج الجن بأصداده وأصداد الأسباب المؤدية إليه كالخوف حيث كان يعتمد مواطن الخوف فيقف فيها، ويحمل نفسه الثبات في المخاوف ، ويحرك منها القوة التي تسكن عند الحاجة إلى حركتها، ويخرجها عن رذيلة الكسل ولوائحه . (ابن مسكويه، ص ١٧٣) .

(١٧٦)

فالجبن من الانفعالات السلبية التي عالجها الإسلام بشتى الطرق قولهً وفعلاً ، بل
الإسلام اتخد أسلوب علاجه بالتعليم كما تعلم الكتابة . كما روي عن مصعب بن
سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء
الكلمات ، كما تعلم الكتابة : اللهم إني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن،
وأعوذ بك أن نرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وعذاب القبر " .
(البخاري، (د.ت)، جـ٨، ص ١٠٣) .

فبتعلم الدعاء من الجبن يكون العلاج ، كما علمنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم .

ب - الانفعالات الايجابية والطرق التربوية لتنميتها في الإسلام :-

قد يرد إلى الذهن أن مصطلح الانفعال كمجال من مجالات التربية الوجدانية في الإسلام يندرج تحته الانفعالات السلبية فقط كالغضب والخوف والحسد والخذد والغرور وما إلى ذلك ، بيد أن مصطلح الانفعالات شامل للانفعالات السلبية والابيجابية . والاسلام يعمل على معالجة السلبي منها وتنمية الابيجابي منها نظراً لأهميتها في سلوك الفرد والمجتمع .

وتتلخص أهمية الانفعالات الابيجابية في كونها منبعاً خصباً للأعمال البنائية الانشائية فهي تدفع الفرد نحو العمل والطموح ، وهي ضرورة من ضرورات الحياة ومصدر قوي من مصادر إستمتاع الفرد بها في تحقيق آماله وطموحاته ومسراته ، كما أنها ضرورية للمجتمع كله كضرورتها للفرد .

والانفعالات الابيجابية تؤثر تأثيراً حسناً على مستوى نشاط الفرد فتؤهله للقيام بعمل يفوق طاقته العادلة ، فقد يتجاوز حدود التعب العادي فلا يكاد يحس به . وهو يضي منفعلاً لأنجاز عمله . ومثال ذلك الشجاعة التي تدفع الفرد للقيام بخوض المعارك فلا يحس بالتعب بل يتجدد نشاطه بالحماس والاقدام . نتيجة للانفعال الابيجابي .

(السيد، ١٩٧٤م، ص ٣١٨-٣١٩) .

وأهم الانفعالات الابيجابية التي عمل الاسلام على تنميتها هي : الشجاعة، الشقة، العزة، الحذر، الفرح، التواضع . وسوف تستعرض الباحثة هذه الانفعالات ذلك لايضاح أهميتها في التربية الوجدانية بالنسبة للفرد والمجتمع .

١ - الشجاعة :

الشجاعة في نظر الاسلام هي إحدى الانفعالات الابيجابية ، وهي فضيلة تبعث من الوجدان ، وتأثير في السلوك فتدفع الفرد إلى الاقدام على الأعمال النافعة التي يعتقد أنها ونفعها إلى الغير ، وتكون بذلك أجمل من إقتصار منفعتها على صاحبها وحده.

والشجاعة هي الثبات عند ملاقاۃ الشدائد ، والاقدام على ما يعتقده الانسان حقاً من قول أو فعل مهما اعترضه من العقبا، وصادفه من الصعب (جاد المولى، (د . ت)، ج٤، ص ٣٤).

والشخص الذي يعتلج في وجدانه انفعال الشجاعة هو ذلك الشخص الذي نراه إذا رأى انساناً عرضة لسيارة تدهمه ، أو يميتلعله أو نار تلتهمه ، أو سفاك أثيم ظالم يهدد حياته ، أو حشرة تؤذيه ، أو حيوان يفترسه ، أو أبصر مريضاً مغشياً عليه - خف سريعاً إلى تخليصه واقتحام المخاطر في سبيل إنقاذه من الهلاك وتحمل الآلام في سبيل نصرة المظلوم وفي سبيل اسعافه من الموقف الصعب . (جاد المولى، ج٤، ص ٣٤).

فهذا السلوك الطيب السوي هو ناتج من الانفعال الصادر من الوجدان السليم، لأن الشجاعة تتبع من القلب ، وهي حرارة القلب وغضبه وقيامه وانتسابه وثباته ، فإذا رأته الأعضاء كذلك أعانته وهي خدم له وجندوه، كما أنه إذا ولت سائر جنوده .

(الجزوية، ٦٤٠٦هـ، ج٢، ص ٥٧٠).

ويعتبر الاسلام أن الشجاعة من أهم عناصر الشخصية القوية ، وهي صفة ليست مقتصرة على الاقدام على الأعمال الجسمية تجاه الآخرين بل هي صفة للقوة على ضبط النفس عند الغضب ، والصبر على الشدائيد النفسية ، وعدم التأسف عن المقادير بأن يقول لو فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ، بل ينبغي أن يسند الأمور التي هي من

اختصاص دائرة القدر الكبرى لله سبحانه وتعالى . فقد روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، أحρص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " (الألباني، ط٣، ٤٠٢، ١٤٠٦ـ، ج٥، ص٥) (ابن ماجة، ط٣، ٤٠٨ـ، ج١، ص٢٠) .

وللشجاعة مظاهر تظهر آثارها على شخصية الفرد خلال سلوكه وتصرفاته .
فمن مظاهر الشجاعة التغلب على الصعاب التي تعرّض الفرد في الحياة ، والاقدام على إصلاح الخطأ في الأداء والمعتقدات والعادات والوهم والخرافات ، والتقاليد الخاطئة .

فينبغي أن يكون الإنسان شجاعاً في الحق ولو نال من ذلك شر ، إذ أن ذلك يعتبر فخراً وشرفاً وعزة في الوجود . ليحقق بذلك دوره في أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْلَا أَمَّنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِيْقُونَ

(سورة آل عمران : آية ١١٠)

وينبغي للفرد أن يتبع خطوات السلف الصالح في الشجاعة في ابداء الرأي والمناقشة والسؤال والاجابة عما يسأل عنه . كقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله

عنه : لأن يضعني الصدق وقلما يفعل - خير من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل. (جاد المولى، ج ٣، ص ٤٦١) .

والشجاعة المعنوية تتمثل في الجهد بالحق كما تمثل في حرية القول بلسان الشرع أي الأمر بالمعروف والهبي عن المنكر ، وهذا واجب إجتماعي . (جاد المولى، ج ٤، ص ٤٤) . أمر به الشرع كما قال تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوْمَيْنَ بِالْقُسْطِ شَهِدَ أَنَّ اللَّهَ
وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ أَوْلَادِنَّ وَالآقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنْنَيَا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَسْتَعِنُوا الْهُوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
تَلَوْهُ أَوْ تُغْرِي ضُرُوفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا ﴾ (سورة النساء : آية ١٣٥)

والشجاعة المعنوية تسق الشجاعة الجسمية وهذا ما يمثله سلوك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أخرج ابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ما علمت أحداً هاجر إلا مستخفياً إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإنه لما هم بالهجرة تلقد سيفه وتنكب قوسه ، وانتقض في يده أسلهماً ، ومضى قبل الكعبة والملائ من قريش بفنائهما ، فطاف بالبيت سبعاً ثم صلى عند المقام ، ثم أتى حلقتهم واحدة واحدة ، فقال : شامت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن تشكله أمه ، ويوقن ولده ، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، فما تبعه منهم أحد . (الشربجي، ط ٢، ١٤٠٥ هـ، ص ١٢٧) .

فهذه شجاعة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعنوية والتي ترافقتها الشجاعة المعنوية والتي ينبغي على كل فرد مسلم أن يتحلى بها فهي شجاعة براعة خفافة، وينبغي ذكرها ليتربي عليها الأجيال ليكونوا خير خلف خير سلف . والإظهار

الدين الحق فهو المثل في ذلك ، فما أن أسلم سيدنا عمر وأعلن إسلامه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان يومئذ مستخفياً بأصحابه من أذى المشركين - حتى قال عمر : يارسول الله علام نحفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنما قليل ، وقد رأيت ما لقينا . فقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . والذي بعثك بالحق لا ي Quincy مجلس من مجالس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان ، وما زال يراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج إلى الكعبة في صفين من المسلمين ، حزنة في أحدهما و عمر في الآخر ، فأصابت قريشاً كآبة شديدة حين رأوا حزنة و عمر رضي الله عنهم ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق لأنه أظهر الإسلام ، وفرق بين الحق والباطل .(الشرجبي ، مرجع سابق، ص ١٢٦) .

وتعني التربية الإسلامية بتربية الشجاعة للفرد منذ الصغر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى المراهقين في ميدان القتال فيعاملهم معاملة الرجال ليتمي فيهم هذا الانفعال الإيجابي ، فقد كان يجيز القتال للصغير إن رأى فيه الامكانية النفسية متمثلة في إنفعاله للموقف بشجاعة . فيروي عامر بن سعد عن أبيه قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص - قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج إلى بدر - يتوارى فقلت : مالك يا أخي ؟ فقال : اني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردنني ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة ، قال فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره فقال : أرجع فبكى عمير فأجازه الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فكنت اعقد له حائل سيفه من صغره . فقتل بيد

وهو ابن ست عشرة سنة ، قتله عمرو بن عبد ود . (ابن الجوزي - تحقيق محمد فاخوري، محمد قلعه جي، ١٩٦٩ م، ج ١، ص ٣٩٤) .

وقد كان للسلف الصالح أمثلة ثبتت التربية السليمة للوجدان في تنمية انفعال الشجاعة، وهنا يظهر دور الأم في تنمية الانفعال الإيجابي الشجاعة ، عندما ضيق الحجاج بن يوسف الثقفي الخناق على عبد الله بن الزبير المعتصم بيت الله الحرام واقتربت المعركة الفاصلة بينهما وقد خذله انصاره أتى إلى والدته اسماء بنت أبي بكر الصديق ، فقال لها أمهاء خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معه إلا يسير من ليس عنده من الدافع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقلت : انت والله يا بني اعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعوا فامضي ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تتمكن في رقبتك يتقلب بها غلمان بني أمية . وإن كنت إنما أردت الدنيا فيئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت : كنت على حق فلما وهن أصحابي ضفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير والله لضربه في عز أحب إلي من ضربة سوط في ذل : فقال لها : أمهاء ... أخاف إن فعلت أن يمثلوا بي ويصلبوني .. فقلت : يا بني إن الشاة لا يضررها سلحها بعد ذبحها ، فأمضي على بصيرتك واستعن بالله . فدنا عبد الله من أمهه وقبل رأسها وقال : هذا والله رأي الذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب والله وان تستحل حرمته . ولكنني أحببت أن أعلم رأيك فزودني بصيرة على بصيرتي ، فانظري يا أمهاء فإني مقتول من يومي هذا . فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر الله ، فإن ابنك لم يتعد اتيا منكر ولا عملاً بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم

يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به ، بل انكرته ، ولم يكن شيء أفضل عندي من رضا ربِّي . اللهم لا أقول هذا تزكية مني لنفسي ، أنت أعلم بي ، ولكن أقوله تعزية لأمي كلاً تسلوني ، فلا تدعني الدعاء لي ، فقالت : "لأدعه أبداً ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق" . ثم رفعت وجهها إلى السماء وقالت : اللهم أرحم طول ذلك القيام الطويل وذلك النحيب والظماء ، في جواهر المدينة وبيره بأبيه وبه ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبدالله ثواب الصابرين الشاكرين . فأثار الدعاء حماس عبد الله فخرج إلى أصحابه وحمل على أعدائه حمله قوية بشجاعة مؤمن صامد ولم يلبث أن سقط صريعاً . فصلبه الحجاج في ظاهر المدينة وبقى إلى أن مرت والدته والتمسته لأنها كانت فاقدة البصر ، وقالت كلماتها المأثورة التي نفت عن عزة وباء : أما آن للفارس أن يترجّل . (العساف ، ط٣، ١٤٠٠هـ، ص ١١٠-١١١) .

فأسلوب التربية الإسلامية في تنمية الانفعال الإيجابي المتمثل في الشجاعة يبدأ أولاً بغرس الروح المعنوية قبل البدء بالتربية الجسمية ، وما ذاك إلا لأن للوجودان تأثيراً قوياً في سلوك الفرد .

٢ - الثقة:

الثقة بالنفس من الانفعالات الإيجابية في الإسلام . فقد حرث الإسلام الفرد على الاعتزاز بنفسه وحثه على الثقة ، كما خلصه من الشعور بالقص والضعف والخوف . كما حثه على الشجاعة في ابداء الرأي والتعبير عن أفكاره ومشاعره دون خشية من الناس . ونهاه عن تحفير النفس لأنها مدعوة إلى عدم الثقة . (نجاتي ، ط٢، ١٤١٣هـ، ص ٢٨٩) . كما روی " عن سعيد الخدرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

قال لا يحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه قال : يرى امرأ الله عليه مثقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل له يوم القيمة : ما منعك أن تقول فيه ، فيقول : رب خشيت الناس ، قال : فأنا أحق أن تخشى "وقال أبو نعيم - يعني في الحديث- وإنني كنت أحق أن تخافني" (ابن حبّل، ط٢، ١٤١٤هـ، ج٤، ص٩٥-٩٦).

وما يساعد على ثقة الفرد بنفسه أن يكون مفهومه عن ذاته حسناً وطيباً ، إذا كان مفهوم الفرد عن نفسه أنه شخص جدير بحب الناس وتقديرهم ، وأنه ناجح وكفاء ، كان سلوكه في العادة متفقاً مع هذا المفهوم ، أما إذا كان مفهومه عن نفسه أنه غير جدير بحب الناس وتقديرهم ، وأنه شخص فاشل غير كفاء ، كان سلوكه أيضاً متفقاً مع هذا المفهوم فيفقد الثقة بنفسه ، ويشعر بعدم القدرة على جذب اهتمام الناس وتقديرهم ، كما أنه يتزدد كثيراً في القيام بعمل هام خوفاً من الفشل . (نجاتي، ١٤٠٩هـ، ص٢٨٩).

ويكون مفهوم الفرد عن نفسه نتيجة معاملة الوالدين والأهل له أثناء تنشئته الاجتماعية ، ونتيجة خبراته الشخصية في كثير من المواقف التي يتعرض لها . ويكون تكوين مفهومه عن نفسه خاطئاً إذا ما تعرض الفرد للفشل أو العقاب القاسي والنقد اللاذع . فهذا منهي عنه لأنه يولد صفة عدم الثبات واهتزاز الشخصية .

لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجاً مثالياً في حسن معاملته لأبناءه وأحفاده ليولد فيهم الثقة بالنفس لتكون شخصياتهم قوية فدّة تستطيع القيام بها مهما في الحياة . فكان حبه وعنايته الفائقة بالحسن والحسين رضي الله عنهمَا وحسن معاملته لهمما نموذجاً يقتدى به واقتدى به أصحابه رضوان الله عليهم ، فأمر باكرام الأبناء ليترموا على التنشئة السليمة التي تشرّم فيهم الثقة بأنفسهم . (نجاتي، ١٤٠٩هـ)

ص ٢٩٠) . كما قال فيما روي " عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم " (السيوطى، ٤١٠هـ، ج ١، ص ٨٧) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك بحكمته السامية أهمية الأسم في تكوين مفهوم الذات والثقة بالنفس ، فالاسم الحسن الجميل من أحد عوامل تكوين الثقة بالنفس ، فكان عليه السلام يغير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة . فقد روي " عن ابن عمر، أن أبنته لعمر كان يقال لها : عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة " (ابن ماجة، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧) . و" عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده، أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال حزن ، قال : أنت سهل قال : لا أغير اسمًا سماه أبي قال ابن المسيب مما زالت الحزونة فيها بعد" (ناصف، ط ٤، ١٩٧٥م، ج ٥، ص ٢٧٥) .

وكما يحرص الإسلام على تنمية الثقة بالنفس فإنه يربى في الناس فضيلة الاعتماد على النفس ، فإنها أصل النجاح ، وأس الفلاح ، وما اتصف بها رجل إلا بلغت به ذروة الجد ، وقداته إلى بحبوبة السعادة ، وأنزلته منزلة الكراهة والسؤدد وما تحلت بتلك الخلة الشريفة أفراد أمة إلا نالت العز ، وفاقت غيرها في ميدان الحضارة والرقي والتقدم، وأصبحت نبراس الشعوب والأمم ومشار الغيرة لمن تواكلوا وعكفوا على الراحة والإسترخاء واستمروا الكسل فتأصل في وجدانهم ونفوسهم فخلال عزهم وطلبهم من العلم والحكمة ، وعجزوا عن أن يقوموا بعمل نافع ، لأن كونهم عالة على غيرهم أضع العزم فيهم وأحمد جذوة نشاطهم .

والاقبال على العلم والصناعة واستخدام العقل وسبيلتان إلى بلوغ هامة المجد
للفرد والأمة . وقال الشاعر :
لعمرك إن المجد والخمر والعلا .. ونيل الأمانى وارتفاع المراتب
فضائل عزم لا تباع لضارع .. واسرار حلم لاتزاع لعائب

فهذه المعانى ليست وقفاً على طائفة دون أخرى ولا جيل خاص ، بل هي حق
مشاع لكل عامل، فكم من أناس ارتقوا من أدنى الدرجات إلى أعلى المراتب
باعتمادهم على أنفسهم وثقتهم بها ، لافرق في ذلك بين غنى وفقير فإن من جد وجذ
كما قال الشاعر :

الجد يدني كل أمر شاسع .. والجد يفتح كل باب مغلق

ومن أجل ذلك كان للقدوة الحسنة فعلها العظيم في إنهاض الإنسان ورفع
مستواه العلمي والعملي . والأمثلة على مبلغ أثر الوثوق بالنفس كثيرة في التاريخ
الإسلامي فمنها الإمام أبي حنيفة الذي ولد سنة ٨٠ هجرية وتوفي سنة ١٥٠ هجرية
والذي له يد الطولى في استنباط الأحكام الدينية من الكتاب والسنة . فهو أحد الفقهاء
وعلماء الأصول ، فقد جعل الفقر الذي ولد فيه مرقاه صعود ، وضرب المثل الحسن
لغيره في أن الأمور العظيمة هيئه على أولى العزم الثابت كما قال الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم .. وتأتي على قدر الكرام المكارم

فالغنى قد يتصل بالأرض ، أما العلم والحكمة فلا ، وكل امريء بما كسب رهين ،
ييد أن الإنسان تحتاج إلى من يساعدها ويعويها في أعماله ، سنة الله في خلقه ولن تجد
لسنة الله تبديلا . (جاد المولى، د.ت)، ج ٢، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

ومن الخلال الفردية التي اتصف بها السلف الصالحة الثقة بالله سبحانه وتعالى
وهي القوة التي تعطى طاقة للثقة بالنفس وتقويها ، ومن ثم فهي بالتالي تؤثر في السلوك .
فهذا عبد الله بن مسعود لم يكن رجل حرب وجلاد ، ولكنه كان ذا ميل شديد إلى
التعلم ، فأنقطع إلى رسول الله يخدمه ويأخذ عنه علوم الشريعة الغراء ، حتى نبغ فيها ،
ولم يعد الفتى راعي الغنم بل أصبح العالم الفاضل الذي يشار إليه في علوم الشريعة
بالبيان ، وكان أول من جهر في مكة بالقرآن ، فقد اجتمع الشبان المسلمون يوماً
وقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فهل من رجل يسمعهم ؟
فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، فقالوا : إننا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشرة
تنفعه من القوم إن أرادوه . فقال : دعوني ، إن الله سيمعني . فغدا عبد الله حتى أتى
المقام في الضحى وقريش في انديتها ، فقرأ رافعاً صوته : بسم الله الرحمن الرحيم :
﴿سورة الرحمن آية - ١٧٨﴾ . ومضى في السورة فدهشت قريش وجعلوا يقولون .
ما يقول ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلئ بعض ما جاء به محمد . فقاموا فجعلوا
يضربونه في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ من السورة ما شاء أن يبلغ . ثم انصرف إلى
 أصحابه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا : هذا الذي خشينا عليك . فقال : ما كان أعداء
الله قط أهون عليّ منهم الآن ، ولكن شئت عاديتهم بعثتها غداً فقالوا : حسبي قد
أشعاعتهم ما يكرهون . (جاد المولى، ج ٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢) .

يقول أبو حاتم في كمال الثقة بالله والتوكل عليه ، وأثر ذلك على السلوك .
مارواه محمد بن أبي عمران قال سمعت حاتم الأصم وسألة رجل على ما بنيت أمرك هذا
في التوكل على الله ؟ قال : على خصال أربع : (ابن الجوزي) .

- ١ - علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي .
- ٢ - وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به .
- ٣ - وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره .
- ٤ - وعلمت أنني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه . (ابن الجوزي ،
د.ت) ، ص ٦٦ .

فكمال الثقة أن ييقن الإنسان أن رزقه على الله فيطمئن قلبه لذلك ، ويعمل
ولا يترك عمله لغيره ، وإن يعلم أن عين الله لا تغفل عنه فلا يرتكب معصية وأن يجعل
الحياة من ارتكاب المعصية متمثلاً في وجدانه دوماً ، ويعلم أن له دائرة قدر صغرى له
الحق في التصرف فيها ويعمل سلوكياً في دائرتها ، ويعلم أن هناك دائرة قدر كبرى
تتمثل في مشيئة الله فيشق في الله بأنه سيتحقق له ما أراد وكتب له ذلك قبل أن يوجد في
هذه الحياة وقبل أن يولد .

فمن الأسس الأخلاقية والوجدانية التي بني عليها أمر الثقة بالله والتي تؤثر في
سلوك الفرد المؤمن فتعطيه الدافعية والتي لها تأثير قوي على السلوك في حياته :
أولاً : أساس الرزق والأجل والتوكل على الله في ذلك والثقة فينبغي للفرد
المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً يعتلج في وجدانه ويقوى ثقته بنفسه أنه لن يصيبه إلا
ما كتب له ، فالرزق والأجل قد كتبوا وهو جنين في رحم أمه . كما روی عن عبد الله

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " (مسلم بشرح النووي، ١٤١١هـ، ج ٦، ص ١٩١-١٩٢) . فالإنسان عندما يتبع هذا الشعور في وجدانه ويمارس هذه الحقائق الكبرى فإنه تطمئن نفسه ولا يقلق بكترة الخوف والانشغال على رزقه أن يأكله غيره وعندما يصل الفرد إلى هذا المستوى من الشعور . فهذا يدل على عمق إيمانه وهو مدخل رئيسي لصفة الثقة بالله . (البلاي - تقديم عجيل النشمي، ١٤١٣هـ، ص ٥٧) . الذي تكفل بالرزق ، واقسم بجلاله سبحانه وتعالى وعظمته بتکفله بهذا الرزق ليعطي الفرد الثقة الكاملة كما قال تعالى :

وَفِي السَّمَاوَاتِ رِزْقٌ كُثُرٌ
وَمَا تُوعَدُونَ لَنَذَرْفُ إِلَيْكُمْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّهُ لَحَقٌ مِثْلُ مَا أَنْتُمْ كُمْ
نَطَقُونَ أَ

(سورة الذاريات : آية ٢٢-٢٣)

وقال رسول الله صلى الله علي وسلم فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة " . (الألباني، ج ٤، ص ١٣٥) (السيوطي، ج ٢، ص ٣٨٠) .

وقد جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن ابني أسره العدو فقال أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله " ففعل ، فاستغفل ولده العدو وهرب ولقي غنماً فساقهم معه فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُولُ إِلَّا بِاللَّهِ يَجْعَلُ لَهُ مُخْرِجًا ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حِيثِ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (ابن كثير - المختصر، ٢٤٠٢ هـ، ج ٣، ص ٥١٤) .
 (سورة الطلاق : آية ٢-٣) (النيسابوري، (د.ت)، ص ٣٢٣-٣٢٤) .

ثانياً : أساس العمل - الثقة بالله من الأعمال الصالحة والتي يعكس أثرها على السلوك والوجدان ، فالواثق بالله يكون مطمئناً لأنّه يريد وجه الله ويريد ثواب الآخرة ومفهوم الثقة بالله لا يخرج الفرد عن العمل لاسيما ان أعمال الآخرة لا يمكن التعامل معها بهذا المفهوم ، بل ينبغي أن يسعى الفرد إليها لأن له دائرة قدر صغرى : هو مسؤول عن التحكم فيها والعمل وفقها ، فالمؤمن الكامل الإيمان لا يلتجأ إلى الكسل والتواكل ، ولا يترك فراغاً في حياته لا يشغله ، ولا أن يؤجل عملاً من الأعمال التي يجب أن يقوم بها لأن أحداً لن يقوم بادائتها نيابة عنه لاسيما الأمور المتعلقة بالعبادات والواجبات . (البلاني، ١٤١٣ هـ، ص ٥٧) . كما قال تعالى :

وَأَنَّ لَيْسَ لِإِنْسَنٍ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٢٦﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ

مُرَيَّ

(سورة النجم : آية ٣٩-٤١)

أما دائرة القدر الكبرى فهي التي تمثل فيها الثقة بالله والتوكيل عليه في كفالة الرزق بعد العمل ، وبذلك تتحقق الثقة الكاملة بالنفس في الاقدام على العمل .

ثالثاً : أساس المراقبة : فالفرد لا يخلو شعوره بالمراقبة الدائمة من الله سبحانه وتعالى له فهو يستحي منه تعالى لأنّه ليس في خلو من عين الله ، فلا يمكن للمؤمن أن

يكون في تمام الثقة بالله حتى يستشعر دوماً رقابة الله عليه مما يجعله يستحي أن يفوض أمره لغير الله ويعتمد عليه وهو مؤمن بقدرته وواثق من قضاء حوائجه . فعندما يصاب الفرد بمرض ويتجه إلى أشهر الأطباء ليخلصه من علتة التي يعاني ثم يقرر الطبيب له اجراء جراحة ، ففي هذه اللحظة ينكشف أمر التوكل على الله والثقة ، هل يتعلق وجداه بحوله سبحانه وتعالى ويشق به هو وحده ؟ أم يتعلق جزء من قلبه في الله والجزء الآخر بالبشر ، أم يتعلق وجداه كله بالبشر ولا يعود يرى ويسأل ويستغيث ويشق إلا بالبشر الذين ليس لهم حول ولا قوة ، وهنا تبدأ أهمية الاحساس بالمراقبة من الله ، فمن أadam احساسه بالرقابة الدائمة من الله سبحانه وتعالى يستحي أن يشق بغيره طرفة عين.

(البلاي - تقديم عجبل النشمي، ١٤١٣هـ، ص ٥٨-٥٩).

أيضاً يتمثل أمر الثقة بمراقبة الله في اليقين التام بقدرة الله على حفظه من المخاطر والتأكد بعون الله لحظه التعويض . كما قال تعالى لأم موسى :

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمَّ مُوسَى
أَنَّ أَرْضِيَعِيهِ فَإِذَا خَفَتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ
وَلَا تَحْزِنْ إِنَّ رَادُّهُ إِلَيْكَ وَجَاءَ عَلَوْهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

(سورة القصص : آية ٧)

سلوك أم موسى عليه السلام بالقاء ولدها في البحر ، فهو عين ثقتها بالله إذ لو لا كمال ثقتها بربها لما القت بولدها وفلذة كبدتها في تيار الماء تتلاعب به أماموجهه ، وجريانه إلى حيث ينتهي أو يقف . (الجوزية - تهذيب عبد المنعم العزي ، ط٤ ،

١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ج ٢ ، ص ٥٥٢).

٣- العزّة :

العزّة في نظر الاسلام هي أحد الانفعالات الايجابية والعزّة هي المتعة والغلبة والقدرة، والله تعالى أحق من تسمى باسم العزيز ، فقال تعالى :

وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(سورة يوںس : الآیة ٦٥).

وقال تعالى :

فَلَمَّا جَاءَهُ
أَمْرُهُ نَاجَيَهُنَا صَنِيلِحَا وَالَّذِينَ
أَمْنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ
وَمِنْ خَزْنِي يَوْمِ ذِي رَبِّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(سورة هود : آية ٦٦)

وقوله تعالى :

وَلَهُ

الْكَبِيرَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

سورة الجاثية : آية ٣٧)

والفرد المسلم يجد العزة بانتسابه الى الله العزيز بالإيمان به تعالى والتصديق

بِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَتَابِعِيهِ مَعَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ . كَمَا قَالَ تَعَالَى :

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعْزَمِ

مَنْهَا الْأَذْلُّ وَلِلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ

(سورة المنافقون : آية ٨)

وال المسلم يشعر بالعزّة التي سجلها الله سبحانه وتعالى في كتابه للمؤمنين مقرونة

بالغة لنفسه ولرسوله ، ويشعر انه في معية الله الذي يكليه دوماً بعينه التي لاتنام،

ويحرسه في كنفه الذي لا يرام، ويعده بنصره الذي لا يقهـر .

(١٩٣)

فال التربية الإسلامية تسعى إلى أن يشرب وجدان الفرد بالعزّة ، ويجعلها جزءاً من عقيدته تختلط بدمه ولحمه . وفي سبيل تربية الوجدان على العزة قرر الإسلام ما يأتي :

أ - أن يكون التوحيد خالصاً : فالمؤمن الذي لا يشرك مع الله أحداً يشعر بالعزّة ويحس بالكرامة فيرى نفسه مع الناس جميعاً على قدم المساواة كما قال تعالى :

يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَمَ
مِنْهَا الْأَذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ
الْمُتَفَقِّيْنَ لَا يَعْلَمُونَ

(سورة المنافقون : آية ٨)

وقال تعالى :

سُورَةُ الْفُتْحِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَنِيهِمْ
تَرَنُّهُمْ رُكَاعًا سُجَّدًا يَتَغَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَا هُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْتَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاعَهُ فَعَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى
عَلَى سُوقِهِ يُعِجِّبُ الزُّرَاعَ لِيَغْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

(سورة الفتح : آية ٢٩)

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمنون تكافأ دمائهم ، وهم يد

على من سواهم ، ويسعى بدمتهم أدناهم ، لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهد ، من أحدث حدثًا فعلى نفسه ، ومن أحدث حدثًا ، أو أوى محدثًا ، فعليه لعنة الله والملائكة ، والناس أجمعين " . (الألباني، جـ٦، ص٨) . (البيهقي، جـ٨، ص٢٨). وكما قال رسول الله فيما روي " عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمنون كرجل واحد إن اشتكي رأسه اشتكي كله وإن اشتكي عينه إشتكي كله " (الألباني، جـ٦، ص٩) (مسلم بشرح النووي، جـ٦، ص١٤٠).

ب - أن يعلم الفرد أن حوائجه جميعاً يده الله . فالحياة والرزق والرجل كلها لاسبيل لأحد عليها سوى الله . فقد قرر الإسلام هذه الحقيقة وكررها حتى يقتلع جذور المذلة من وجدان المؤمن ، فقال تعالى :

... وَمَا مِنْ دَبَّتْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَيْهِ رِزْقٌ هَاوَيْلَمْ مُسْنَقَرَهَا
وَمَسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

(سورة هود : آية ٦).

فلكل انسان رزق مقسوم له ، ومسجل في كتاب مبين فعليه أن يطلبه من الله وحده وألا يستدل لأحد ، فلا يحسن انسان أن الخشوع والمذلة لغير الله تزيدان الرزق وعلى الفرد المؤمن فقط أن يختار أشرف المكاسب ، وأن يسلك أحسن السبيل التي تحفظ له وجهه وتحمي كرامته وتصون عزته ، وبعد ذلك يشق ثقة تامة بوعد الله وليرضى بقدرته سبحانه وتعالى ، فهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . (فайд، ط٥، ١٣٩٨هـ، ص٤٢).

فمن وسائل العزة في التربية الوجدانية عدم الابتذال والاذلال لغير الله ، فالمؤمن العزيز صاحب كرامة لأنه متربع عن الدنيا ، لا يسأل غيره قضاء حاجة لنفسه من

(١٩٥)

حوائج الدنيا، وهو خير كغيره عند الله وعند الناس جميعاً . (البهي، ١٣٩٣هـ، ص ١٠٥).

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى "عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيجيء بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه ، أو منعوه " (الألباني، ج ٥، ص ٧) (البيهقي، ج ٦، ص ١٥٣).

وكما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يغدو أحدكم فيحتطلب على ظهره فيتصدق منه ، ويستغنى به عن الناس ، خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ، ذلك بأن اليد العليا ، أفضل من اليد السفلية، وأبداً من تعول " (الألباني، ج ٥، ص ٨) (مسلم بشرح النووي، ج ٧، ص ١٣١).

ولاعطاء الفرد المؤمن العزة وهي صفة هامة لتكوين الشخصية ، تفضل الله على الانسان فكرمه وفضله على كثير من خلقه . فقال تعالى :

وَلَقَدْ كَرِمَ مَنَّا بَنَىٰ إِادَمَ وَجَعَلَتْهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقَنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلَنَاهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا نَفْضِيلًا

(سورة الاسراء : آية ٧٠)

فالانسان في طبيعته ونشأته عزيز مكرم ، فاذا استدل وأهين كان في ذلك من فعله، وكان فعله عندئذ إعوجاجاً ، ولا يستدل ويهاه إلا من ضل السعي في الحياة، ومن ضل سعيه في الحياة يكون قد آثر الدنيا وشهوات النفس على الأعمال الصالحة ،

وإذا كان فيه إيشار للدنيا يحسب انه يحسن صنعاً فقد انحرف انحرافاً بعيداً، وسوف يلقى من الهوان على الأقل من نفسه أمام غيره - ما يبعده عن أن يكون إنساناً وإن بقى في صورة آدمي . لأنه لا يرى عندئذ إلا الدنيا ، ولا يسعى إلا لتحصيل أغراضها ومتاعها، ومن وصل أمره إلى هذه الحال أصبح كمن يأكل ولا يشبّع . (البهي، ص ١٠٦) .

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنا حازن ، وإنما يعطي الله، فمن اعطيته عطاء عن طيب نفس مني ، فيبارك له فيه ، ومن اعطيته عطاء عن شره نفس وشدة مسألة فهو كالأكل ، يأكل ولا يشبّع " (الألباني، ج ٢، ص ٢٨٤) (مسلم بشرح النووي، ج ٧، ص ١٢٨) .

فالصادقون من أفراد الأمة الإسلامية هم أفراد أعزاء كرماء هم المؤمنون حقاً إيماناً يصدر من وجدهم ويصدقه سلوكهم ، والجماعة الكريمة العزيزة التي أرادتها الإسلام هي التي تكون خير أمة أخرجت للناس وهي التي يكون أفرادها أعزاء أقوياء كرماء . (البهي، ص ١٠٦) .

والإسلام لا يريد من المسلمين لكي يصبحوا أعزاء كرماء أن يتركوا الدنيا وما لها وواجهها وزيتها إنما يريد منهم أن يتعرفوا عن الأذلال والسؤال يتعفف صغار الموظفين عن الوساطة ، ويتعفف صغار النفوس من أصحاب الأموال أو الأعمال عن تقديم الرشوة، ويتعفف صغار النفوس من التلاميذ والطلاب عن الغش أو التغشيش في الامتحان، وان يتعفف صغار النفوس من التجار عن التدليس والخداع، ويتعفف صغار النفوس من العمال عن الاستهتار بالواجبات دون عزيمة قوية . (البهي، ص ١٠٦)

(١٩٧)

فالإسلام يريد من الأفراد أن تكون كفايتهم وإيمانهم بأنفسهم العزيزة ومجتمعهم هي وسائل تعففهم عن الدنيا . لأن العزة والكرامة ليست جانباً نظرياً يتطلب الاستماع إلى العضة أو الحماس المؤقت لما يمكن أن يقال ، إنما العزة والكرامة هي التي تتمثل في السلوك والعمل الذي ينشأ عن التربية الإسلامية . والمبدئية من الأسرة ، فالوالدان تقع عليهما مسؤولية الإشراف على الأبناء بتربيتهم تربية سليمة يتمثل فيها التهذيب الكريم والعزة والشمم والإباء ، ولن يكونوا لهم متعة للروح والنفس ، وزينة وجاهًا في الدنيا . (البهي، ص ١٠٧)

كذلك المدرسة مسؤولة أن تجعل من السلوك الأخلاقي بين الطلاب سبلاً للتهديب والعزة والإباء والكرامة . والمجتمع مسؤول عن أحضانه وتقديره للأعذاء والكرماء ، إلا عزاء بالله سبحانه وتعالى بالتفوى والإيمان لا إعزازاً بالنسبة ولا جنسية ولا مال ، كما قال تعالى :

فَإِذَا نُفِخَ
فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ يَتَّهَمُونَ
يَوْمَ يُبَيَّنُ مَيِّزٌ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ

(سورة المؤمنون : آية ١٠١)

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة ، إلا سببي ونبي" (الألباني، ج ٤، ص ١٧٣) وكما روي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نسب وصهر ينقطع يوم القيمة إلا نسي وصهري" (الألباني، ج ٤، ص ١٨٢) (الهندي، ج ١٤، هـ، ٩١٤، ج ١٣، ص ٦٢٤-٦٢٥) (ونستك، ١٩٦١م، ج ٦، ص ٤٢٦) . فمقاييس العزة والكرامة في الإسلام هو التقوى قبل أي شيء آخر .

٤ - الحذر :

يعتبر الحذر من الانفعالات الايجابية في نظر الاسلام ، والتي أمر الفرد الاتصاف بها وتوخيها والحذر دليل على كمال شخصية الفرد . لذا عمل الاسلام على تعميمه لدى الفرد والمجتمع .

والحذر : هو تنبية الانفعال لما ينذر باخطر أو الأذى قبل وقوعه (جاد المولى ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٤٣ .

والحذر هو : التيقظ والاحتراس والاحتياط للأمور في المستقبل . (ناصف) ، ١٣٥٤ هـ ، ج ٥ ، ص ٧٢ .

والحذر الذي اعتبره الاسلام انفعالاً ايجابياً وأمر المسلمين الاتصاف به كما وже به الرسول صلي الله عليه وسلم عند نشر الاسلام هو ذلك الحذر الذي يكون عوناً للفرد البجاء من الأذى والخطر ، والذي يكون مصحوباً ببعد النظر خالياً من سوء الظن . (جاد المولى ، ج ١ ، ص ٤٣) .

فقد وجه الله سبحانه وتعالى الرسول صلي الله عليه وسلم أن يأخذ الحذر من الكفار . كما قال تعالى :

وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَلَى
بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ اللَّهَ أَنْ يُصِيبَهُمْ
بِعَصْبِ ذُرُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ

(سورة المائدة : آية ٤٩)

فالله سبحانه وتعالى يأمر الرسول بالحكم بين اخلق بما جاء في كتابه ، ونهاه أن يعمل بأهواء الكفار ونهاه أن يتبعهم فيما يريدون . والتحذير هنا أشد وأدق وهو

(١٩٩)

تصوير للأمر عن حقيقته .. فهي فتنه في الدين يجب أن تحذر .. والأمر في هذا المجال لا يعدو أن يكون حكماً بما أنزل الله كاملاً أو أن يكون إتباعاً للهوى وفتنه يحذر الله منها . والله تعالى نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحذر والاحتياط من أعدائه وأعداء الإسلام ، وهم اليهود والنصارى الذين يدلّسون الحق فيما أنزل عليه الصلاة والسلام من الحق ، وذلك بأن ينبوه عن الأمور الوارد إتبعها في القرآن . فبشه عليه السلام ألا يغتر بهم فإنهم كذبة وكفرة وخونة يظهرون مالا يظلون في وجدانهم الخرب الذي يعتليء بالخقد والحسد والضغينة للاسلام والمسلمين ، فعلى الرسول أخذ الحذر منهم بالتبه الاهي ، وعلى المسلمين جميعاً إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة . (سيد قطب، ٤٠٠ هـ، المجلد الثاني، ج ٦، ص ٤٩٠) . (ابن كثير، ٤١٤ هـ، ط ٧، ج ١، ص ٥٢٥) .

فينبغي على المسلمين في كل مكان وزمان أخذ الحذر من مخططات اليهود وبروتوكولاتهم المدمرة للفكر والوجدان، والتي بدأت منذ مئات السنين لخارة الحق والاسلام . فقد حذر الله تعالى الرسول وأمره بالحكم بين الخلق بما جاء في القرآن.

وسبب نزول قوله تعالى :

وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْمَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ
بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوْلَوْا فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ اللَّهَ أَنْ يُصِيبَهُمْ
بِيَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ

(سورة المائدة : آية ٤٩)

فسره ابن عباس فقال إن جماعة من اليهود منهم كعب ابن أسيد وعبد الله بن صوري وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض إذهبا بنا إلى محمد قد عرفت أنا أحبار

اليهود وأشرافهم وأنا ان اتبعنا اليهود ولن يخالفونا وان بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فيهم وأحدرهم ان يفتوك عن بعض ما أنزل الله تعالى فيهم : « وأحدرهم أن يفتوك عن بعض ما أنزل الله إليك » (أبي الحسن - تحقيق أبي القاسم أبي النصر، (د . ت)، ص ١٤٧) (القرطبي، ١٩٦٥م، ج ٦، ص ٢١٣-٢١٢).

والرسول صلى الله عليه وسلم وجه المسلمين إلى أحد الحذر من الكافرين واعداء الإسلام . كما قال فيما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين " (ابن حنبل، ط ٢، ١٤١٤هـ، ج ٣، ص ٣٢٠).

" وعن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" (ابن حنبل، ج ٢، ص ٤٥٥). فسبب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر ، فذكر له فقره وعياله فمنْ عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأطلقه بغير فداء ، وعاهده ألا يحضر عليه ولا يهجوه ، فلتحق بقومه، ثم رجع إلى التحرير والهجاء ، ثم أسر يوم أحد، فسأله المَنْ ، فقال : لاتمسح عارضيك بعكة تقول : سخرت بمحمد مرتين ؟ وأمر به فقتل وقال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. = أي ليكن المؤمن حازماً كيساً فطنا ، لا يؤتى من ناحية الغفلة ، فليلدغ مرة بعد أخرى في أمر الدين أو الدنيا . فليس من شيمة المؤمن الحازم الذي يغضب الله، ويذب عن دينه ان يخدع من مثل هذا الغادر المتمرد مرة بعد مرة أخرى . فالحلم مطلقاً غير محمود إلا مع المؤمنين أما الأعداء فلهم الغلظة والخذر . (الخولي، ١٤٠٠هـ،

فلا ينخدع لهم ولا يأمن لموالاتهم فلا يجعلهم أولياء من دون المؤمنين كما قال تعالى :
ص ١٥٨-١٥٩) . فالمؤمن حذر ليدافع عن الاسلام ويحذر اعداءه في المعاملات

لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ أَكْفَارِينَ أَوْ لِيَسَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
يَعْمَلْ ذَلِكَ فَلَيَسَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ
نَقْذِفُهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

(سورة آل عمران : آية ٢٨)

فَاللَّهُ سَبَحَنَهُ وَتَعَالَى يَحْذِرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَقْمَتِهِ فِي مُخَالَفَتِهِ وَسُطُوتِهِ وَعِذَابِهِ لِمَنْ وَالَّى
أَعْدَاءَهُ وَعَادَى أُولَيَاءَهُ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجَعُ وَالْمَنْقَلُ لِيَجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ . (ابنُ كَثِيرُ،
ج١، ص٢٧٦).

ومن آداب الرعاية لحقوق الله تعالى أن يلزم المسلم وجداه بالحدن بأن يوقظه فيما يستقبل من عمره . فينبغي أن يصاحب سلوك العبادة الحذر . فالفرد قد ينام الليل الكثيرة ، فلا يستيقظ إلا بقرب وقت صلاة الفجر أو بعده ، حتى إذا عرضت له حاجة من حوايج الدنيا يهتم بأن ينالها ويحذر أن تفوته إن لم يدلج لها ، فإذا نام مهتماً بالقيام وقد الزم وجداه الحذر من أن يذهب به النوم فيفوته الباركور يتيقظ في الليل مراراً لغير الوقت الذي كان ينتبه له ، يحركه الاهتمام والحدن اللذان نام وهما في وجداه . فإذا كان الاهتمام والحدن لأمر الدنيا يوقظان لأمر الآخرة وهو يقظان عقله وينبهانه بعد ما نام فهما أولى أن يوقظاه لأمر الآخرة وهو يقظان لم ينم ولم يذهب عقله بنوم . (المحاسبي ، ط٤ ، د.ت) ، ص ٨٢-٨٣ .

والحذر من خاتمة الطريق ضروري في العملية التربوية في الإسلام فهو عثابة الحافر المحرّك نحو عملية التنشئة الدائمة والاستقامة والثبات على الجادة وعدم مخالفته منهج الله

وسنة رسول الله باطناً وظاهراً . فالمؤمنون على علم بأن الله يعلم ما في الصدور . كما

قال تعالى :

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ إِذْ مِنْ خُطْبَةِ النَّسَاءِ
أَوْ أَكَنَّتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُونَ هُنَّ
وَلَنِكُنْ لَا تُؤَاخِذُونَ هُنَّ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَسْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَحْذِرُوهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(سورة البقرة : آية ٢٣٥)

فأَللَّهُ سبحانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا يَخْتَلِفُ فِي وَجْدَانِ الْفَرَدِ مِنَ الْعَزْمِ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .
فَيَأْمُرُ بِالْخُوبِ مِنْهُ وَالْحَذْرِ مِنْ عَقْوَبَتِهِ بِأَنْ يَطْوِي الْخَيْرَ فِي الْوَجْدَانِ . وَهُوَ غَفُورٌ لِمَنْ
يَحْذِرُهُ ، وَهُوَ يَمْهُلُهُ حَلِيمًا بِتَأخِيرِ الْعَذَابِ لِمَنْ يَسْتَحْقُهُ لِعَلَهُ يَرْجِعُ وَيَطَهُرُ وَجْدَانُهُ مِنْ
الشَّرِّ . (نَاصِفٌ ، ٤١٣٥ هـ ، ج٥ ، ص ٧٢) .

وَالاسْلَامُ يَأْمُرُ الْفَرَدَ بِأَخْذِ الْحَذْرِ لَا سِيمَا أَنَّهُ يَعِينُ الْفَرَدَ عَلَى الْقِيَامِ بِدُورِهِ فِي
الْمَهَمَاتِ الْمُوَكَّلَةِ إِلَيْهِ ، فَيَنْجُو مِنْ شَرِ الْوَقْوعِ فِي الْأَذَى وَالْخَطَرِ ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ الصَّحَابَةَ أَخْذَ الْحَذْرَ فِي الْمَهَمَاتِ الْمُوَكَّلَةِ إِلَيْهِمْ . فَقَدْ رُوِيَ "عَنْ عُمَرَ بْنِ
الْفَغْرَاءِ الْخَزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَرَادَ
أَنْ يَعْنِي بِمَا إِلَى أَبِي سَفِيَّانَ يَقْسِمُهُ فِي قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْفَتْحِ فَقَالَ التَّمَسْ صَاحِبَاً
فَجَاءَنِي عُمَرُ بْنُ أَمِيَّةَ الْضَّمَرِيَّ فَقَالَ بِلْغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ الْخُرُوجَ وَتَلْتَمِسُ صَبَاحًاً قَلْتُ أَجْلَ قَالَ
فَإِنَّا لَكَ صَاحِبٌ قَالَ فَجَئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلْتُ وَقَدْ وَجَدْتُ صَاحِبًاً فَقَالَ
مَنْ ؟ قَلْتُ عُمَرُ بْنُ أَمِيَّةَ الْضَّمَرِيَّ قَالَ إِذَا هَبَطْتَ بِلَادَ قَوْمِهِ فَأَحْذِرْهُ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ

القائل أخوك البكري فلا تأمنه - وهذا مثل مشهور في العرب والمراد أخوك الشقيق يخاف منه فلا تأمن من الناس إلا القليل جداً الذي جربته مسراً وهذا بيت القصيدة - فخر جنا حتى إذا كنت بالإبواء قال اني أريد حاجة الى قومي بودان فتثبت لي قلت راشداً فلما ولت تذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم فشددت على بعيري أوضعه حتى خرجت حتى إذا كنت بالأصافر إذا هو يعارضني في رهط فأوضعه فسبقه فلما رأني قد فته انصرفوا وجاءني فقال قد كانت لي إلى قومي حاجة قلت أجل ومضينا حتى قدمنا مكة فدفعت المال إلى أبي سفيان " (ناصف، ٤١٣٥ھ، ج٥، ص٧٣-٧٤) . (أبو داود، ط١٣٩٩ھ، ج١٣، ص٢٠٧-٢١١) . وكما قال فيما روي " عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " (أبو داود، ج١٣، ص٢١١) .

٥ - الفرح :

يعتبر الفرح في الإسلام أحد الانفعالات الإيجابية ، ويشعر الفرد بانفعال الفرح والسرور إذا حصل على ما يحب من مال أو جاه أو نفوذ أو علم أو إيمان أو تقوى . والفرح هو : أن يجد الفرد في قلبه خفة . (ابن منظور، ١٣٧٤ھ، ج٢، ص٥٤١) . وعرف ابن قيم الجوزية (١٤١٢ھ) : الفرح : أنه يتولد منه من لذة تقع في القلب بادراك المحبوب ، ونيل المشتهى فيقول ادراكه حالة تسمى الفرح والسرور . (ط٤، ج٢، ص٨٩٠) .

وقد ذكر الإسلام الفرح في معانٍ عدة دالة عليه سواء كان انفعال الفرح سليماً مذموماً ودال على صفة الطغيان والتكبر في الأرض نتيجة النعم التي أنعم الله بها على

الفرد ، لكنه لم يقابل تلك النعم بالثناء والشكر . بل قابلها بالتكبر والطغيان في الأرض
بغير حق . كما دل على ذلك قوله تعالى :

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا فَلَنْ يَسْعُ
مَثَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

(سورة غافر : آية ٧٥-٧٦) .

وقوله تعالى :

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ وَإِنَّهُ مِنَ الْكُفَّارِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَكُنُوا بِالْعُصْبَةِ
أُولَئِكَ الْقَوْمَةِ إِذَا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَقْرَبْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

(سورة القصص : آية ٧٦)

والفرح المحمود وهو الانفعال الإيجابي وهو الدال على صفة التواضع لله بالشكر

على نعمه وفضله فدل على ذلك قوله تعالى :

يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاعَةٌ لِمَنِ اتَّبَعَ الصِّدْرُ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ يَفْضُلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فِي ذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ !

(سورة يونس : آية ٥٧-٥٨) .

فلا شيء أحقر أن يفرح العبد به من فضل الله ورحمته ، وما أتى النفس من الهدى
الذي يتضمن ثلج الصدور باليقين ، وطمأنينة القلب به وسكن الوجدان إليه وحياة
الروح به ، والرحمة هي التي تجلب للوجدان كل خير ولذة وتدفع عن الوجدان كل شر
مؤلم . فذلك كل ما يجمع الناس من أعراض الدنيا وزيتها . أي هذا هو الذي ينبغي أن
يفرح به . (الجوزية - تهذيب عبد المعم العزي ، ج ٢ ، ص ٨٩٠) .

والفرح نوعان فرح محمود وفرح مذموم ، فالفرح المحمد هو الانفعال الايجابي الذي يكون في الحق ويوضح مفهومه قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد فرحاً بتوبة عبده حينما يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاه فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح " (مسلم بشرح النووي، ١٤١٥هـ، ج ١٧، ص ٦٣-٦٤) .

والفرح أمر نسيبي يتوقف على أهداف الفرد في الحياة فمن كان هدفه في الحياة جمع المال والحصول على القوة والنفوذ وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا في تحقيق هذه الأهداف باعضاً على فرحة وسروره ، ومن كان هدفه في الحياة التمسك بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لكي يحصل على السعادة في الحياة الدنيا والآخرة كان ذلك مصدر أمنه وطمأنينته وسروره لأنه فرح بما أنزل الله إليه من آيات القرآن الكريم المنهج القويم الذي يهدي إلى الحق والذي فيه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة ، أما الكافرين فإن فرحهم يكون منصباً نحو متاع الحياة الدنيا فقط . (نجاتي، ١٤٠٨هـ، ص ٨٦-٨٧) .

كما قال تعالى :

الله يُبَسِّط الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحَا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا خَرَةٌ إِلَّا مَتَعٌ

(٢٠٦)

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى :

وَالَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكُمْ وَمِنَ الْأَخْزَابِ مَن يُشْكِرُ بَعْضَهُ فَقُلْ إِنَّمَا أَمْرُكُ
أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْتَىٰ

(سورة الرعد : آية ٣٦)

وَمِنْ كَانَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هُوَ مَصْدُرُ فَرَحَةِ وَسُرُورِهِ ، وَهُوَ شَأْنُ مُعْظَمِ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ
لَا يَنْعُمُ فِي الْوَاقِعِ بِالْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ الْمُطْمَئِنَةِ الْمُسْتَقْرَةِ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ
الصَّحَّةِ وَسُعْدَةِ الرِّزْقِ وَوَفْرَةِ الْمَالِ شَعَرَ بِالْفَرَحِ وَالسُّعَادَةِ ، وَشَغَلَهُ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَنِعْمَتُهَا عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ تَعَالَى وَشَكْرِهِ ، وَإِذَا مَا أَصَابَهُ ضَرُّ أَوْ بَلَاءً ، وَفَقَدَ بَعْضَ النِّعَمِ الَّتِي كَانَ يَتَمَمَّ بِهَا عَلَيْكَهُ
الْيَأسُ ، وَجَحَدَ النِّعَمِ الْأُخْرَى الَّتِي لَا يَزَالُ يَنْعُمُ بِهَا . وَهَكُذا يَعِيشُ مُثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ فِي
اضْطِرَابٍ مُسْتَمِرٍ ، فِي تَقْلِبِ دَائِمٍ بَيْنَ الشُّعُورِ بِالسُّعَادَةِ ، وَالشُّعُورِ بِالْيَأسِ . (نَجَاتِي ، ص ٨٧)

كَمَا قَالَ تَعَالَى :

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَنَارَ حَمَّةَ ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ
لَيَشْوُسُ كَفُورٌ ① وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نُعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ
مَسَّتُهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ الْسَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لِفَرْجٍ فَخُورٌ ②
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

(سورة هود : آية ٩-١١) .

أَمَا مَنْ كَانَ مَصْدُرُ فَرَحَةِ وَسُرُورِهِ هُوَ تَمْسِكُهُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَاتِّبَاعُ
مِنْهَاجِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ فَهُوَ يَشْعُرُ فِي الْوَاقِعِ بِالسُّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْمُسْتَقْرَةِ الدَّائِمَةِ وَيَصْدِقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ

تَعَالَى :

إِنَّمَا عَمِلَ صَدِيلًا حَامِنَ ذَكَرٍ
أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مَوْتٌ مَوْتٌ فَلَئِنْ حَيَّنَاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَئِنْ جَرِيَّنَاهُمْ
أَجْرَهُمْ بِالْحَسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(سورة النحل : آية ٩٧)

(٢٠٧)

كما يصف القرآن الكريم السرور الذي يشعر به المؤمن يوم الحساب حينما ينجيه الله سبحانه وتعالى من شر ذلك اليوم ويدخله برحمته في جنة النعيم . كما قال تعالى :

فَوَقْتُهُمُ اللَّهُ شَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقْتُهُمْ نَصْرَةً وَسَرُورًا

(سورة الإنسان : آية ١١)

والفرح الخالد جاء مقيداً بفضل الله ورحمته وهو أرحم الراحمين . وهي صفتة كقوله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ① الرَّحْمَنُ بِالْرَّحْمَمِ ②

(سورة الفاتحة : آية ٢ - ٣)

وكقوله تعالى :

قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فِي ذَلِكَ فَلَيَقْرَأُوهُ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمِعُونَ

(سورة يونس : آية ٥٨)

وقوله تعالى :

فَرِحِينَ
[بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبِشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَكُنُوا
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ]

(سورة آل عمران : آية ١٧٠)

وقوله تعالى :

يَسْتَبَشِّرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُؤْمِنِينَ

(سورة آل عمران : آية ١٧١)

فالفرح بالقرآن والإيمان بالله وبرسوله الذي أنزل منهجه ليتبعه المسلمون في حياتهم دليل على التعظيم ودليل محبة الله ورسوله الكريم التي تعتبر من أساليب تقوية الجانب الوجداني في الإسلام، والتي سبق للدراسة تناولها في الفصل الثاني .

والذي تحدى الإشارة إليه هو أنه ينبغي أن يجمع الفرد بين المصادرين للفرح فيكون فرحة وسروره ناتجاً عن تمسكه بالإيمان والتقوى والعمل الصالح وإتباع منهج الله ويكون متع الحياة الدنيا المصدر الثاني لفرحه وسعادته شريطة أن يتواافق سلوكه وتصرفة وفق الأصول القرآن والستة .

والفرح يرتبط بغريزة الضحك وحب التسلية والتزويع والانبساط والانشراح، فهذه الانفعالات المترابطة مع الغرائز إذا ما أشعبت تجعل الفرد يستجم ويخفف عن وجدها عناء الحياة ومتاعها ويستعيد نشاطه وحيويته من جديد ، سواء كانت الحيوية النفسية أو الجسمية أو الفكرية .

والإسلام أولى لهذا الانفعال إهتماماً كبيراً ، ويدعو إلى إشاعه وتنميته بالأسلوب المترن القوي ، فلا كبت يقود إلى الجمود والصرامة ولا إطلاق للعنان يؤدي إلى التهرج والعبث وضياع الهمية والاحترام بين الناس . (الزناتي ، ١٩٨٤ م ، ص ٥٨٠) .

ولأهمية الفرح والمرح للفرد خصوصاً في المراحل الأولى من العمر للأطفال ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمازح الأطفال ليفرجهم فكان ينتقي الألفاظ الجميلة

المحبة المرحة . كما روي " عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم ليختالطنا حتى يقول لأخ له صغير : يا أبا عمر ما فعل النغير " (البخاري، جـ٨، صـ٣٧) . وكما روي " عن أنس بن مالك أن رجلاً استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني حاملك على ولد ناقة ، فقال يارسول الله ما اصنع بولد ناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق " (التزمي، جـ١٣٨١هـ، جـ٤، صـ٣٥٧) . فقد كان عليه الصلاة والسلام يفرح الصحابة بدعوبته ولكن هذه المداعبة لا تكون إلا بالحق والصدق . كما قال فيما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " قالوا يارسول الله إنك تداعبنا قال : إني لا أقول إلا حقاً " (التزمي، جـ٤، صـ٣٥٧) . وقال عليه الصلاة والسلام في الحق في المرح والفرح كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءٌ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ فقد روي " عن عبد بن حميد قال : أتت عجوز . فقالت : يارسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة . فقال : يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز ، قال : فولت تبكي ، قال : اخبروهها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول :

إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءٌ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا

(سورة الواقعة : آية ٣٥-٣٦)

(ابن كثير، طـ٧٧، ١٤٠٢هـ، جـ٣، صـ٤٣٣) .

٦ - التواضع :

يعتبر التواضع في الإسلام أحد الانفعالات الإيجابية التي تعزى الوجودان، والتواضع هو فضيلة إسلامية يتحلى بها المسلم المؤمن ، وهي صفة الانبياء وأشد الأنبياء تواضعًا هو سيدنا موسى عليه السلام . فقد ورد في الحديث القدسي قال الله تعالى : "نظرت إلى قلوب الخلق أجمع فلم أجدهم قلباً أشد تواضعًا من موسى ، فلهذا اصطفيته وكلمته" (ناصف، ١٣٥٤هـ، ج٥، ص٦٢) .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تواضعًا حتى أدى به تواضعه إلى أنه يبدأ الصبيان بالسلام عليهم . كما روي " عن أنس رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويسع رؤوسهم " (الألباني، ج٤، ص٢٦٣) (السيوطى، ج٢، ص٤٣٣) .

وكما روي " عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على غلامان فسلم عليهم " (مسلم بشرح النووي، ١٤١١هـ، ج٤، ص١٤٨). وكما روي " عن يسار قال كتب أمشي مع ثابت البصري فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث ثابت أنه كان يمشي مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم" (مسلم بشرح النووي، ج٤، ص١٤٩) .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت (البخاري، (د.ت)، ج٨، ص٢٤) .

(٢١١)

ومن تواضعه انه كان إذا استقبله الرجل فصافحه كان صلى الله عليه وسلم لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه .

كما روي عن "أنس قال : ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ، وما رأيت رجلاً أخذنه بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع بيده " (ابو داود، ١٣٩٩هـ، ج ٣، ص ١٤٩) .

وتعریف التواضع في الإسلام : لم يوجد في القرآن الكريم لفظ أو أمر بالتواضع في صيغة "أفعل" أو "لتفعل" ولا يوجد فيه ذكر للفظ التواضع في آية صيغة أخرى . إنما أتى بالألفاظ أخرى إنما تعطى المعنى الدال على وجوب التحلی بصفة التواضع . كما قال تعالى :

أَتَلَّكُ الْدَّارِ الْآخِرَةَ بِنَعْلَهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِبَةُ لِلْمُسْقَيْنَ

(سورة القصص : آية ٨٣)

وقوله تعالى :

| وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ |

(سورة الشعرا : آية ٢١٥)

(٢١٢)

وقوله تعالى :

أَلَا تَعْلُو أَعْلَى وَأَتُوْنِي مُسْلِمِينَ

(سورة النمل : آية ٣١)

وقوله تعالى :

وَلَا تَصْرِخْ رَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْنَالٍ فَخُورٍ

(سورة لقمان : آية ١٨)

وقوله تعالى :

إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِمَا أَنْتَ نَعْلَمْ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُوا سَجَدًا وَسَبَحُوا بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

(سورة السجدة : آية ١٥)

بيد أن السنة النبوية المطهرة أتت بلفظ التواضع في الحث على التحلی به بلفظ صريح، والسنة النبوية هي التي أتت مفصلاً لما جاء في القرآن الكريم . (إبراهيم ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٢٣٣) .

وقد ورد لفظ التواضع في قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يغري أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد " (ناصف ، ١٣٥٤ هـ ، ج ٥ ، ص ٦٣) (مسلم بشرح النووي ، ج ١٧ ، ص ٢٠٠) .

وقد عرف علماء الاسلام التواضع بعده تعريفات تمثل السلوكيات التي يسلكها الفرد فنظهر صفة التواضع فيه . فقال ابن عطاء في تعريفه للتواضع : ان التواضع قبول الحق من كان . وقال عبد الله الرازي : ان التواضع ترك التمييز في الخدمة . وقال ابن عباس : من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه - سؤر ما يبقى في الاناء من الماء بعد الشرب . وقيل لأبي يزيد : متى يكون الرجل متواضعاً؟ فقال : إذا لم يرد لنفسه مقاماً ولا حالاً ، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه . ويقول حمدون القصار : التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة ، ولا في الدنيا ولا في الدين . وقال يحيى بن معاذ : التواضع حسن في كل انسان لكنه في الاغنياء أحسن ، والتكبر قبيح في كل انسان لكنه في الفقراء أسمع . (القشيري، ط٢، ص١٤٨-١٥٠) .

والتواضع في نظر الاسلام نوعان ، تواضع محمود ، وتواضع مذموم .

فالتواضع محمود : ترك التطاول على عباد الله والازدراء بهم .

والتواضع المذموم : هو تواضع المرء لذى الدنيا رغبة في دنياه . فالعقل ينبذ التواضع المذموم على الأحوال كلها ولا يفارق التواضع محمود أبداً . (جاد المولى، ج٤، ص٣٨٢) .

وقال بعض الحكماء : جدير بذى المروءة مجانية التكبر لما فيه من خصال ثلاثة مذمومة أحدهما : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ويرى لها على غيرها الفضل . وثانيتها : ازدواجه بالعالم لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى بالمستحقر لعباد الله طغياناً .

(٢١٤)

وثلاثهما : منازعة الله عز وجل في صفاته إذ الكبراء والعظمة من صفات الله جل وعلا . فمن نازعه في صفاته القاه الله في النار إلا أن يتفضل عليه بعفوه . (جاد المولى ، ج ٤ ، ص ٣٨٢) .

وقال بعض الحكماء : ثمرة التواضع الحبة كما أن ثمرة القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعفه ، وأفضل الناس من تواضع عن رفعه ، وزهد عن قدرة وانصف عن قوة ، وما استجلبت البغضة بمثل التكبر ولا اكتسبت الحبة بمثل التواضع . (جاد المولى ، ج ٤ ، ص ٣٨٢) .

والغاية التربوية من التواضع ، أن الفرد يتواضع يرتفع ليحقق المكانة التي جعلها الله له وخصه بها دون سائر المخلوقات وهي الخلافة ، كما قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ كَمَّا إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَنَّجِعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ

(سورة البقرة : آية ٣٠)

وليؤدي دوره الموكل إليه في الحياة . ولا يتكبر لشأ يخفي حيث إن سنة الله جارية في رفع المتواضعين له ، ووضع المتكبرين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد الله إلا رفعه الله " (الألباني ، ج ٥ ، ص ١٩٠) (مسلم بشرح النووي ، ج ٦ ، ص ١٤١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنبار ،

يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال" (الألباني، جـ٦، ص٣٢٧) (ابن حنبل، جـ٢، ص٥٩٦).

فالمسلم عندما يعرف هذه الحقائق في قوله صلى الله عليه وسلم في النهي عن التكبر وذم من اتصف به والعاقبة التي يجدها ، والشأن على التواضع والمكانة التي يجدها في الدنيا والآخرة فإنه تنمو فيه هذه الصفة وتزداد الدافعية لخصوها في الوجودان .

ولأهمية التواضع للقيام بالدور الموكّل للفرد فقد خاطب الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بالتحلي به نظراً لأهميته في المكانة القيادية والسياسة التي تختتم أن يتبعه البشر وهو القدوة لهم . فقال تعالى :

وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(سورة الشعرا : آية ٢١٥)

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة أن تكون صفة التواضع متمثلة في وجدان الأمة حتى تكون خير أمة أخرجت للناس ، وخير مثل للعلاقات الإنسانية متمثلة في التساوي، فالتواضع يجلب الألفة والمحبة والود، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد " (الألباني ، جـ٢، ص١٠٠) (ابن ماجة، ط٣، ١٤٠٨هـ، جـ٢، ص٤٠٦).

و كانت سلوكيات الرسول صلى الله عليه وسلم تجسد وتترجم فضيلة التواضع ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو الأسوة للأمة وهو مثله مثل الأنبياء يرعى الغنم. وهو الدليل على التواضع وعدم التكبر على المهنة المتواضعة ، فقد روي " عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقواريط " (الألباني، جـ٥، ص١٣٤) (البيهقي، جـ٦، ص١١٨) .

وقد كان الرسول الكريم يتعامل مع الرعية ويؤدي حقوق العلاقات الإنسانية فلا يفرق بين سيد وعبد ، وفي داخل بيته يقوم بدور الرجل في أهله فيعرف البعير ويقيم البيت ويرقع الثوب ، ويأكل ويطحن مع الخادم . كما روي " عن سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف البعير ويقيم البيت وينصف النعل، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معه إذا اعيا، وكان لا يمنعه الحباء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصافح الغني والفقير، ويسلم مبدئاً ولا يحتقر مادعي إليه إلى حشف من قبر" (القشيري، جـ١٠، هـ١٤١٤) (الترمذى، جـ١، ص٤٣١) . وكما روي " عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ، ويشيع الجنازة، ويحيب دعوة الملوك ويركب الحمار، وكان يوم قريظة والنضير على حمار، ويوم خير على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته إكاف من ليف " (الترمذى، جـ١٣٨١، هـ١٤١١) (البيهقي، جـ٣، ص٣٧) .

وكما روي " عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يركب الحمار وينصف النعل، ويرقع القميص ، ويلبس الصوف، ويقول: من رغب عن سنتي فليس مني " (الألباني، جـ٤، ص٦٣) (البيهقي، جـ٢، ص٤٠) . وكما روي " عن أنس رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يردد خلفه ، ويصنع طعامه على الأرض ويحيب دعوة الملوك ، ويركب الحمار" (الألباني، جـ٤، ص٢٦٣) (البيهقي ، جـ٢، ص٤٢٠) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ، ويمسح رؤوسهم " (الألباني ، ج ٤ ، ص ٢٦٣) (البهقي ، ج ٢ ، ص ٤٢٠) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الدعوات من الداعين لها ويجيبها مهما كان حجمها ، فقد روي " عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أهدى إلى كراع لقبلت ، ولو دعيت عليه لأجبت " (الألباني ، ج ٥ ، ص ٦١) (ابن حنبل ، ج ٣ ، ص ٥٢٣) .

وقد سار صاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التواضع فقد كانوا يقومون بأعمال مثل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلزمون أنفسهم بها . فقد كان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يحلب الشاة لجيرانه ، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يحمل قربة الماء ، وكان سيدنا عثمان رضي الله عنه وهو يومئذ خليفة يقيل في المسجد ويقوم وأثر الحصباء في جنبه ، وكان سيدنا علي رضي الله عنه كرم الله وجهه يحمل التمر في ملحفة ويرفض أن يحمله عنه غيره ، وكان يدهن البعير بالقطران . فقد ساروا على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يستكثر منهم أحد أو يستكشف عن القيام بتلك الأعمال الياسيرة النافعة مهما عظمت مكانة الواحد منهم (الجزائري، ١٣٩٦هـ، ط ٨، ص ٢٣٨) .

فهذا هو الحسن بن علي يضرب المثل في التواضع ليربي الصبيان على التواضع بتلية دعوتهم له على كسرة خبز . فقد مر الحسن بن علي رضي الله عندهما بصيانت معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ، ثم حلهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم ، وقال : اليد لهم - أي الفضل لهم - لأنهم لم يجدوا غير ما اطعمني ونحن نجد أكثر منه . (القشيري، ١٤١٠هـ، ط ٢، ص ١٥٠) .

فلا بد للمربي أن يكون متواضعاً لمن يربيه ، لأن تعاليه عليه يزيد في الهوة بينه وبين من يربيه ، وإذا زادت الهوة انعدم التأثير . (قلعة جي، ٤٠٨ هـ، ص ٢٦٦) .

والطريقة التربوية التي جعلها الاسلام لتنمية انفعال التواضع في وجدان الفرد هي :

(أ) أن يعرف الفرد حقيقة نفسه ، ويعرف ربه سبحانه وتعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر واكتساب التواضع ، حيث أنه إذا عرف نفسه حق المعرفة فلا يليق به إلا التواضع . وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أول خلق الإنسان ونهايته ووسطه ليعرف الإنسان حقيقة نفسه فيزول الكبر منه ويكتسب وجدانه التواضع . كما قال تعالى :

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ وَفَدَرَهُ

(سورة عبس : آية ١٨ - ١٩)

وقوله تعالى :

هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجَ بَتَّلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

(سورة الإنسان : آية ١ - ٢)

كما أن الفرد إذا عرف ربه فإنه يرى أن الكبراء والعظمة ليست له وهي لا تليق إلا الله وحده .

(ب) ان يواكب الفرد على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه وتتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً ، فيتيسر عليه ، فهذا الخلق أو الطبع المحمود شرعاً يحصل بهذا الطريق . وغايته ان يصير الفعل الصادر منه لذيداً . والمتواضع هو الذي يستند التواضع . (الدمشقي، ١٣١١ هـ / ج ٢، ص ٢٠٧).

ومتى يدرب الفرد نفسه على التواضع عليه أن يجالس الفقراء والمساكين وأن يقبل دعوتهم ، وأن يزور من هو دونه في الفضل أو مثله . وأن يسعى في حاجة غيره، كذلك عليه أن يوخر ذوي العلم والفضل وأن يفسح لهم في المجالس والطرقات . (خياط، ٤٠٨ هـ، ص ١٤٦) . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى " عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطبهم فقال : إن الله عز وجل أوحى إليّ : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد " (ابن ماجة، ط ٣، ٤١٤ هـ، ج ٢، ص ٤٠٦) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يخشره في زمرة المساكين ليبين فضل المتواضعين وأهمية التواضع في الدنيا والآخرة كما روي " عن أبي سعيد الخدري قال : أحبوا المساكين ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم أحيي مسكيناً ، وأمنني مسكيناً ، وأحسنني في زمرة المساكين " (ابن ماجة، ج ٢، ص ٣٩٦) . بل كان رسول الله يتأنم لاضطهاد المساكين .

كما روي "عن سعد قال : نزلت هذه الآية فيما سنتها : في ، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال . قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إننا لا نرضى أن تكون أتباعاً لهم . فاطردهم عنك ، قال، فدخل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله أن يدخل " فأنزل الله عز وجل :

أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حَسَابٍ هُمْ مَنْ شَاءُ وَمَا مِنْ حَسَابٍ
عَلَيْهِمْ مَنْ شَاءُ فَتَطَرَّدُهُمْ فَتَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ

(سورة الأنعام : آية ٥٢)

(ابن ماجة، ج ٢، ص ٣٩٨) .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضعه مع الفقراء يقضي حاجتهم ، فالآمة تأخذ بيده وهو رسول الله فيذهب معها لقضاء حاجتها . كما روي " عن أنس بن مالك قال : ان كانت الآمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها" (ابن ماجة، جـ٢، صـ٤٠٦) . كيف لايسلك ذلك وهو رسول الله الامر بالتواضع وهو المثل الحي بين ظهراني الصحابة والمالك للمحبة في وجدان كل مسلم مؤمن بالله وحبه فقال عليه السلام فيما روي " عن أبي أمامة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالتواضع فإن التواضع في القلب لا يؤذى مسلم مسلماً فلرب متلقي في أطمار لو أقسم على الله لابرءه " (الهيثمي، ١٤٠٦هـ، جـ٨، صـ٨٦) . الطمر : هو الشوب الخلق البالي .

فالتواضع انفعال وجداني إيجابي يظهر في سلوك وتصرفات الفرد بعوائق تدل عليه، وهو فضيلة هامة تعد من مكونات الشخصية السوية التي يسعى الاسلام إلى ايجادها وتنشئها في أفراد المجتمع .

الفصل الرابع

العواطف مجال من مجالات التربية الوجودانية في الإسلام

١ - مفهوم العواطف في الإسلام :

٢ - الأسس التربوية في بناء العواطف في الإسلام .

أ - القبلة والرقة والرحمة بالأطفال والمحارم .

ب- المداعبة والممازحة مع الأطفال والمحارم .

ج- الهدايا والعطایا .

د - مسح رأس الطفل .

ه - حسن الاستقبال .

و - السؤال وتفقد الأحوال .

ز - الرعاية الخاصة للطفل اليتيم الضعيف .

٣ - إتجاهات العواطف في الإسلام :

أ - العاطفة تجاه الوالدين .

ب- العاطفة تجاه الأبناء .

ج- العاطفة تجاه الإخوة .

د - العاطفة تجاه القرابة .

ه - العاطفة تجاه المثل الأعلى .

و - العاطفة تجاه المجتمع .

ز - العاطفة انسانية مطلقة .

٤ - أنواع العواطف في نظر الإسلام :

أ - العواطف الإيجابية والطرق التربوية لتنميتها في الإسلام :

١ - الإجلال .

٢ - الحباء .

٣ - الحب .

٤ - الرحمة .

٥ - الإيثار .

ب - العواطف السلبية والطرق التربوية لعلاجها في الإسلام :

١ - البغض .

٢ - القسوة .

٣ - الاستعلاء .

٤ - الاحتقار .

٥ - الغيرة .

٦ - حب الذات (الأنانية) .

العواطف مجال من مجالات التربية الوجدانية في الإسلام :

١ - مفهوم العواطف في الإسلام :

تعتبر العواطف من ضمن أهم مجالات التربية الوجدانية في الإسلام ، فهي إتجاه وجداني نحو موضوع معين مكتسب بالخبرة والتعلم ، وهي مجتمع نفسي تختشى فيه الانفعالات المختلفة ، والميول تكون قاعدة العاطفة لأنها تنمو تحت تأثير التفكير والتأمل والتجارب الانفعالية المختلفة . و تستند العواطف بالنسبة لجميع الحالات الوجدانية على أساس من الحب والكرابية . وهي العاطف الرئيسية ، وكل ما ينشأ من عواطف أخرى فإنما يقوم عليها .

والعواطف تلعب دوراً هاماً في حياة الإنسان ، فهي مصدر لمعظم الدوافع ، لأنها تعطى الحياة الإنسانية وخاصة الوجدانية منها نظاماً وإتساقاً نحو أهدافها بالذات .

(العثمان، ط ٢، ١٤٠١ هـ، ص ٢٦٦-٢٦٤) .

ومع أن الغزالي وفلاسفة الإسلام عامة أشاروا إلى الحياة الوجدانية إلا أنهم لم يطلقوا عليها إسم العاطفة ويغلب عليهم تسميتها بالعشق والهوى والميل ، وذلك حسب موضوع الوجدان والتجاهاته . إلا أن أبي حامد الغزالي يمتاز على فلاسفة الإسلام في هذا المجال في تفضيله للحياة العاطفية وهو يشرح مجموعة من العواطف التي تنشأ في ظل البواعث والميول الراقية والدنيا ، مثل حب الله والرسول صلى الله عليه وسلم والأخوة في الله والرفق والرضا والأنس .

وسوف ترکز الدراسة في هذا الفصل على مفهوم العاطفة لدى علماء التربية وعلم النفس المسلمين باعتبار العاطفة أحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام .

فبالنسبة للتعريفات التي وردت عن العواطف نجد أن عبد الله عبدالحفي موسى ، أشار بأن العاطفة هي تنظيم مركب من عدة افعالات ركزت حول موضوع معين بنوع من الخبرات السارة أو المؤلمة . (موسى ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٧٣)

مختار حمزه (١٩٧٩ م) : يعرف العاطفة أنها تنظيم مركب من عدة افعالات حول موضوع معين وصوحيت بنوع معين من الخبرات السارة أو غير السارة . (حمزه ، ص ٨٩) .

ومصطفى فهمي (د.ت) : يعرف العاطفة أنها اتجاه نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين . (ص ٤٢) .

ويعتبر عبد العزيز القوصي أن العاطفة استعداد مكتسب ناتج عن تنظيم النواحي الانفعالية والنزوعية نحو موضوع معين . (القوصي ، ١٩٥٤ م ، ص ٧٠-٧١) .

وهكذا كان للخلق الطيب الكريم الذي تخلّى به الرسول صلى الله عليه وسلم والمتمثل في الرحمة دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية . (محمد ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٤) .

كما قال تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ

(سورة الأنبياء : آية ١٠٧)

وكما قال تعالى :

فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ
اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَاعْلِيْظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ
فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

(سورة آل عمران : آية ١٥٩)

وَكَوْلَهُ تَعَالَى :

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّ أَعْنَاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةُ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
تَرَبَّهُمْ رَكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَا هُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرِيلِ وَمَثَلُهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَعَارَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى
عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغْنِيَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ حَتَّىٰ مِنْهُمْ مَعْفَرَةٌ وَأَجْرٌ أَعْظَى مِمَّا

(سورة الفتح : آية ٢٩)

في تكوين العواطف وتنظيمها تتحدد أهداف الشخص في الحياة ويتحدد تبعاً لذلك نشاطه الانفعالي والوجداني ، فيكون ذلك أدعى إلى استقرار حياته المزاجية . (موسى ،

١٤٠٥ هـ، ص ٢٧٥)

٢ - الأسس التربوية في بناء العواطف في الإسلام :

للبناء العاطفي أهمية خاصة في بناء نفس الفرد وتقويه في نظر الاسلام . وهذا البناء يمثل فيه الولدان في الأسرة خاصة الدور الأكبر إذ هما المصدر الأساسي لأشعة العاطفة التي تبني نفسه ، وهما الركن الرشيد الذي يأوي إليه الطفل لينعم بحرارة العاطفة ، ونعمه الأبوة والأمومة ، ثم يأتي بعد ذلك دور الأخوة وبقية الأقارب .

وقد اتخد الاسلام أساساً تربوية في بناء العواطف تتمثل في الرحمة بالصغير وتقبيله، ومداعبته ومتازحه ، وكذلك من هم يحتاجون الى المداعبة والممازحة من المخارم لتحرير المشاعر ، وبذل العطایا والهدایا جلب المحبة ، وحسن الاستقبال لما فيه من أثر في نفس

القادم أو المقبل للجتماع مع الآخرين . كما يعتبر السؤال وفقد الأحوال والرعاية للتييم والضعف من الأسس التي تعمق الروابط بين الأفراد ، والأقارب ، والروابط الاجتماعية عامة .

وفي هذا الجانب سوف تتناول الباحثة الأسس التربوية في بناء العواطف بغية إظهار القاعدة الحكيمية للمنهج الإسلامي ودوره في هذا المجال .

أ- القبلة والرأفة والرحمة بالأطفال والمحارم :

إن للقبلة دوراً كبيراً وفعلاً في تحريك المشاعر للطفل وعاطفته . كما أن لها دوراً كبيراً في تسكين ثوراته وغضبه ، بالإضافة إلى دورها (الشعور بالإرتباط) الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير ، وهي دليل رحمة الوجدان لهذا الطفل الناشيء ، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير ، وهي النور الساطع الذي يهبر فؤاد الطفل ويشرح نفسه ، ويزيد من تفاعله مع من حوله ، ثم هي أولاً وأخيراً السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال . (سويد وآخرون ، ط٤ ، ١٤١٢ هـ ، ١٧٩ ص) . كما روي " عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ فقال : نعم ، قالوا : لكن والله ما نقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو أملك أن كان الله تزع من قلوبكم الرحمة . (أحمد بن حنبل ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ ، ج٢ ، ص٧٠) .

ومن " أبي هريرة قال : أبصر الأقرع بين حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن قال ابن أبي عمر الحسن والحسين : فقال إن لي من الولد عشرة ما قبلت أحداً منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه من لايرحم لايرحمه " (الترمذى ، ١٣٨١ هـ ، ج٤ ، ص٣١٨) .

وعن " عائشة رضي الله عنها قالت : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تقبلون الصبيان فما نقبلهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة ". (البخاري ، " د - ت " ، ج ٨ ، ص ٩) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان والعيايل . كما روي عن " أنس رضي الله عنه قال : عن رسول الله كان أرحم الناس بالصبيان والعيايل " (الألباني ، ط ٣ ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ هـ ، ٤١٤٠ هـ) . ولم تقتصر رحمته صلى الله عليه وسلم بالعيايل فقط بل تشمل الضعفاء والحتاجين إليه . كما روي عن أنس رضي الله عنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم موضحاً رحمته على أمته . " كان رحيمًا وكان لا يأتيه أحد إلا وعده ، وانجز له إن كان عنده " (الألباني ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) .

ومن صور رحمته بالأطفال تجوزه في الصلاة لعرفته بانشغال وجдан أمه به فالأم رؤوم فطرها الله على العاطفة . فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأساع بكاء الصبي فأنجذب في صلاته مما أعلم من شدة وجد أمه بيكتاه " (الألباني ، ج ٢ ، ص ٣٢٤) (البيهقي ، ج ٢ ، ص ٣٩٣) .

فعاطفة الأم لا تفوقها عاطفة سوى عاطفة الله سبحانه وتعالى . فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلاً فإذا امرأة من السبي تتبعي إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته بيطنها ، وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ترون هذه المرأة أطارحة ولدتها في النار ؟ قلنا : لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أرحم بعباده من هذه بولدها " (مسلم ، ج ١٣٨٩ هـ ، ص ٥١٢) .

كذلك رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتي في المرتبة الثانية بعد الله سبحانه وتعالى ، فقد كان الرسول الكريم يحمل الطفل في الصلاة رحمة ورأفة به ، بل كان يتجوز في الصلاة رحمة ورأفة به . كما روي " عن أبو قتادة قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامه بنت أبي العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضع وإذا رفع رفعها " (البخاري ، ج ١٣٤٨ هـ / ج ١٠ ، ص ٣٥٣) .

فرحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أوسع رحمة حتى أنها تتجلّى في الصلاة وسائر العبادات ، فالله عنده تسع وتسعون جزءاً من الرحمة وواحدة عند الخلق يتراحمون بها فيما بينهم . فمن " أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعًا وتسعين جزءاً ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدتها خشية أن تصيبه " (البخاري ، ج ٨ ، ص ٩) .

ومن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم ورأفته بالأطفال الدعاء لهم كما روي " عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ، ثم يضمهما ثم يقول اللهم أرحهما فإني أرحمهما " (البخاري ، ج ١٠ ، ص ٣٥٦) .

ومن رحمة الأمهات بأطفالهن وهي صميم الصور التي تدل على الجانب العاطفي في الوجود البشري ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن " عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت امرأة معها ابنتان لها فسألت فلم تجد عندي شيئاً غير ثمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلي بشيء من هذه البنات كن له ستراً من النار " (الترمذى ، ج ٤ ، م ١٩٦٢ هـ / ج ١٣٨١ م ، ص ٣١٩) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بينما امرأتان معهما إبناهما ، جاء الذئب ، فذهب بابن أحدهما ، فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهب بابنك أنت ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتهما ، فقال : ائتوني بالسجين أشقه بينكما ، فقالت الصغرى : لا ، يرحمك الله ، هو ابنها ، فقضى به للصغرى " (مسلم ، بن حجاج - الألباني ، ١٣٨٩هـ ، ص ٢٨١) .

ب - المداعبة والممازحة مع الأطفال والمحارم :

إن من الأمور التي تروح عن الوجدان أن يكون هناك شيء من الفكاهة والممازحة والمداعبة المستملحة ، التي تتعلق وتنتفق ومقاييس الأخلاق والذوق السليم . (عبدالعزيز ، ط ٩ ، ١٩٧٥ ، ج ٢ ، ص ٣٥٩) .

ويتوقف تقدير المداعبة والممازحة والفكاهة على عاملين . أحدهما كيفية إلقاء النكتة أو الفكاهة . والثاني مدى ما تتحمله من جمال يتمكن السامعون من تقديره . فأسلوب الإسلام في تربيته لم يغفل فيه الفكاهة في الترويح عن الإنسان ، وفي بهجهه وسروره . وهناك من الأحاديث الشريفة ما يبين كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم المربى الأول قدوة للمسلم في الترويح والاستمتاع ، اللذين يزيلان الكلل والملل عن وجданه الإنسان . (بكر - عبد الغني وآخرون ، ١٩٨٣م ، ص ٢٥٢) .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازح الصغير والكبير من أمته . " فعن أنس رضي الله عنه قال إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليختالنا حتى يقول لأخ لي صغير يا عمير ما فعل الغير " (ناصف ، ١٣٥٤هـ ، ج ٥ ، ص ٥٨) (البخاري ، (د.ت.) ، ص ٤٢) . الغير : تصغير نغر كصرد وهو البلبل أو فrex الطائر كان يلعب به أخو أنس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ملاطفة ومداعبة وتكنيه للصغير .

المزاح والممازحة التي سمح بها الإسلام هي لطيف المزاح فقلما يعرى من المزاح من كان سهلاً . والعاقل يتونحى بمزاحه إحدى حالي . أحدهما : إيناس المصاحبين ، والتودد إلى المخالفين ، وهذا يكون بما أنس من جحيل القول ، وبسط من مستحسن الفعل . وقد قال سعيد بن العاص لابنه : أقصد في مزاحك ، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ، ويجريء عليك السفهاء ، وإن التقصير فيه يفضي عنك المؤانسين ، ويوحش منك المصاحبين .

والحالة الثانية : أن ينفي بالمزاح ما طرأ عليك من سأم وأحدث به من هم ، فقد قيل لا بد للمصدور أن ينفي . وأنشدت لأبي الفتح البستي :

أقد طبعك المكدود بساجد راحة
تجم وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن عقدار ما يعطي الطعام من الملح

(الماوردي ، ١٣٧٥هـ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠).

فالإسلام أعطى للمزاح ضوابط بأن تكون صدقاً فلا يحق أن يكون المزاح وادخال السرور على الآخرين مبرراً للكذب . فلا بد أن تكون الحقيقة مصاحبة للمزاح لكي يستمر تقدير الآخرين للشخص المازح .

فالداعية والممازحة طريقة تربوية بها يمكن الدخول إلى النفوس بأقصر سبيل وتلمس دوافعها لمساً خفيفاً لتزييدها طاقة ونشاطاً . ولكن ليست كل ممازحة إشارة لتكامل الصحة النفسية ، وإذا تبعنا الدعاية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده من كبار علمائنا المربيين . نجد أن للداعية خصائص بارزة ينبغي اتباعها .

(الهاشمي ، ١٤٠١هـ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥).

فأهم خصائص الممازحة والدعابة في الإسلام :-

(١) أن تكون غير متزادفة ، فإن كثرتها تجعلها تهريجاً عابشاً، ذلك أن فائدتها بعد حد العمل الرصين وليس هي كل العمل . فالدعابة أشبه ما تكون بالملح في الطعام، إذ لذة الطعام تظهر بقليل من الملح ، وليس في كثرته . فالدعابة هامة ومفيدة ولكن بقدر وفي حينها .

(٢) أن تكون الدعابة طبيعية بنت وقتها ، وبذلك تكون أقرب إلى النفس . لأن الدعابة المتکلفة المصطنعة ثقيلة الظل محجوجة تعافها الطياع السليمة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازح تلقائياً كما روي " عن أنس بن مالك أن رجلاً استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني حاملك على ولد ناقة، فقال : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهل تلد الإبل إلا النوق ؟ " (الترمذى، ج٤، ص ٣٥٧) .

" وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : يَا ذَا الْأَذْنِينَ . قَالَ مُحَمَّدٌ : قَالَ أَبُو أَسَمَّهُ : يَعْنِي مَازِحَهُ " (الترمذى، ج٤، ص ٣٥٨) .

(٣) أن يكون الباعث للدعابة والممازحة صفاء النية وروح الدعابة فلا يجوز بحال أن تكون ستاراً لإش باع عل تعانيه نفوس مريضة أو أدلة لتشهير أو انتقام عن طريق السخرية والإيقاع ، كما لا ينبغي أن يستتر الممازح لنوع اخذ المتع أو شيئاً آخر ليس له . فهذا من الممازح المنهي عنه ولا يجوز . كما روي " عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يأخذ أحدكم عصا صاحبه فليرد لها إليه " (البخاري، (د.ت)، ص ٣٨) .

٤) أن تكون الدعابة والممازحة موجهة لمن له علاقة خاصة . فيحسن تقبلها ، أو فهمها أو إدراك غايتها ولا غضاضة أن يوضح الممازح ما يقصده من مزاحه ولكن ينبغي أن يكون صحيحاً وحقاً . فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم مازح إمرأة عجوزاً فقال لا يدخل الجنة عجوز فحزنت تلك المرأة كثيراً وعادت للاستفهام منه صلى الله عليه وسلم فقال : أما سمعت قول الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عَرِبًا اثْرَابًا لِأَصْحَابِ اليمِين﴾ والمرأة العجوز ذات قرابة للرسول . " وقال عبد بن حميد قال : أنت عجوز فقلت : يا رسول الله أدع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال : " يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز " قال : قولت تبكي ، قال أخبروها إنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: " إنا نأنشأهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً " (ابن كثير ، ط٧ ، ١٤٠٢ هـ ، ج٣ ، ص٤٣٣) .

فهذه الصحابية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم صفية بنت عبد المطلب وهي مسنة علمت أن قصده صلى الله عليه وسلم الملاطفة بعد أن قال لها ماورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ فالعجزة تعود في الجنة شابة كما كانت في الحياة الدنيا ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يبين أن المداعبة والممازحة مع المخالف من النساء تدخل عليهن السرور وتروح من وجدهن معاناة متطلبات الحياة اليومية . كما أنها مطلوبة ساعة يكون الفرد في لحظة غضب . كما روي " عن سهل بن سعد قال : إن كانت أحب أسماء علي رضي الله عنه إليه لأبو تراب وإن كان ليفرح أن يدعى بها وما سماه أبو تراب إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، غاضب يوماً فاطمة فخرج فاضطجع إلى الجدار إلى المسجد

فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وأمتلأ ظهره تراباً فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عن ظهره ويقول يا أبا تراب" (البخاري، ج.٨، ص ٥٦) .

ومداعبته صلى الله عليه وسلم للأطفال كما تكون بالكلام بتصغير الاسم تكون بحمل الطفل ومضاحكته . " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت اذناي هاتان وبصر عيناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذ بيديه جيئاً بكفي الحسن أو الحسين وقدميه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " أرقه " قال فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - افتح فاك ثم قبله ثم قال : اللهم أحبه فاني أحبه " (البخاري، د.ت)، ص ٣٩) . فعن طريق الملاعبة والمداعبة والمرح ومحاكاة الطفل كان أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأطفال . فهذا الأسلوب التربوي الجيد للوجدان يغذى العاطفة الصادقة الطيبة ، بعيداً عن الجفاء والقسوة، أما الجفاء والقسوة وعدم اعطاء الطفل حقه في التربية الوجданية فصفات لا يحبها الاسلام ويدعو المسلمين الى الابتعاد عنها .

٥) أن تكون الدعاية والمزاح ملتزمة بالأداب وحدود الخلق النفسي والاجتماعي فهي بذلك لاتسف ولا تحدر ولا تنحرف . فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يداعب الصحابة ولكن لا يقول إلا حقاً . كما روي " عن أبي هريرة قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا : قال : إني لا أقول إلا حقاً " (التزمي، ج.٤، ص ٣٥٧) . وهكذا ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام حيث كانوا يتمازحون ولكن وقت الحمد والحقائق كانوا أرجل الرجال . كما روي " عن

بكر بن عبد الله قال كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتباذلون بالبطيخ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال" (البخاري، ص ٤١) . فههذه قمة العظمة التربوية الوجданية في الرسول صلى الله عليه وسلم المربى الانسان وفي صاحبته الكرام . حيث التمسك بالحق فلا حياد عنه ، ولا انشغال عن أداء الحقوق . وتطبيق تربوي للمعاشرة الوجدانية والمشاركة الانفعالية ، وفي تقبل الدعاية وفي تقديمها وفي تحمل ثمنها بنفس راضية مرضية .

ج - الهدايا والعطایا :

للهدايا والعطایا أثر طيب في وجdan الفرد، خصوصاً الأطفال ، فهي أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً في نفوسهم ، وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قانوناً عاماً وسن قاعدة للحب بين الناس في بناء التربية الوجدانية . وذلك تماشياً لما أحقه الله على نفسه بمحبة المتبادلين فيه تعالى . كما ذكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي . " عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : حقت محبتي للمتحابين فيَّ ، وحققت محبتي للمتواصلين فيَّ ، وحققت محبتي للمتاصحين فيَّ ، وحققت محبتي للمتوازرين فيَّ ، وحققت محبتي للمتبادلين فيَّ . المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بهـ كـ انـ هـمـ النـ بـ يـوـنـ وـ الصـ دـ يـقـوـنـ وـ الشـ هـ دـاءـ " (الألباني، ط ٣، ١٤٠٢ـ هـ ١٩٨٢ـ مـ، جـ ٤ـ، صـ ١١٧ـ) (ابن حبـ نـ، جـ ٨ـ، صـ ٢٣٢ـ) ، " وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتبادلين فيَّ، والمتوازرين فيَّ" (الألباني، جـ ٤ـ، صـ ١٢٠ـ) (الهـ يـ شـ مـيـ، جـ ١٠ـ، صـ ٢٣٣ـ) .

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بأن يكون بينهم الهدايا والعطایا، لأن ذلك يقوی العلاقات بين الأفراد فيؤدي الى تماسکهم واسعاة الحب بينهم والحب من العواطف الايجابية في السلوك . فقد روى " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادوا تhabوا " . (البخاري، ص ٨٧) .

وكم روى " عن ثابت قال : كان أنس يقول يابني تبادلوا بينكم فإنه أولاً ينكم " (البخاري، ص ٨٧) .

وللهدايا أثر طيب في وجدان المهدى إليه خاصة إذا كان صغيراً أو كانت العلاقة ذات صلة أعمق كاجار القريب فله حق أكثر من غيره . " فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بأول الشمرة قال : اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدننا وفي صاعنا ، بركة مع بركة ، ثم يناوله أصفر من بحضرته من الولدان " (ابن ماجة، ط ٣، ١٤٠٨هـ، ج ٢، ص ٢٣٤) .

وفي الهدية للجار روى " عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال إلى أقربهما منك باباً" (البخاري، ج ٨، ص ١٣) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا أساساً آخر من الأسس التربوية في تعميق العاطفة بين الأفراد وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها .

ومثلكم للهدية والعطيه من أثر ايجابي على الوجدان باشاعة المحبة والترابط بين الأفراد . كذلك لرد الهدية أثر سلبي باقامة البغض بين الناس . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رد الهدية وعدم قبولها . كما روى ذلك " عن أبي هريرة قال: أهدى رجل من بني فزارة للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة نعوضه فتسخطه

فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول يهدي أحدهم فاعوضه بقدر ما عندي ثم يسخطه وایم الله لا أقبل بعد عامي هذا من العرب هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي" (البخاري، ص ٨٨)

وكما أن لرد الهدية وعدم قبولها قطعاً للعلاقات بين الأفراد . فإن ردها وعدم قبولها قد يكون سبباً للتجمّع والمقاطعة التي تذهب الصلة بين الأفراد لاسيما وإن التبادل بالهدايا بين الأفراد قد يكون سبباً في دخول غير المسلمين إلى دائرة الإسلام ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدايا من الكفار ويهديهم كما روي " عن علي رضي الله عنه قال : أهدى كسرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل منه وأهدى له قيسار فقبل ، وأهدى له الملوك فقبل منها " (الشوكتاني، ٤١٤هـ، ص ٢) و " عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجبوا الداعي ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين " (ابن حنبل، ط ٢، ٦٩) .

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم جواز قبول هدية الكفار وان يهدي ، فهذه العلاقة والعاطفة البناءة قد تكون سبباً جميلاً في دخول الإسلام ، فالدين التعامل والدين الإسلامي دين محبة وعطف لاسيما بين القرابة وإن كان اختلاف في الدين . ودليل قبول هدية المشركين والوثنيين تصريح الرسول لأساء قبول هدية أمها . "عن أمياء بنت أبي بكر قالت : أتتني أمي راغبة في عهد قريش وهي مشركة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها ؟ قال : نعم . متفق عليه ، زاد البخاري قال ابن عينه فأنزل الله فيها : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يَقْاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ومعنى راغبة أي طامعة تسألي شيئاً " (الشوكتاني، ج ٦، ص ٣) . " وعن عامر بن عبد الله بن الزبير

قال: قدِّمت قتيله ابنة عبد العزى بن سعد على ابنتها أسماء بهدايا ضباب واقط وسمن وهي مشركة ، فأبَتْ أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ﷺ لainهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين... ﴿ إلى آخر الآية ، فأمرها أن تقبل هديتها وان تدخلها بيتها . رواه أحمد " (الشوكتاني، جـ ٦، ص ٣) فقبول الهدية من المشرك يجوز لأنَّه قد يدفع إلى الدخول في الإسلام لاسيما إذا كان المشرك له صلة قرابة بالمسلم ، كالوالدين والأقربين .

وقد نهى الإسلام عن قبول الهدايا لقضاء الحاجة لأنَّها لا تعتبر جانب عاطفي ووجданِي وإنما تعتبر نوع من الربا ومن الأمور التي يعاقب عليها فاعلها . فقد روي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من شفع لأخيه [لاحد] شفاعة [بشفاعة] فأهلَى له هدية عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب السماء " (أبي داود تحقيق عثمان، ط ٣، ١٣٩٩ هـ، ج ٩، ص ٥٦) .

وعن أبي حميد الساعدي : " أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية . قال ابن السراج : ابن الأتبية ، على صدقه فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدى لي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول : هذا لكم وهذا لي ، ألا [هلا] جلس في بيت أمه أو أبيه ينظر أيهدي له [إليه] أم لا ، لا يأتي أحد منكم [أحدكم] بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيمة ، إنْ كان بغيراً فله رغاء أو بقرة فلها خوار أو شاة تيعز ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة أبطية ثم قال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت " (أبو داود، ج ٩، ص ١٦٣) .

د - مسح رأس الطفل :

من الأسس التربوية لبناء العواطف في الإسلام مسح رأس الطفل، فالطفل الصغير لا يستطيع فهم العواطف بالألفاظ أو التعبير إنما يفهمها بالسلوكيات كالقبلة ومسح الرأس. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم ليشعروا بلذة الرحمة والحنان والعطف الذي يمتليء به وجدانه صلى الله عليه وسلم . فالمسائل الوجданية والأمور الدقيقة لايفهمها الطفل إلا عن طريق السلوك والعمل . روى أنس رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ، ويمسح رؤوسهم " (الألباني، ج ٤، ص ٢٦٣) . " عن مصعب بن عبد الله قال : عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح - توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة " (الحاكم، النيسابوري، ج ١٤١١هـ، ج ٣، ص ٣٧٩) .

" وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : سئلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوسف واقعدني على حجره ومسح على رأسي " (البخاري، ص ٥٥) .

والطفل في حاجة أكثر إلى العاطفة عندما يفقد أحد والديه أو كليهما . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بيده على الطفل الفاقد لأبويه ويدعوه له بان يجعله خلفاً صالحاً له . كما روي " عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رأسي قال : أظنه قال ثلاثة ، فلما مسح قال : اللهم اخلف جعفراً في ولدك " (النисابوري، ج ١، ص ٣٧٢)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضيف إلى مسح رأس الطفل مسح خديه بيديه الشريفتين ، وما ذلك إلا اهتماماً به وادخال المزيد من البهجة والسرور إلى وجدان الطفل .

بل كان صلى الله عليه وسلم يساوي في معاملته للأطفال ليطبع بركته وشفقته إلى كل منهم محققاً العدالة في العاطفة ودرءاً للحقد والحسد الذي قد ينبع من عدم المساواة . كما روى مسلم عن جابر بن سمرة ، وهو من أطفال الصحابة قال : صليةت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة أولى يعني صلاة الظهر ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان . أي صبيان فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً ، قال جابر : وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريجاً كأنما أخرج جهما من جونة عطاره " (القشيري ، ١٣٨٩هـ ، ص ٤١٧) .

٥- حسن الاستقبال :

يعتبر حسن الاستقبال من الأسس التربوية في بناء العاطفة في المنظور الإسلامي لما له من تأثير إيجابي على الفرد مع الآخرين خاصة الأطفال . فلقاء الطفل بأسلوب حسن لا بد منه . وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى ، فإذا كان اللقاء طيباً استطاع الطفل متابعة الحديث بطلاقه وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم ، فبذلك تبني شخصيته الاجتماعية وينفتح وجدانه وما يدور في خاطره ويعرض مشاكله ليتم حلها ، ويتحدث عن أمانيه فيسعى إلى مساعدته في تحقيقها . كل هذا يحصل إذا أحسن استقباله بفرح ووجه بشوش .

فإسلام حث على طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر ومشاركتهم بالسمع والفكر والوجود ، لأن طلاقة الوجه والبشر الناس محبب إليهم . (الميداني ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ ، ج ٢ ، ص ٤٦٣) . مألف في نفوسهم قريب إلى وجدانهم . وقد حث

الإسلام على ذلك . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقى الناس بوجهه مبتسم . كما روي " عن قيس قال : سمعت جريراً يقول : ما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدخل من هذا الباب رجل من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملوك فدخل جريراً " (البخاري، ص ٣٩) .

" وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً قط حتى أرى منه لهواه إنما كان يتسم صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان إذا رأى غيماً أو ريحًا عرف في وجهه ، فقالت : يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحاوا رجاء أن يكون فيه مطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهة فقال : يا عائشة ما يؤمني أن يكون فيه عذاب قوم بالريح ، رأى قوم العذاب منه فقالوا هذا عارض مطرنا " (البخاري - الأدب المفرد، ص ٣٩) .

فالضحك دليل على القبول سواء كان فرداً أو شيئاً والكرابة والامتناع دليل عدم القبول .

ونظراً لأهمية التبسم وطلاقه الوجه في الاستقبال فقد جعلها الإسلام من المعروف الذي يثاب عليه فاعله . كما روي عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخيك ووجهك إليه منبسط ، وأن تصب من دلوك في إناء جارك " (الألباني، ج ٤، ص ١٨١) (ابن حنيف، ج ٥، ص ١١٢) .

وكم روي عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك

الرجل في أرض الضلاله لك صدقة ، واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وافراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة " (الألباني، ج-٣، ص ٣٢) . (السيوطى، ج ١، ص ١٩٤) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحرقون من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخيك بوجه طلق " (الألباني، ج-٦، ص ١٣٦) (مسلم بشرح النووي، ج ٦، ص ١٧٧) .

فالتبسم يعتبر من الأمور التي تحل محل المعروف إذا لم يجده الفرد يلقى أخيه بوجه طلق . كما قال بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يحرقون أحدكم شيئاً من المعروف، فإن لم يجد فليلق أخيه بوجه طلق، وإذا اشتريت لحماً أو طبخت قدرًا فأكثر مرقته ، واغرف منه لجارك " (الألباني، ج ٦، ص ٢١٨) .

فالابتسام والوجه البشوش للناس عند الاستقبال هو تعبير عن مشاعر الإنسان نحوهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من التبسم لأنّه يعبر عمّا في داخل وجده من نفس طيبة محبة للخير والمعروف . فقد روى " عن عبد الله بن الحارث بن حزم قال : ما رأيت أحداً أكثر تبسمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (الترمذى ، ج ٥، ص ٦٠١) .

ومن مظاهر حسن الاستقبال المبادرة بالتحية والسلام . فمن كان سليم الوجدان بادر إلى التحلي بهذه الصفات التي حث عليها الإسلام . " فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تسلموا ولا تسلموا حتى تحابوا وافشو السلام تحابوا وإياكم والبغضة فإنها هي الحالقة لا أقول لكم تخلق الشعر ولكن تخلق الدين " (البخاري، ص ٤١) .

وقد كلف الاسلام الفرد الذي يدخل بيته غير بيته أن يبادر بالسلام عند لقاء أهل البيت، كما أمر المستقبل أن يرد التحية بأحسن منها أو يردها كما هي . كما قال تعالى:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ
عَمِنُوا لَا تَدْخُلُوْبَيْتَهُوْلَكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوْ
وَسَلِمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(سورة النور : آية ٢٧)

وكما قال تعالى :

أَوْ إِذَا حُبِّيْتُمْ بِشَجَّةٍ فَحِيْوُا
إِلَّا حَسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

(سورة النساء: آية ٨٦)

وكما أن السلام يدخل الى الوجدان ويضفي المحبة بين الأفراد . كذلك المصادحة عند الاستقبال لها نفس التأثير في الوجدان بالإضافة إلى المغفرة للمتصافحين . قبل التفرق من اللقاء . كما روي " عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلمين يلتقيان فيسلم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده ، لا يأخذ بيده إلا الله ، فلا يفترقان حتى يغفر لهما " (الألباني ، جـ ٥ ، ص ١٨٢) (ابن حنبل ، جـ ٦ ، ص ٤١٧).

وعن " البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ، إلا غفر لهما قبل أن يفترقا " (الألباني ، جـ ٥ ، ص ١٨٢) (ابن حنبل ، جـ ٦ ، ص ٤١٧) .

و - السؤال وفقد الأحوال :

كثيراً ما يعشى الطفل وحده فيفضل الطريق وبيته في الشارع ، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبها سريعاً لشروعه وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع ما أمكن والعكس إذا اشغالاً بأمور الدنيا ضل الطريق وراح في تيه قد يؤثر على نفسيته وقد تكون له متربات لا تظهر آثارها إلا بعد أن يكبر .

والتأخير عليه أو في العثور عليه يزيد من مخاوفه وألامه وبكائه ويشتد عذابه النفسي كلما زادت فترة تأخير وصول أحد والتربية إليه . (سويد وآخرون ، ط٤ ، ١٤١٦هـ ، ص ١٨٦) .

واستشعاراً لهذا الأثر الوجданى في أعماق الطفل سارع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار في الطرق للبحث عن الحسن والحسين للعثور عليهم عندما فقدا . كما روى الطبراني " عن سلمان رضي الله عنه قال : كنا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت أم أيمن رضي الله عنها فقالت : يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين ، قال : وذلك وأد النهار يقول ارتفاع النهار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قوموا فاطلبوا ابني " قال : وأخذ كل رجل تجاه وجهه وأخذت نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل حتى أتى سفح جبل ، وإذا الحسن والحسين رضي الله عنهم ملتقياً كل واحد منهما صاحبه ، وإذا شجاع قائم على ذنبه يخرج من فيه شه النار ، فأسرع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انساب فدخل بعض الأحجرة ، ثم أتاهما فأفرق بينهما ومسح وجههما وقال : بأبي وأمي انتما ما أكرمكم على الله " ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر ، فقلت: طوبى لكما نعم المطية مطيتكما ، فقال رسول الله صلى عليه وسلم : ونعم الراكبان هما ،

وأبواهما خير منهما" . (الطبراني ، ط ٣ ، ٤ ، ١٤٠ هـ ، ج ٣ ، ص ٦٥) " وعن عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يعيشان ويعثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : صدق الله ﷺ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴿ فنظرت إلى هذين الصبيان يعيشان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديشي ورفعتهما " (الترمذى ، ج ٥ ، ص ٦٥٨) .

فمن ذلك يتضح أن الخوف الذي حصل للحسن والحسين حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الشجاع ، وسارعه الرسول صلى الله عليه وسلم لفقدهما وطلب تفقدهما في الماء ، ثم إزالة الخوف من قلبيهما ثم التفريق بينهما ، ثم مسح وجههما ثم دعاؤه لهما ، ثم أكرامهما بحملها على عاتقه ثم مزحهما بقوله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكبان هما فما ذلك إلا من شدة حرصه واهتمامه بعاطفة الطفل ان تبقى سوية وأن يبقى وجداه خالياً من الأمراض النفسية متوازياً (سويد ، وآخرون ، ص ١٨٦ - ١٨٧) .

ومن الأسس لبناء العاطفة في الإسلام فقد الأحوال بين حين وآخر لربط العلاقة الوجدانية بين الفرد المسلم وأخيه المسلم . فهذا السلوك الذي يضفي نوعاً جميلاً من المحبة . هو السبيل إلى اكتساب محبة الله سبحانه وتعالى وهذا هو أعظم ما يحصل عليه المؤمن . فقد روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاه لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا ، غير أنني أحببته في الله - عز وجل - قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه " (الأحاديث القدسية ، ج ١ ، ص ٢٥٨)

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتراءين في ، والمتباذلين في " (الألباني، ج٤، ص ١٢٠) (الأحاديث القدسية، ج١، ص ٣٤٣) .

وعن " عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : حقت محبتي للمتحابين في ، وحققت محبتي للمتواصلين في ، وحققت محبتي للمتصاححين في ، المت宦ابون في على منابر من نور يغطيهم بمكانتهم النبيون والصديقون" (الألبانى، ط ٣٢، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص ١١٧) (ابن حنبل، ج٨، ص ٢٣٢) .

ومن الأسس التربوية لبناء العواطف في الإسلام فقد الأحوال لقضاء حوائج المسلمين . سواء كانت هذه الحاجات مادية كالنفقة في الأحكام والملابس والمسكن ، أو الدابة ، أو كانت معنوية مثل عيادة المريض والزيارة . كما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول يوم القيمة يا ابن آدم ، مرضت فلم تدعني ، قال : يارب ، وكيف اعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تدعه ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم ، استطعتمتك فلم تطعمني ، قال يارب ، وكيف اطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان ، فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم ، استسقتك فلم تسقني ، قال : وكيف اسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما أنك لو سقته لوجدت ذلك عندي " (الأحاديث القدسية، ج١، ص ٢٦٣) .

ز - الرعاية الخاصة للطفل اليتيم الضعيف :

من الأسس التي وضعها الإسلام لبناء العواطف التي تعتبر من مجالات التربية الوجدانية الرعاية الخاصة للطفل اليتيم الضعيف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أحرج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة " (ابن ماجة - تحقيق محمد الالباني ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٩٨) . فالحرج الذي ورد في الحديث من التحرير أو الاحراج . أي أضيق على الناس في تضييع حقهما ، وأشدد عليهم في ذلك . (ابن ماجة ، ص ٢٩٨) .

والسنة النبوية المطهرة تستجيش النفوس وتدعواها إلى الاهتمام برعاية اليتيم الذي فقد آباء . فاليتيم يستحق القيام بالرعاية لأنه فقد آباء أحد الأركان الأساسية للمتلقي التربوي . والمرأة لأنها خلقت ضعيفة . كما روي " عن نبيط يعني أن شريط قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ولد الرجل ابنة بعث الله عز وجل ملائكة يقولون السلام عليكم أهل البيت يكسونها بأجنحتهم وييسرون بأيديهم على رأسها ، ويقولون ضعيفة خرجت من ضعيفة القيم عليها معان إلى يوم القيمة " (الهيثمي ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٨ ، ص ١٥٦) .

فالرعاية لليتيم الضعيف ثوابها دخول الجنة وهي غاية المطالب . والمساعي التي يسعى إليها الفرد في هذه الدنيا التي خلق فيها الخليفة في الأرض . " فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى " (الترمذى ، ج ٤ ، ص ٣٢١) .

" وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا وكافل اليتيم أو لغيره في الجنة ، والمساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله " (الألباني ، ج ٢ ، ص ٢٣) .

ومن دلائل المواساة الربانية للأيتام قوله تعالى مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم:

وَوَجَدَكَ ضَالاً
فَهَدَىٰ ﴿١﴾ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٢﴾ فَمَا الْيَتَمْ فَلَا تَقْهِرُ
وَمَا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ﴿٣﴾ وَمَا يَعْمَدُ رَبِّكَ فَنَحْدِثُ
(سورة الضحى : آية ٦ - ١١)

ففي هذا النص العظيم أعظم مواساة ربانية للأيتام ، فالله يعلن فيه أن اليتيم بفقد الأبوين قد اختاره الله لأصفى أصفيائه من خلقه الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فحسب اليتامي مواساة وفخرًا أن يكون سيد المرسلين قد ولد يتيم الأب، ثم نشأ يتيم الأبوين ، ويخاطبه الله بقوله : ﴿أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأُولَئِكَ أَذْيَسْرُ
لَكَ بَدْلًا وَالدِّيكَ مَنْ يَكْفُلُكَ وَيُؤْوِلُكَ وَيَحْنُو عَلَيْكَ .

ولقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم في طفولته اليتيم وعرف في نشأته مشاعره، وعرف ما يقهر اليتيم وما يواسيه ، وعرف ما يفرجه ويسره ويجبر كسره ويكون له تعويضاً عما فقد من أبويه . قال الله تعالى : ﴿فَمَا الْيَتَمْ فَلَا تَقْهِرُ﴾ إن وجدان اليتيم ومشاعره ربما تبلغ من الإفراط في الحساسية أن تقهقه الكلمة العابرة التي لا تثير انتباه أي إنسان آخر ، ولا تحرك فيه شيئاً ، لذلك كان على كافل اليتيم أن يكون دقيق الملاحظة جداً تجاه الجانب الوجданاني للإيتيم لما يهز مشاعر الأيتام بالألم ، فلا يأتي منها شيئاً ، ويوصي أسرته بغض ذلك ، فليس من الجائز قهر اليتيم ولو بكلمة عابرة . فالإيتيم قد يقهره منظر عطف الأب أو الأم على ولدهما داخل الأسرة التي يعيش في كفالتها ، ويؤلمه جداً تفضيل غيره عليه ولو بأتفه الأشياء ، ويتيقظ فيه الشعور بأنه لو لم يكن يتيمًا للقى من العطف والاكرام والتفضيل مثل الذي يلقاه الآخرون ، ولكنه محروم من ذلك بسبب ينته . (الميداني ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٤٦) .

ومن الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يتصرف بها وجدان المسلم والتي يأمر بها خلق الرحمة الذي يشمل المسكين واليتيم ، وهو عبارة عن سلوك الطريق المستقيم . كما قال تعالى :

وَهَدَنَا
الْتَّجَدِينَ ﴿١﴾ فَلَا أَقْحَمُ الْعَقَبَةَ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَكَ مَا الْعَقَبَةَ ﴿٣﴾
فَكُّرْبَةٌ ﴿٤﴾ أَوْ إِطْعَمْتُمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٥﴾ يَتَسَمَّا ذَامَقْرَبَةٌ
أَوْ مَسَكِينًا ذَامَرَبَةٌ ﴿٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ أَحَبُّ الْيَمِنَةَ

(سورة البلد : آية ١٠ - ١٨)

فالإسلام عمل على غرس الرحمة في وجدان المؤمنين وعمل على تغذيتها وتنميتها وتوسيع دائرة شمولها . كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أوصى بكفالة اليتيم واعانة ضعفه وهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله عز وجل :

الْقَدَّجَاءُ كُمْ رَسُولُهُ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(سورة التوبه : آية ١٢٨)

والرسول صلى الله عليه وسلم بدوره مربى هذه الأمة قد أوصى المسلمين بالسعى لاكتساب هذا الخلق . فكفالة اليتيم لها عظيم الأجر وهو مصاحبة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة . كما روی عن عروة بن مالك القشير قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول من ضم يتيمًا بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يفنيه الله وجنت له الجنة " (الهيثمي ، ١٤٠٦هـ ، ج ٨ ، ص ١٦٤) .

ولأن الإسلام اعتبر خير بيت فيه يتيم يحسن إليه ويراعي فيه نفسياً وجسمياً وفكرياً . لذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه يطبقون ذلك . فعن الحسن أن يتيمًا كان يحضر طعام ابن عمر فدعى بطعم ذات يوم فطلب يتيمه فلم يجده فجاء عندما فرع ابن عمر فدعى له ابن عمر بطعم فلم يكن عندهم فجاءه بسويق وعسل فقال دونك هذا والله ما غبت يقول الحسن وابن عمر والله ما غبن " (البخاري ، ص ٢٣) . و " عن العلاء بن خالد بن مروان قال حدثنا أبو بكر بن حفص ان عبد الله كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه يتيم " (البخاري ، ص ٢٣) .

فصحابة رسول الله يطبقون سلوكياً قوله تعالى :

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَسَأَلُوكَ عَنِ الْيَتَمِ قُلْ إِصْلَاحُهُمْ
خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسَدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا عَنْتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(سورة البقرة : آية ٢٢٠)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه " (البخاري - الأدب المفرد ، ص ٢٣) .

" وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ أَبْذِي قَالَ : قَالَ دَاوُدَ كَنْ لِلْيَتَيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ وَأَعْلَمُ أَنْكَ كَمَا تَزَرَّعَ كَذَلِكَ تَحْصَدُ وَمَا أَقْبَحَ الْفَقْرُ بَعْدَ الْغَنَى وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى وَإِذَا وَعَدْتَ صَاحِبَكَ فَانجُزْ لَهُ مَا وَعَدْتَهُ فَإِنْ لَا تَفْعَلْ يُورِثُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً وَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صَاحِبٍ أَنْ ذَكَرْتَ لَمْ يَعْلَمْ وَإِنْ نَسِيْتَ لَمْ يَذْرُكَ " (البَخَارِيُّ - الْأَدْبُ الْمُفْرَدُ ، ص ٢٣ - ٢٤) . هَكُذا نَجِدُ أَنَّ الْإِسْلَامَ أَمْرُ الْأَوْصِيَاءِ وَكُلُّ مَنْ لَهُ صَلَةٌ قَرَابَةً بِالْيَتَيمِ أَنْ يَحْسِنُوا مُعَامَلَتِهِ وَأَنْ يَقْدِمُوا عَلَى أَمْرِهِ وَكَفَالَتِهِ . (عَلَوَانَ، ط ٢، ١٣٩٨ هـ، ج ١، ص ٤٤) .

كما أمرهم الإسلام أن يشرفوا على توجيهه وتربيته حتى يتربى على الخير ويبتعد عن العوامل المؤدية إلى الخرافه .

والإسلام يعتبر رعاية اليتيم كما هي مكسب لثواب دخول الجنة فهي أيضاً علاج نافع لقصاوة القلب . فإذا ما تحجر القلب واعترى الوجدان جانب الغلظة والقسوة الشديدة وعدم الشعور بالرقمة . فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع لذلك أسلوباً للعلاج عن طريق الرحمة باليتيم ومسح رأسه واطعامه . كما روي " عن أبي الدرداء رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشتكي قسوة قلبه فقال له : أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ، أرحم اليتيم وأمسح رأسه واطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك " (الألباني ، ج ١ ، ص ٨٠) (وَنَسْتَكْ وَآخَرُونَ ، ١٩٦٩ م ، ج ٥ ، ص ١٩٠) .

" وَعَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ قَبَصَ يَتِيمًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلْ ذَنْبًا لَا يَغْفِرُ لَهُ " . (الترمذى ، ج ٤ ، ص ٣٢٠) . فَكَفَالَةُ الْيَتَيمِ صَفَةُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَتَغَوَّنُ الْجَنَّةَ وَهِيَ صَفَةُ

الرحمة الخاصة بهم . بينما صفة الكفار عكس ذلك فهي صفة القسوة وعدم الرحمة

باليتيم وعدم الكرامة . كما قال تعالى :

كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتَمَ (١٧) وَلَا تَحْكُمُونَ عَلَى طَعَامِ
الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ أَثْرَاثَ أَكَلَ لَمَّا
وَنَجَبُونَ الْمَالَ حُجَّاجَمًا

(سورة الفجر : آية ١٧ - ١٨)

ففي هذه الآية يؤنب الله المشركين الذين جفت قلوبهم من الرحمة وانطمس وجdanهم بسبب كفرهم بل وانطممت منابع الرحمة التي تدفع أصحابها إلى العطف على الضعفاء والأيتام ، فالكافر بسبب قسوة وجدانه لا يكرم اليتيم ولا يحضر عن طعام المسكين فهو محب للدنيا طامع في المزيد من ملذاتها ناسٍ غيره من ذوي الحاجات .

٣ - اتجاهات العواطف في الإسلام :

لقد ووجه الإسلام العواطف لدى الفرد لعدة إتجاهات داخل الأسرة وخارجها ، فوجهها نحو الوالدين ، وأبنائه ، وآخوته ، وأقربائه ، والمثل الأعلى والمجتمع ككل ، بل تعدت ذلك إلى أن جعلها انسانية مطلقة تشمل كل بني الإنسان ، بل تتعدى الإنسان إلى غيره من الكائنات ، وذلك لأن الإسلام دين رحمة ومحبة صافية ، وبر ورعاية للجميل ، وهو دين لا قرار الحق في كل ما يقرره ، فإذا اثنى على أمر خيراً أو صبيحة فإنه يبني ذلك على حقائق فاضلة وحكم سامية .

ولتحقيق التربية السليمة وخصوصاً تربية الوجدان ولتوجيه العواطف بصورة سليمة وهي أحد مجالات التربية الوجدانية جعل الإسلام بين الأفراد ضرورة من الصلة والعلاقات التي تمثل فيها روح التزام والتعاون على دفع المضار والشر وجلب المنافع والخير .

وأقوى هذه العواطف في نظر الاسلام وهي :

العاطفة تجاه الوالدين ، العاطفة تجاه الابناء ، العاطفة تجاه الأخوة ، العاطفة تجاه القرابة ، العاطفة تجاه المثل الأعلى ، العاطفة تجاه المجتمع ، العاطفة الإنسانية المطلقة .

وستقوم الدراسة بدراسة هذه العواطف لتوضيح كيف أن الإسلام وجهها توجيهها يكفل ترابط أفراد الأسرة وأفراد المجتمع ترابطاً سليماً يضمن السعادة للفرد والمجتمع.

أ - العاطفة تجاه الوالدين :

إن التجاهات العاطفة تجاه الوالدين يمثلها الحق ، حق الوالدين على الولد الذي هو أجل الحقوق وأعظمها بعد حق الله سبحانه وتعالى : ولأن الله هو الخالق الحقيقي للولد فإنه سبحانه وتعالى يجعل لكل شيء سبب ، وقد جعل الوالدين هما مصدر هذا الخلق وسيبه المباشر ، ولأنهما يبذلان من التضحيات والجهود من أجل تربية الأولاد واعدادهم للحياة ما يستحقان المكافأة عليه . (صالح، ١٤٠٠ م / ١٩٨٠ م، ص ٢٧).

وقد بين الفخر الرازي تفسير معنى المكافأة والاحسان في تفسيره لقوله تعالى :

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَنَّا إِمَّا
يَلْعَنَنَّ عَنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تُنْقِلْ لَهُمَا
أُفْٰ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَنْخُفِضْ
لَهُمَا بِجَنَاحَ الظُّلْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْجُهُمَا كَارِبَيَانِ

صَغِيرًا

(سورة الاسراء : آية ٢٣ : ٢٤)

فمن الأشياء التي أوجبها الله على الفرد بعد حقه الاحسان والبر بالوالدين ك قوله تعالى : ﴿ وَبِالوَالِدَيْنِ احْسَانًا ﴾ إنما ثنى بهذا التكليف لأن أعظم أنواع النعم على الإنسان نعمة الله تعالى ويتلوها نعمة الوالدين، لأن المؤثر الحقيقي في وجود الانسان هو

(٢٥٣)

الله سبحانه وتعالى ، وفي الظاهر هو الأبوان، ثم نعمهما على الإنسان عظيمة وهي نعمة التربية والشفقة والحفظ من الضياع أو الهلاك في وقت الصفر . (الرازي، ١٣٥٧هـ، جـ ٣، صـ ٢٣٢) .

من أجل ذلك جاءت توصية الإسلام للأباء بالآباء ليقدروا حق الآباء ويعرفوا فضلهم عليهم حق المعرفة وواجبهم نحوهم ليرسلوا احسانهم باحسان ، وفضلهم بفضل وواجبهم بواجب ، وعطفهم بعطف . لذلك جاءت توصية الإسلام للأباء بالآباء في أكثر من آية مقرونة بعبادة الله والنهي عن الشرك كما قال تعالى :

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَنَا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ
وَابْنِ السَّيِّلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مِنْ
كَانَ مُجْتَالًا فَخُورًا

(سورة النساء : آية ٣٦)

وكما قال تعالى :

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا إِمَّا
يُبْلِغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرُ أَحْدُهُمَا أَوْ كُلُّهُمَا فَلَا تُنْقِلْهُمَا
أُفِّ وَلَا نَهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ الْذِلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا كَرِبَيْنَا
صَغِيرًا

(سورة الاسراء : آية ٢٣ - ٢٤)

(٢٥٤)

وقد تضمنت هاتان الآيتان مضمرين تربوية للأبناء وتحثهم على العاطفة تجاه الآباء

لعدة وجوه منها :

١) الأمر واللزم بالاحسان إلى الوالدين رداً جميلاً احسانهن لولدهما وفضلهما عليه . والقضاء في الآية مقررون بالعبادة لله تعالى .

٢) اللزم باجتناب الغلطة مع الوالدين أو نهراهما خاصة في السن المتقدمة ، ففي فترة الشيخوخة يحتاج الوالدان إلى العطف والرعاية والحنان . وأن يكون القول كريماً . وأن يتخير الولد في مخاطبة الوالدين بأجمل الألفاظ وألطف العبارات التي تنفذ إلى الوجدان وتحقق لهم الرضى والسعادة .

٣) وينبغي للولد أن يتذلل لوالديه ، وأن يخفض لهم جناح الذل من الرحمة والعطف عليهم كما قال تعالى :

أوَ أَخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ الْذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَارِبًا فِي
صَغِيرًا

(سورة الاسراء : آية ٢٤)

٤) والابن مطالب بأن يدعو لوالديه في حياتهما وبعد مماتهما كما ورد ذلك في

القرآن الكريم في قوله تعالى : رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنَينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا

(سورة نوح : آية ٢٨)

(٢٥٥)

وقوله تعالى :

أَرَبَّنَا أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ

(سورة ابراهيم : آية ٤١)

بل إن الله تعالى طالب الابن بالدعاء للوالدين في العبادة في الصلاة ، وذلك بعد الرفع من السجدة الأولى بأن يقول بين السجدتين ، رب أغفر لي ولوالدي وأرحمهما كما ربياني صغيراً . كما قال تعالى :

أَوَخَفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلَلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا

(سورة الاسراء : آية ٢٤)

فهو مطالب أن يدعوا الله طالباً منه الرحمة لهما بشرط أن يكونا مسلمين، فإن كانا مشركين فهناك نهي عن طلب الاستغفار لهما ، ولا بأس أن يطلب لهما الهدایة في الدعاء لهما. (القرطبي، ١٩٦٦، ج ١٠، ص ٢٣٩) كما قال تعالى:

وَوَصَّيْنَا إِلَيْهِ أَنْسَنَ
إِنَّ رَبَّكَ لِتُشْرِكَ فِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطْعِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَإِنِّي شُكْرٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(سورة العنكبوت : آية ٨)

٥) والاسلام حض الابن على البر بالوالدين في حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاج فيها الوالدان الى البر لتغير الحال عليهما بالضعف والعجز ، فألزم في هذه الحالة مراعاة أحواهما أكثر مما ألزمهما من قبل لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاماً عليه

فيحتاجان أن يليا منهما في أكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه . وأيضاً فطلو المكث للمرء يوجب الاستقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبيه ، وتفخ هما أوداجه ، وأقل ما يظهره يتنفسه المتعدد من الضجر، وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة . (القرطبي، ج ١٠، ص ٢٤١) لا بالتأفف والتضجر لأنه نهى عنه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رغم أنفه رغم أنفه قيل من يارسول الله ؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة " . (الألباني، ج ٣، ص ١٧٨ - ١٧٩)

فمن أكبر الكبائر عقوق الوالدين ومخالفتهما في احتياجاتهما الجائزة لها أو دفع الأذى عنهما أو الإنفاق عليهما إذ كانوا قد ضعفا وعجزا أو مرضيا أو شاخا . وهذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الولد وما له ملك لأبيه . فقد روي " عن عبد الله بن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أكبر الكبائر الشرك، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، وما حلف حلف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح بعوضة ، إلا جعلت نكتة في قلبه إلى يوم القيمة " (الألباني، ج ٢، ص ٢٤٥) . وكما روي " عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إن أبي أخذ مالي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل فأتبأيك فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك إذا جاءك الشيخ فسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناته، فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما بالك ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : سله يارسول الله هل انفقه إلا على إحدى عماته أو

قال له رسول الله : أيه دعنا من هذا اخبرني عن شيء
قلته في نفسك ما سمعته اذناك فقال قلت :

غذوتك مولوداً ومتنك يافعاً
اذا ليلة قد ضقت بالسقم لم أبت
كأنني أنا المطروق دونك بسالدي
تخاف الردى نفسي عليك وانها
فلما بلغت السن والغاية التي
جعلت جزائي غلظة وفظاظة
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
فأؤلبيتني حق الجسوار ولم تكن
على بمال دون مالك تخيل
كأنك أنت المنعم المفضل
إليها مدى ما كنت فيها أو عمل
لعلم أن الموت أمر مؤجل
طرقت به دوي فعيوني تهمل
لسقمك إلا ساهراً أقلمل
تعمل بما أجيئ عليك وتنهل

قال : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلايب ابنه وقال : أنت ومالك لا يك" (القرطبي ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٦) . (الألباني - اشرف الشاويش ، ط ٢، ١٤٠٥ هـ ، ص ٦٥) .

ولأن عاطفة الأم قوية جداً ، ولأنها تحمل الكثير من التعب في تربية الابن الذي يكون جنيناً في بطنها يتغذى من دمها الذي هو قوام حياتها ، كما أنها تلقي الآلام والمتاعب في الحما ، وال التربية . كما قال تعالى :

وَوَصَّيْنَا إِلَيْهِ أَنْ يُوَلِّ دِيَرَهُ حَمْلَتْهُ أَمْهُدُ
وَهُنَّا عَلَىٰ وَهِنِّ وَفِصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالدِيَكَ
إِلَى الْمَصْبِرِ

(سورة لقمان : آية ١٤)

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى :

وَوَصَّيْنَا إِلَى إِنْسَنَ يُولَدَ يَهُ احْسَنَ حَمْلَتِهُ أَمْهُ كُرْهَا وَضَعْتَهُ
كُرْهَا وَحَمْلَهُ وَفَصَلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَقِيقَ إِذَا بَلَغَ أَشْدَهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالْدَّى وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا حَارَضَنِهُ وَأَصْلِحَ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي إِنِّي بَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسَلِّمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ
تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَنَثَجَوْزَعَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدِيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

(سورة الأحقاف : آية ١٥ - ١٦)

ثم يكون طفلاً يتغذى من لبنها فيكون له مع كل مصبة من ثدييها عاطفة جديدة يستقلها من وجdanها ، هذا بالإضافة إلى التربية الجسمانية التي تتطلب الكثير من العناية الجسماني والفكري والوجداني . لهذا كان لها السبق في أحقيـة حسن الصحبة كماراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من : قال أمك . قال : ثم من ؟ قال أبوك " (مسلم بشرح النووي، ١٤١٦هـ، ج ٦، ص ٢٠١) . " وعن سعيد بن أبي بردة قال: سمعت أبي يحدث أنه شهد ابن عمراً رجلاً يمانياً يطوف باليت حمل أمه وراء ظهره يقول : اني لها بغيرها المذلل .. ان أذهرت ركباهما لم أذرع

ثم قال يا ابن عمر أتراني جزيتها قال : قال لا ولا بزفرة واحدة ثم طاف ابن عمر فأتى فصلى بالمقام ركعتين ثم قال يا ابن أبي موسى أن كل ركعتين تکفران ما أمامهما " (البخاري - الأدب المفرد ، (د.ت) ، ص ٤) . " عن أبي هريرة رضي

(٢٥٩)

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجزي ولد والداً إلا أن مجده
ملوكاً فيستريه فيعتقه " (مسلم بشرح النووي ، ج ١٠ ، ص ٢١٠)

ومن الجوانب السلوكية التي ينبغي على الفرد أن يسلكها تجاه والديه والتي تعتبر
من العواطف الابيجابية إجلال قدرهما وتقديرهما ، وذلك بعدم تسميتهمما ياسمهما ولا أن
يجلس الآباء في المكان قبلهما ولا يمشي أمامهما كما أمره الاسلام بذلك . كما روى
" عن هشام بن عمرو عن أبيه أو غيره أن أبا هريرة أبصر رجلين فقال لأحدهما ما هذا
منك . فقال أبي فقال : لا تسمه باسمه ولا تخشي أمامه ولا تجلس قبله " (البخاري -
الأدب المفرد ، (د.ت) ، ص ١٠) .

بل إن الإسلام جعل العاطفة تجاه الوالدين سبيلاً إلى الشواب في الدنيا والآخرة .
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر
رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة " (الهيثمي ، ٤٠٦ ج ٥ ، ص ٣٨٤) .
وكما روي " عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا نظر
والد إلى ولده فسره كان للولد عتق نسمة قيل يارب يا رب الله - وإن ثلثمائة وستين نظرة
؟ قال : الله أكبر " (الهيثمي ، العراقي وابن حجر ، ٤٠٦ ج ١٤١ هـ ، ص ١٥٩)
(الطبراني المعجم الكبير ، ٤٠٠ ج ١٤٠ هـ ، ص ٢٣٩) .

ولوجوب العاطفة تجاه الوالدين فقد قدمها الاسلام على الجهاد والهجرة كما روى
" عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يباعيه على
الهجرة، وترك أبيه يكىان فقال أرجع إليهما فاضحكهما كما أبكيتهمما " (القرطبي ،
١٣٨٦ هـ ، ج ١٠ ، ص ٢٤٠) (الحاكم - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ١٤١١ هـ ،
ج ٤ ، ص ١٦٨) .

(٢٦٠)

كما روي " عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد . فقال : أحي والداك ؟ قال : نعم . وتركتهما ييكيان ، قال : اذهب فاضحكهما كما أبكيتهما " وفي خبر آخر أنه قال : نومك مع أبيك على فراشكما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معي " (القرطبي ، ج ١٠ ، ص ٢٤) (الحاكم ، ج ٤ ، ص ١٦٩) .

والإسلام واصل استمرارية العاطفة تجاه الوالدين بعد وفاتهما ، وذلك بالاستغفار لهما وانفاذ العهد الذي هو واجب عليهما ، وذلك بتتفيد وصيتهما وصلة قرابتهما إخوانهما وأخواتهما وآبائهما وأقربائهم وأهل ودهما من الأقرباء والأصدقاء . فهذا يعتبر من أبر البر . كما روي " عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه " (الترمذى ، ج ٤ ، هـ ١٣٥٧) . وكما روي " عن أسيد بن علي بن عبيد عن أبيه أنه سمع أبوأسيد يحدث القوم قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل يا رسول الله هل بقي من بر أبي شيء بعد موتهما أبدهما قال : نعم خصال أربع الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي رحم لك من قبلهما " (البخاري - الأدب المفرد ، ص ٩) . وكما روي " عن ابن عمر مر إعرابي في سفر فكان أبوالأعرابي صديقاً لعمر رضي الله عنه فقال الأعرابي ألس ابن فلان قال : بل فأمر له ابن عمر بحمار كان يستعقب ونزع عمامته عن رأسه فأعطاه فقال بعض من معه أما يكفيه درهمان فقال : قال النبي صلى الله عليه وسلم احفظ ود أبيك لانقطعه فيطفيء الله نورك " (البخاري - الأدب المفرد ، ص ٩) وكما روي " عن سعد بن عباد الزرقي أن أباه قال : كنت جالساً في مسجد المدينة مع عمرو بن عثمان فمر بنا عبد الله بن سلام متكتئاً على ابن أخيه فنفذه عن المجلس ثم عطف عليه فرجع عليهم فقال ما شئت

(٢٦١)

عمرو بن عثمان مرتين أو ثلاثة فو الذي بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق انه لفي كتاب الله عز وجل مرتين لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ بذلك نورك " (البخاري - الأدب المفرد ، ص ١٠) .

وقد صرخ الرسول صلى الله عليه وسلم بضرورة صلة صديق الأب بعد الوفاة وقبل الوفاة كما هو ظاهر في اللفظ . كما روي " عن أنس رضي الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من البر أن تصل صديق أبيك " (الألباني، ج ٥، ص ٤٢١) . وذلك لتربية الفرد على الروابط وال العلاقات الإنسانية ، وتنمية اتجاهات العواطف في الوجدان .

ب - العاطفة تجاه الأبناء :

إن اتجاه العاطفة تجاه الابن في الإسلام تمثلها العاطفة المتبادلة بين الأب والابن كالحنان والحب والرحمة ، والتي يصورها ويجسدها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وملك الموت في الحديث أن إبراهيم خليل الرحمن لما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره ، فقال له : من أدخلك داري ؟ قال : الذي أسنك فيها منذ كذا وكذا سنة . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، حيث لقبض روحك ؟ قال : أثارك حتى أودع ابني إسحاق ؟ قال : نعم . فأرسل إلى إسحاق ، فلما أتاه أخبره ، فتعلق إسحاق بأبيه ، وجعل ينقطع عليه بكاء ، فخرج عنهما ملك الموت ، وقال : يارب إسحاق متعلق بخليلك ؟ فقال له الله : قل له إن قد أمهلتكم وفعل ، واحل إسحاق عن أبيه ودخل إبراهيم بيته ينام فيه ، فقبض ملك الموت روحه وهو نائم . (الأندلس، ٤٠٦ هـ، ص ١٢٠) .

والعاطفة تجاه الأبناء تقتضي من الوالدين تربية الأبناء ليكونوا أعضاء صالحين في المجتمع يمثلون خير أمة أخرجت للناس . والتي تكون مفخرة أمام الأمم الأخرى .

(٢٦٢)

فينبغي للوالدين تربية الابن روحياً ليكون فعالاً ونافعاً لنفسه ومجتمعه . وبال التربية الوجدانية يكون تحقق الخير فيكون الابن جياش العواطف ينبع من الخير ويفرح به ويحرص عليه ، وينقبض عن الشر ويضيق به ويفر منه . (سابق، (د.ت) ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

ولأن العاطفة تجاه الابن من الأمور الفطرية التي فطر الله الناس عليها ، ولأن الاسلام جعل البنين من زينة الحياة الحبية إلى النفس كما قال تعالى :

زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُفَنَّطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَنِ وَالْحَرْثُ ذَلِيلٌ مَتَكَبِّعٌ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَابِ

(سورة آل عمران : آية ١٤)

والأنباء ثمرة القلب . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي "عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الولد ثمرة القلب ، وإنه مجنبه ، مدخلة ، محنـه " (الألباني ، جـ ٦ ، ص ١١٨) (ابن ماجة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥) .

لذلك فإن العاطفة تجاه البناء تقتضي عدم القسوة في المعاملة ، ولا ينبغي تفضيل بعض البناء على البعض ، ولا ينبغي الإيثار في العطايا ، ولا ينبغي أن يفضل الذكور على الإناث . فهذه التفرقة نهى عنها الاسلام لأنها تؤثر على النفس والوجودان ، وتعود

بعاقب وخيمة ينبع عنها سلوك غير سوي كالحقد والحسد والانتقام والكراهية والغيرة. فهذا السلوك ينبع من الأبناء الذين ينالون الجانب الأقل من العاطفة الإيجابية من قبل الآباء ، أو تولد روح الأنانية والكبر والغرور من جانب الأبناء الذي ينالون الجانب الأكبر من العاطفة ، فهذا التفضيل ينزع العواطف الإيجابية من وجدان الأبناء فيما بينهم ، أو فيما بينهم وبين الوالدين من جهة أخرى . هذا بالإضافة إلى ما قد تسببه التفرقة في المعاملة العاطفية السلبية المتمثلة في التفضيل من عقد نفسية وأمراض وجدانية قد تعرض للانحراف .

هذا عمل الاسلام على تربية العاطفة تجاه الأبناء بأن تبني على العدل بين الأبناء في العطایا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله واعدلوا في أولادكم " (الألباني، ج-١، ص-٨٨) (مسلم بشرح النووي، ١٤١١هـ، ج-١، ص-٦٧). والأصل في ذلك ما رواه النعمان بن بشير، فقال إن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني نحلت أبني هذا غلاماً كان لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال: لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرجعه . متفق عليه ، وجاء في لفظ مسلم قال: تصدق على أبي ببعض ماله ، ف وقالت أمه عمدة بنت رواحة لا أرضي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبي إليه يشهده على صدقتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعلت هذا بولدك كلهما ؟ قال لا ، فقال : إتقوا الله واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي في تلك الصدقة " (الشوكاني، ١٤٠٣هـ، ج-٦، ص-٦) . (مسلم بشرح النووي، ١٤١١هـ، ج-١، ص-٦٧) و" عن جابر قال: قالت امرأة بشير أنحدل ابني غلاماً وأشهد لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن ابنة فلان سألتني أن أ nihil ابنتها غلاماً ، فقال: ألم إخوة ؟ ، قال : نعم ، قال : فكلاهم أعطيت مثل

(٢٦٤)

ما أعطيته؟ قال: لا، قال: فليس يصلح هذا وإنني لا أشهد إلا على حق" (الشوكياني، ج٦، ص٦). رواه أبو داود من حديث النعمان بن بشير وقال فيه: لا تشهدني على جور إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم" (الشوكياني، ج٦، ص٦).

فالعدل بين الأولاد واجب سواء كانوا أناثاً أم ذكوراً، والبنت لها الأحقية في العدالة مع اختها وأخيها في التعامل في حياة الوالدين ولا يفضل الذكر على الأنثى إلا في الميراث فقط، وما ذاك التفضيل إلا لكون الولد الذكر مسؤولاً عن البنت الأنثى الأخت.

فالبنت إذا أكرمت وطبق العدل في معاملتها مع إخواتها وفي تربيتها فإن ذلك يعود على الوالدين بالثواب في الدنيا والآخرة. كما روي "عن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثه قالت: جاءتني إمرأة معها بنتان تسألي فلم تجد عندي غير قرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: من بلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" (البخاري، فتح الباري، ١٣٤٨هـ، ج١٠، ص٣٥٢). و"عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" (الألباني، ج٥، ص٢١). و"عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عال جاريتين حتى يدركها، دخلت أنا وهو الجنة كهاتين" (الألباني، ج٥، ص٣٢٢). و"عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاثة بنات يؤذبهن ويكتفي بهن، فقد وجبت له الجنة البتة، فقال رجل من بعض القوم وثنين يارسول الله قال: وثنين" (البخاري - الأدب المفرد، (د.ت)، ص١٥)

(٢٦٥)

ولأن المرأة عاطفية في طبعها وذلك لغاية جعلها الاسلام لترعى الأبناء مستقبلاً، فقد خصها الاسلام بالرعاية العاطفية ، بل وجعل الملائكة تأتي للبيت الذي تولد فيه بنت بالسلام على أهله ، ويرعنونها ويسخون أيديهم على رأسها رفة بها لأنها ضعيفة، كذلك يقولون ان من عاها معان إلى يوم القيمة . فقد روی نبیط يعني ابن شریط قال: قال رسول الله صلی الله علیہ وسلم : إذا ولد لرجل ابنة بعث الله عز وجل ملائكة يقولون السلام عليکم أهل البيت يكسونها بأجنحتهم ويسخون بأيديهم على رأسها ويقولون ضعيفة خرجت من ضعيفة القيم عليها معان إلى يوم القيمة " (الھیشمی - العرافي وابن حجر ، ١٤٠٦ھ ، ج ٨ ، ص ١٥٩) .

وقد نهى الاسلام عن كره البنات لما هن من إيوان للأباء من مكانة غالبة في الوجود لضعفهن . فقد روی " عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلی الله علیہ وسلم : لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات " (الھیشمی - العرافي وابن حجر ، ج ٨ ، ص ١٥٩) .

وكان هذا سلوك النبي القدوة مع البنات ، مع ابنته فاطمة ، فكان يحبها ويقبلها ويجلسها قربه ، بل كان آخر عاطفة تجاهها تقبيلها قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى صلی الله علیہ وسلم ، كما روی عن عائشة أم المؤمنين قالت : ما رأيت أحداً كان أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلی الله علیہ وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فرحب بها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فرحيت وقبلته وأجلسته في مجلسها فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فرحب بها وقبلها " (البخاري ، ص ١٤٣) .

وقد نهى الاسلام عن إيثار البنين على البنات وهي من عادات العرب في الجاهلية في الميراث وفي العواطف وهذا للأسف من العادات التي لايزال يحتفظ بها بعض الأفراد

(٢٦٦)

في التفرقة بين البنات والأولاد . فهذا لا يجوز ونهى عنه . فقد روي عن أنس أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ف جاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه وجاءته بنت فأجلسها بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سويت بينهم " . (الهيثمي - العراقي وابن حجر، ج ٨، ص ١٥٩) . وهذا التفريق أسوأ الفعال وأقبحها وقد نزل بشأنه آيات تنهى عنه كما قال تعالى واصفا الحال الوجданى الذي يصيب من رزق بالأنثى من قبائل الجاهلية . فقال تعالى :

وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ
يَتَوَرَّىٰ مِنَ الْقَوْمَ مِنْ سُوءٍ مَا بَشَّرَهُ أَيْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
أَفَرِيدَسْهُ فِي الْتُّرَابِ الْأَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
﴿٥٨﴾

(سورة النحل : آية ٥٨ - ٥٩)

فكان عرب الجاهلية إذا بشر وأخبر أحدهم بولادة بنت ظل كثيماً من الهم فيتغير إحساسه من بهجة وسرور إلى حزن وغم ، وحكي الماوردي : أن المراد بسود لون الوجه وهو قول الجمهور وهو كظيم ، وتقول العرب لكل من لقي مكروهاً : قد إسود وجهه غماً وحزناً ، ويختفي ويغيب من سوء الحزن والعار والحياة الذي يلحقه بسبب ولادة البنت . فقد كانوا يدفنون البنت وهي حية . قال قساده : كان مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء ، وأشدhem في هذا قيم . (القرطبي ، ط ٢ ، ١٣٨٦هـ ، ج ١٠ ، ص ١١٦-١١٧) . وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله :

وَإِذَا أَلْمَوْءُ دَهْسِلَتْ ﴿٨﴾ يَأَيِّ ذَئْبٌ قُتِلَتْ

(سورة التكوير : آية ٨ - ٩)

(٢٦٧)

ولا يقتصر وأد البنات على الوالد فقط ، بل الوالدة . فكانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرة ومخضت على رأسها فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة ورددت التراب عليها ، وأن ولدت غلاماً حبسته . (القرطبي ، جـ ١٠ ، ص ٢٣٣)

وقد حارب الاسلام هذه العادات والتقاليد الخمرمة التي تتنافى مع سلامة العاطفة والوجدان وأوجب على من يفعل ذلك أن يكفر بعتق رقبة . كما روى جاء قيس بن عاصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد وأدت ثمان بنات كن في الجاهلية ، قال : اعتقد عن كل واحدة رقبة ، قال : يا رسول الله إني صاحب أبل . قال : فأهد عن كل واحدة منههن بدنة إن شئت . (القرطبي ، جـ ١٠ ، ص ٢٣٣)

فالاسلام ليس جانباً خطيراً في علاج المفاضلة بين الأبناء، فالأب في حاجة إلى بر الأبناء جميعاً . كما روي عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال : إنما سماهم الله أبراً لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما ان لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق " (البخاري ، ص ١٧) . وكما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعينوا أولادكم على البر ، من شاء استخرج العقوق من ولده " (الاهيسي ، ١٤٠٦هـ ، جـ ٨ ، ص ١٤٩) .

فالعاطفة إذا أسديت وانصبت لأحد الأبناء دون الآخرين ، قد تسبب البغضاء وتدفع لإرتكاب الإثم ، وقد يصل هذا الخطأ إلى الأب وإتهامه بالخطأ والضلالة كما قال إخوة يوسف . كما قال تعالى :

إِذْ قَالُوا يُوسُفُ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ
أَيْتَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَ الَّذِي ضَلَّ لِمُبِينٍ

(سورة يوسف : آية ٨)

(٢٦٨)

فبسبب تفضيل الأب يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين ومحبته لهما أثير الغضب والحدق في وجدان إخوة يوسف فهموا بالانتقام بقتله أو طرده أرضاً لينالوا محبة والدهم وعطفته تنصب تجاههم . (القرطبي ، ج ٩ ، ص ١٣٠)

أَقْتُلُوا

يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ
بَعْدِهِ قَوْمًا صَلَحِينَ ﴿١﴾ قَالَ قَاتِلُ مَنْهُمْ لَا نَقْتُلُ أَيْوُسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَنَّةِ يَلْقَطُهُ بَعْضُ السَّيَارَةِ إِنْ كُنْتُمْ

فَعِلِّينَ

(سورة يوسف : آية ٩-١٠)

فالتفضيل بالعاطفة التي تقود إلى العطايا إذا كان مؤثراً في وجدان الآخرين ويؤدي إلى العقوق . فهذا لا يجوز ومنهي عنه . أما إذا كان التفضيل يسيراً غير مؤثر في وجدان الآخرين أو كان برضى باقي الأولاد رضاء حقيقة أو كان له سبب ومبرر كعجز أحد الأبناء أو لمرضه أو شدة ضعفه ففي هذه الحالة يكون للتفضيل ما يبرره أو مباحاً ، هذا في الهبة والعطايا التميز الواضح في حال حياة الواهب الصحيح ، أما إذا كان العطاء وأثر له كما يعطي لأحد أبنائه قرشين والآخر فلا شيء فيه لأنه ليس مما يؤثر في الوجدان ويولد الغيرة والحدق ، لأن يؤثر لصغر سنها أو لاختلاف الجنس ، فعلى الوالدين أن يتصرفوا التصرف الذي لا يؤثر . (الجوهري ، ٤٠٠ هـ ، ص ٤٤٠) .

(٢٦٩)

ج - العاطفة تجاه الإخوة :

إن إتجاه العاطفة تجاه الأخوة في الإسلام تمثلها العاطفة المتبادلة بين الأخوة الذين تربطهم بعض رابطة الدم الذي نتج من رابطة الوالدين بعضهما بعض رابطة الدم الذي نتج عن التزاوج ، ورابطة الخروج من رحم واحدة .

وتعتبر العاطفة تجاه الإخوة من العواطف القوية في الإسلام . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم عند ذكر هول يوم القيمة يوم تلاشى الروابط أمام الموقف العظيم . كما قال تعالى :

﴿إِنَّمَا يَنْهَا مَرْءُوهُ مِنْ أَخْيَهُ ﴾
﴿وَأَمْهِهِ وَأَبِيهِ ﴾^{٣٥} ﴿وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴾^{٣٦} لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ مِيزِ شَانٌ
يُعْنِيهِ

(سورة عبس : آية ٣٤ - ٣٧)

والعاطفة بين الإخوة في الإسلام تعمل على تعزيز الفرد ، والفرد بالرابطة الأخوية يشعر بالعزوة ، كما يشعر بالعهد ، كما قال تعالى :

قَالَ سَنَشِدُ عَصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنَافَلًا
يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا إِذَا يَئْتُنَا أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَبْعَكُمَا الْغَلَبُونَ

(سورة القصص : آية ٣٥)

(٤٧٠)

فاحخطاب هنا موجه إلى سيدنا موسى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى له عندما دعاه أن يجعل له وزيراً من أهله، فالله سبحانه وتعالى استجاب له وقال انه سوف يقوى أمره ويعزز جانبه بأخيه الذي سأله الله له أن يكوننبياً معه . كما قال في آية أخرى :

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤَالَكَ يَنْمُوسِي

(سورة طه : آية ٣٦)

وهذا قال بعض السلف : ليس أحد أعظم منه على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام فإنه شفع فيه حتى جعله اللهنبياً ورسولاً . (ابن كثير ، ط ، ٧ ،

١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ج ٣ ، ص ١٣)

كما قال تعالى :

إِنَّمَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ مَنُوعٌ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
يَأْذُوُا مُوسَى فَبِرَاهُهُمْ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَرِحْمَهَا

(سورة الأحزاب : آية ٦٩)

والأخ يساعد أخيه ويكون له عوناً ، كما هو واضح من سؤال سيدنا موسى عليه السلام في طلبه من الله سبحانه وتعالى أن يجعل أخيه هارون له عوناً يساعدته ويقوى نفسه ويقوى من عزيمته وإرادته ويقاسمها المشورة . قال ابن عباس : نبيء هارون ساعثتد وحين نبيء موسى عليهما السلام . روي عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر ، فنزلت بعض الأعراب فسمعت رجلاً يقول : أي أخ كان في الدنيا أنسع لأخيه ؟ قالوا : لا ندرى : قال أنا والله أدرى : قالت ، فقلت في نفسي في حلقه لا يستثنى ،

(٢٧١)

إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أفع لأخيه ، قال موسى حين سأله أخيه النبوة فقلت:
صدق والله " (ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٧٤) .

وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٢١ هَرُونَ
أَخِي ٢٠ أَشَدُّ دِيهِ أَزْرِي ٢١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي

(سورة طه ، آية ٢٩ - ٣٠)

وهذا ما يدل عليه قوله تعالى :

وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٢١ هَرُونَ
أَخِي ٢٠ أَشَدُّ دِيهِ أَزْرِي ٢١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي

(سورة طه : آية ٢٩ - ٣٢)

فالعاطفة بين الأخوة في الإسلام يتزجها اللفظ كما يتزجها السلوك ويعبر عنها
اللسان خصوصاً إذا كانت ترتبط بالألم فهي الرؤوم (الرؤوم) منبع الحنان والعطف
ويدل على ذلك ما ورد في قوله تعالى :

إِنَّمَا يَنْهَا مَنْ لَا تَأْخُذُ بِلِحَيَّتِهِ وَلَا يُرِيكُ
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ
قَوْلِي أ

(سورة طه : آية ٩٤)

هنا نجد ترقق سيدنا موسى عليه السلام لأخيه بذكر الأم كما قال " ينهم " فهذا
نداء بالرابطة القوية الأولى والعاطفة تجاه الوالدين التي تهدى إلى الإخوة .. فقد نادى
سيدنا هارون أخاه برابطة الأمة مع أنه شقيقه لأبيه ، لأن ذكر الأم أرق وأبلغ في

(٢٧٢)

الحنو والعطف . فهذا اعتذار نابع من وجدان سيدنا هارون عند موسى عليه السلام في سبب تأخره عنه . (ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٩١) .

نستدل من ذلك على الأسلوب الذي إتبنته التربية الإسلامية في تربية الوجدان، وذلك بتقوية العاطفة بين الأخوة وتعيقها ، والاعتذار وقت وقوع الخطأ باختيار الألفاظ التي تدل على الترابط والتعاطف ، والتي تكون رقيقة في حد ذاتها وكونها تصل إلى الوجدان لتعمق الصلة وتربط العلاقة بين الأخوة .

ومن الأمور التي تعمق عاطفة الأخوة المواساة وقت الشدة وإفاضة اللطف في المعاملة والإحسان . وهذا الأسلوب الرافي في تربية الوجدان يدل عليه سلوك سيدنا يوسف عليه السلام تجاه إخوته ، كما قال تعالى :

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّي أَنَا أَخْرُوكَ فَلَا تَبْتَسِّسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(سورة يوسف : آية ٦٩)

فعاطفة الأخوة تكون أقوى في كل الحالات فلا يمكن أن تعززها تغيرات مهما كانت الأمور المحيطة بها . ويدل على ذلك سلوك سيدنا يوسف عليه السلام لما قدم عليه إخوته وقدم معهم " بنiamين " فقد أدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم الصلة واللطاف والاحسان ، واحتلى أخيه بنiamين ، فأطلاعه على شأنه وما جرى له وعرفه أنه أخوه وقال له : " لا تبتس " ولا تأسف على ما صنعوا بي ، وأمره بكتمان ذلك عنهم، وإن لا يطلعهم على ما أطلاعه عليه من أنه أخوه .

ومهما كانت الظروف فإن علاقة الأخوة قد تدخل في الأمر وتحل المشكلات لاسيما إذا كان الأمر صادراً عن حكمة وتعاون . ومثال ذلك أخذ سيدنا موسى عليه السلام تواجهه وصول موسى إلى أيدي الحاشية الفرعونية برباطة جأش عزت على الأم

(٢٧٣)

فتقده بحكمتها وتنقد الأم عندما ت تعرض على هؤلاء أن تجد لهم مرضعة للصغير الذي وجدوه ، وما كانت المرضعة إلا أم الطفل الضائع موسى عليه السلام . (فارس ،

(د.ت) ، ص ١١٠) . كما قال تعالى : **إِذْتَمِشَيْتُمُّكُمْ**

**فَقُولُّ هَلْ أَدْلُكُوكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْتُكُمْ إِلَىٰ أُمَّكُمْ كَيْنَقَرَ
عَيْنَاهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقُلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكُمْ مِّنَ الْغَمِّ وَفَنَّاكُمْ فَوْنَانَا
فَلِيَشَّتَ سِينَيْنَ فِي أَهْلِ مَدِينَ شَمَّ حَثَّ عَلَىٰ قَدَرِيْمُوسَىٰ** (سورة طه : آية ٤٠)

فعاطفة أخت موسى عليه السلام هي التي دفعتها إلى التفكير في أخيها وكيف تنقذه من الجوع بأن دلتهم على أمه وهي منبع العاطفة والحنان .

ولأن الأخت في حاجة إلى العاطفة بسبب ضعفها في تكوينها العضوي فقد جعل الإسلام لها الحق في البر وفي المعاملة والاحسان بعد الوالدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن طارق المخاربي قال : قدمت المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول : يد المعطي العليا وابداً من تعول أمك وأباك ، واختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك " (الشوكاني ، ٣٤٠ هـ ، ج ٥ ، ص ٣٢٧) . (البيهقي ، ١٣٥٤ هـ ، ج ٨ ، ص ٣٤٥) و " عن كلبي بن منفعة عن جده أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أبى ، قال أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، ومولاك الذي يلي ذاك حق واجب ورحم موصولة " (الشوكاني ، ج ٥ ، ص ٣٢٧) (ابن حببل ، ج ٢ ، ص ٦٩٨) .

والرسول صلى الله عليه وسلم يضرب المثل العظيم لعاطفة الأخ تجاه أخته وهي الشيمات بنت الحارث . وأصل إسمها حداقة وهي أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة كانت تحضن النبي صلى الله عليه وسلم وترقصه وتقول :

(٢٧٤)

يا ربنا أبلى أخي محمدأً حتى أراه يافعاً وأمرداً
ثم أراه سيداً مسوداً واكبته اعاديه معاً والحسدا
واعطه عزاً يدوم أبداً

فكان منه صلى الله عليه وسلم أن رد تلك العاطفة البالية بعاطفة أبل منها وأكرم. حيث أن الشيماء وقعت في إحدى الواقعات بين المسلمين والشركين سنة ٨ هـ. بيد المسلمين فقالت لهم : تعلمون والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إني أختك . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عضة عضتيها في ظهري وأنا متورتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه ثم قال : هنا فأجلسها عليه وخيরها وقال : إن أحببت فعندي محببة مكرمة وإن أحببت امتعك وترجعي إلى قومك، قالت : بل قتعني وتردني إلى قومي . فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها إلى قومها" (كحالة، ٤٠٤ هـ، ط٥، ص٣١٦-٣١٧) (ابن هشام، د.ت)، ج١، ص١٧٠ .

ومن أجل دوام واستمرارية العاطفة تجاه الإخوة وخاصة الأخت الضعيفة فقد جعل الإسلام ثواباً كبيراً وفضلاً عظيماً من الله سبحانه وتعالى لمن يحسن إلى أخواته أن يكون ثوابه دخول الجنة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكون لأحدكم ثلات بنات أو ثلات أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة " (الترمذى، ج٤، ص٣١٨) (البخارى ، ص١٥) . و" عن ابن عباس عن النبي صلى

(٢٧٥)

الله عليه وسلم قال من كانت له اختان فاحسن إليهما صحبتهما دخل بهما الجنة " (الهيثمي - العمرain وابن حجر العسقلاني ، ١٤٠٦هـ، ج ٨، ص ١٦٠) .

أيضاً من ثواب السلوك العاطفي تجاه الأخوات صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة كما قال بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أنس بن مالك قال : قال رسول ما من أمتي أحد يكون له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات يعولهن إلا كان معها في الجنة هكذا أو جمع أصبعية السبابة والوسطى " (الهيثمي - العراقي والعسقلاني ، ١٤٠٦هـ، ج ٨، ص ١٦٠) .

وجعل الاسلام العاطفة تجاه الأخوة مستمرة في الحياة وبعد الوفاة وذلك بأن أوصى الأبناء بصلة إخوان الوالدين بالاعطف عليهم وبرهم مادياً ومعنوياً ، وبهذا تكون رابطة الأخوة مستمرة من خلال صلة الأبناء بأخوة الوالدين . كما أوصى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن " ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يصل أباه في قبره ، فليصل إخوان أبيه من بعده " (الألباني، ج ٥، ص ٢٢٧-٢٢٨) (البخاري، ص ٩) .

فالعاطفة تجاه الأخوة في نظر الاسلام عميقه وراسخة لذلك مثل العلاقات التي ينبغي أن تقوم بين الأفراد في الدنيا على أساس من الإيمان بعلاقات الأخوة كما قال تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوا مِنَ الْأَرْضِ فَاصْلِحُوهَا لِنَحْنُ كُنَّا مَوَاتِقُ الْأَنْجَلَى
لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ

(سورة الحجرات : آية ١٠)

(٢٧٦)

بل وجعل العلاقة بين المؤمنين في الآخرة في جنة الخلد علاقة أخوة ليربطهم بعضهم بعض رباط العطف كما قال تعالى :

وَنَرَّعَنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلَى إِخْرَانًا عَلَى سُرُورٍ مُنْقَبَلِينَ

(سورة الحجر : آية ٤٧)

فكم هو الحال الذي ينبغي أن يكون عليه وجدان الأفراد سليماً وحالياً من الأمراض الوجدانية ، فإن الله سبحانه وتعالى نزع الحقد والحسد وغيره من الأمراض الوجدانية من وجدان المتقين في الجنة ليعشوا أخوة في أمر وسلام .

د - العاطفة تجاه القرابة :

إن التجاه العاطفة تجاه القرابة تمثلها العاطفة تجاه الوالدين لأنها تمثل إستمرارية البر بالوالدين ، وقد وردت النصوص في القرآن الكريم تلزم الفرد بهذه العاطفة كما تلزمه بعاطفة يوجهها لوالديه . كما قال تعالى :

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شَرِكَ لَهُ شَيْئًا وَإِلَوَالَّدَيْنِ
إِحْسَنَنَا وَإِذِي الْقُرْبَى وَإِلَيْتَنَا وَالْمَسَكِينِ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
وَابْنِ السَّكِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَلِفًا فَخُورًا

(سورة النساء : آية ٣٦)

وكما قال تعالى :

يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجًا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ

(سورة النساء : آية ١)

يَهُ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

وقوله تعالى :

الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِ أَمْهَاتِهِمْ
وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرُونَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْهِ أَوْلَيَاكُمْ
مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا

(سورة الأحزاب : آية ٦)

والعلاقة تجاه الأقارب حفظها الإسلام وعمل على استمراريتها وذلك بوضع حقوق وآداب يلتزم بها الفرد تجاه أقاربه .

فمن هذه الآداب أن جعل الإسلام أن الحالة تعامل معاملة الأم ، وأن يعامل العم معاملة الأب في كل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية . فقد روي " عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الحالة منزلة الأم " (الترمذى ، ١٣٥٧هـ ، ج ٤ ، ص ٣١٣) وكما روي " عن البراء بن عازب أن ابنه حسنة اختص فيها علي وجعفر وزيد ، قال علي أنا أحق بها هي ابنة عمي ، وقال جعفر بنت عمسي وحالتها تحتي ، وقال زيد ابنة أخي فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالتها ، وقال الحالة منزلة الأم " . (الشوكاني ، ١٤٠٣هـ ، ج ٥ ، ص ٣٢٨) (البيهقي ، ١٤٠٦هـ ، ١٩١م ، ج ٨ ، ص ٦) .

وكما للحالة منزلة ومكانة ، كذلك جعل الإسلام للعم والعممة حقاً كحق الأب ، فقد روي " عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عم الرجل صنو أبيه " (الألبانى ، ج ٤ ، ص ٥٥) .

وقد وضع الإسلام ترتيباً للبر وهو السبيل إلى تكوين العواطف في الوجدان ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أبي هريرة قال : قالوا :

(٢٧٨)

يا رسول الله من أبتر ؟ قال : أملك . قال ثم من ؟ قال : أباك . قال : ثم من ؟ قال الأدنى فالأدنى ؟ (ابن ماجة ، ط٣ ، ج٢ ، ص٤٠٨ ، ١٤٠٨هـ) . و" عن بهذ بن حكيم عن أبيه عن جده قال : يا رسول الله من أبتر ؟ قال : أملك ، قال : قلت ثم من ؟ قال أملك ، قال : قلت ثم من ؟ قال : أملك ، قلت ثم من ؟ قال : أباك ، ثم الأقرب فالأقرب " (الشوكتاني ، ١٤٠٣هـ ، ج٥ ، ص٣٢٧) (البيهقي ، ج٤ ، ص١٧٩) .

والسنة النبوية تقرر العواطف المتوجهة إلى الأقارب وترغب في تمعيدها وترسيخها في الوجدان . وذلك بالحفظ عليها عن طريق تعلم النسب الذي يعرفه تكون صلة الرحم . كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بتعلم الأنساب لصلة الرحم كما قال فيما روي " عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال ، منسأة في الآخر " (التزمدي ، ج٤ ، ص٣٥١) .

وقد أمر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم النسب من أجل صلة الرحم ، و الخليفة رسول الله يجب اتباع سنتهم لاسيما وقد أمر الرسول بذلك وان أمرهم موافق للسنة مطابقاً لها ، فقد روي عن الزهرى قال : حدثني محمد بن جبیر ابن مطعم أخبره أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر : تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم والله انه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاء كه" (البخاري ، ص١٤) .

فينبغي على الفرد المسلم تقصي مفرغة النسب لصلة الرحم وليؤدي الحقوق والواجبات المترتبة عليه من بر واحسان ورحمة وتوقير ، وعيادة المريض ومواساة

(٢٧٩)

المنكوب، ويعزى المصاب، وان يواصلهم وإن قاطعوه ، وان يلين لهم وان قسووا وجاروا عليه . (الخزائري ، ١٣٩٦هـ، ص ٩٦) .

فالعاطفة إذا وجهت تجاه القرابة فإنها سبيل إلى محبة الله ولقائه الأعظم بالبشر
كما قال تعالى :

إِنَّمَا تَنْهَاةُ الْفُرْقَانِ
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرُ الْلَّذِينَ يُرْبِدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(سورة الروم: آية ٣٨)

كذلك فإن ثواب صلة الرحم يكون ظاهراً في الدنيا فإذا وجهت العاطفة إلى القرابة فإنها سبيل لزيادة في المال ، والزيادة بحسن الذكر بعد الوفاة ، وهي تعمق العلاقات بين الأفراد تبلور وتزدهر العلاقات الإنسانية . فقد روى " عن عمرو بن سهل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلة القرابة مثراه في المال ، محبة في الأهل منسأة في الأجل " (الألباني ، ج ٣، ص ٢٤٢) (البخاري، ص ١٢) .

وصلة القرابة والرحم كما تكون بالجانب المعنوي كذلك تكون بالجانب المادي كالمهدايا والعطایا فهي أيضاً لها عظيم الأجر ، كما أشار إلى ذلك الاسلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت : أشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي ؟ قال : وفعلت؟ قالت : نعم . قال : أما إنك لو اعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك " (النووي، ٤١٤٠هـ، ط ٢، ص ١٦٢) .

وَكَمَا أَنْ وَصَلَ الْأَقْرَبَ يَكُونُ بِالصَّدَقَةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ زِيَادَةً فِي الْبَرِّ إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْأَقْرَبَاءِ ذَاتِ الْحَيْثِ وَالثَّوَابِ ، فَتَكُونُ صَدَقَةً وَتَكُونُ صَلَةً لِلْقَرْبَى ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رُوِيَّ عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصَّدَقَةُ عَلَى الْمُسْكِينِ صَدَقَةٌ وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحْمَةِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ " (الألباني ، جـ ٣ ، ص ٢٦٣) (ابن حنبل، جـ ٥، ص ٤٨٣) .

وَمُثْلِمًا جَعَلَ الْإِسْلَامُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ فِي الْبَرِّ بِالْقَرَابَةِ وَصَلَتْهُمْ فِيهِمْ الْأَجْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَإِنَّهُ كَذَلِكَ تَكُونُ الْعَقُوبَةُ مَضَاعِفَةً ، فَتَكُونُ عَاجِلَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ يَسْلُكُ السُّلُوكَ الْمَنْاقِضَ لِلصَّلَةِ وَهُوَ الْقَطِيعَةُ . كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رُوِيَّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحَرَى أَنْ يَعْجَلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعَقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحْمَةِ وَالْبَغْيِ " (الْبَخَارِيُّ ، ص ١٣) .

وَ " عَنْ أَبِي شَهَابٍ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَبَيرٍ بْنُ مَطْعَمٍ أَنَّ جَبَيرَ بْنَ مَطْعَمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ الرَّحْمَةِ " (الْبَخَارِيُّ ، ص ١٣) .

فَمَنْ عَقُوبَةُ قَطْعِ الرَّحْمَةِ أَنَّ الَّذِي يَقْطَعُ الرَّحْمَةَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَفِي الدُّنْيَا تَرْفَعُ الرَّحْمَةُ عَنْ قَوْمٍ فَيَهُمْ قَاطِعُ الرَّحْمَةِ ، كَمَا رُوِيَّ عَنْ سَلْمَانَ أَبِي آدَمَ قَالَ : سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى يَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزَلُ عَلَى قَوْمٍ فَيَهُمْ قَاطِعُ الرَّحْمَةِ " (الْبَخَارِيُّ - الْأَدْبُ الْمُفَرْدُ ، ص ١٢) . وَكَمَا رُوِيَّ عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَ الرَّحْمَةُ فَقَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ ، أَمَا

(٢٨١)

ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بل فذاك لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤا أن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصحهم وأعمى أبصارهم أفلایتدبرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها﴾ (مسلم بشرح النووي، ج ٤، ١١١هـ، ج ٦، ص ١١٢).

وعقوبة من يقطع صلة الرحم أن الله يقطع صلته به كما روي "عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله" (مسلم بشرح النووي، ج ٦، ١١٣). وكما روي "عن محمد بن كعب أنه سمع أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب إني ظلمت يارب إني قطعت يارب، إني فيجيبيها ألا ترضين أن أقطع من قطعك وأصل من وصلك" (البخاري ، ص ١٣) .

أيضاً من عقوبة قاطع الرحم أن الله تبارك وتعالى لا يقبل منه عملاً عمله في الأسبوع حيث أن الأعمال تعرض على الله سبحانه وتعالى كل خميس ليلة الجمعة فيقبلها من العباد إلا قاطع الرحم . كما روي "عن أيوب سليمان مولى عثمان بن عفان قال: جاءنا أبو هريرة عشية الخميس ليلة الجمعة . فقال: أخرج على كل قاطع رحم لما قام من عندنا فلم يقم أحد حتى قال ثلاثة فأتى له عمه قد صرمتها منذ سنتين فدخل عليها فقالت له: يا ابن أخي ما جاء بك؟ قال: سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا قالت أرجع إليه فسله لم قال ذاك؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن أعمالبني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم" (البخاري، ص ١٢) .

(٢٨٢)

هـ - العاطفة تجاه المثل الأعلى :

يتتصدر حب الله سبحانه وتعالى الجانب الأول في وجدان الفرد في إتجاهات العواطف عامة ، وفي العاطفة تجاه المثل الأعلى ، فحب الله سبحانه وتعالى ذروة الحب لدى الفرد المسلم الكامل الإيمان ، حيث يتمثل في الشوق الشديد إليه تعالى وذلك عن طريق التقرب إليه ، وهذا التقرب لا ينصب على التسبيحات والدعوات وإقامة الفروض الخمس للعبادات ، ولكن يتعدى ذلك إلى كل عمل يقوم به الإنسان ، وفي كل سلوك يصدر عنه نتيجة لاتباع الأصول - كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم - كما قال تعالى :

قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَأَتَيْتُكُمْ يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(سورة آل عمران : آية ٣١)

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَفَرِينَ

(سورة آل عمران : آية ٣٢)

ثم يأتي الجانب الثاني للعاطفة تجاه المثل الأعلى المتمثل في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حب الله تعالى في ذروة السمو والنقاء والروحانية ، فهذه هي قمة التربية الوجدانية . فالمؤمن الصادق الإيمان يتخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم المثل

(٢٨٣)

الأعلى الذي يقتدي به أخلاقه ووجوداته ويجدون حذوه في أعماقه وسلوكياته . وقد بين
الله سبحانه وتعالى هذا الأمر في قوله تعالى :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَذِكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا

(سورة الأحزاب : آية ٤١)

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان يتوقف على وجودها وجود الإيمان ، فلا يدخل المسلم في اعداد المؤمنين الناجين حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه ، ومن الناس أجمعين .
(عثمان - الحوالى ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٤٦) . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيده عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنك أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم . والذى نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال فإنه الآن لأنك أحب إلي من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن ياعمر " (البخاري ، ج ٨ ، ص ١٦١) . فتلك هي قمة السمو في عاطفة الحب حين يستعلي المسلم على رغبات النفس وشهواتها مؤثراً حب رسول الله على كل حب يصدر عن رغبات النفس من أهل ومال ، فحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مقدم عليها بل وتقديم هذه العاطفة واجب كما قال تعالى :

إِنْ

كَانَ أَبَاكُمْ وَأَبْناؤكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَقْوَافُ قَرْفَتُمُوهَا وَتَجَرَّهَا تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَكِنَ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ
فِي سَيِّلِهِ فَتَرْبَصُوا حَتَّى يَأْتِيَنَّ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ
(سورة التوبه : آية ٢٤)

الْقَوْمُ الْفَسِيقُونَ

(٢٨٤)

يقول القرطبي في تفسير الآية هي دليل على وجوب حب الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وإن ذلك مقدم على كل محبوب . (القرطبي، ١٩٦٥م، ج٨، ص٩٥) . والمراد أن الله لا يوصل إليه إلا عن طريق رسوله باتباعه وطاعته ، فمن الصفات التي وصف الله بها سبحانه وتعالى عباده الخبيثين له متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته واتباعه في أمره ونهيه .

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تقتضي درجتين تتمثل وترجم من الجانب المعنوي إلى الجانب الحسي السلوكي وذلك أولاً بقبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وتلقيه بالمحبة والرضا والإجلال والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طريقة بالكلية ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به من الواجبات والحقوق والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالقه بحسب القدرة ، فهذا القدر لابد منه ولا يتم الإيمان بدونه . والدرجة الثانية فضل : وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الاقتداء بسننته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة والراقيه والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره وكثرة الصلاة والسلام عليه لما سكن في الوجدان من محبته وتعظيمه وتوقيره ومحبة استماع كلامه وإيشاره على كلام غيره من المخلوقين ، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في كل سلوكياته في كل ما أثر عنه عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير .
(الجار الله ، ١٤٠٩هـ، ص٢٠) . لأن من علامات حب النبي صلى الله عليه وسلم والتي تحدث عنها علماء الأمة ومنهم القاضي عياض قوله : " ومن محبته نصرة سنته ، والذب عن شريعته ، وتنزي حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه " (مسلم بشرح النووي، ج٢، ص١٦) . ولأنه صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء به والتمسك بسننته

(٢٨٥)

وسنة محبيه صحابته ، رضي الله عنهم . كما قال فيما روى " عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعدة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : إن هذه موعدة موعد فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبد جبشي ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلاله فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجد "

(الترمذى، ١٣٥٧هـ، ج٥، ص٤٤) .

فالعاطفة تجاه المثل الأعلى تتطلب من الفرد أن يحب من يحبهم الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم " عن يزيد بن حيان قال : إنطلقت أنا وحسين بن سيرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال حسين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثكم فأقبلوا وما لا فلا تكفونيه ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً جاءه يدعى حنا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد . ألا أيها الناس فإني أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أو هما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذلوا بكتاب الله وأستمسكوا به فتح على كتاب الله ورغبة فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي . فقال له حسين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساوة من أهل بيته . قال نساوة من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال : ومن هم ؟ قال : آل علي

(٢٨٦)

وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . قال : كل هؤلاء حرم الصدقة " (مسلم بشرح النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٥ ، ص ١٧٩-١٨٠) . قوله صلى الله عليه وسلم " أنا تارك فيكم ثقلين فذكر كتاب الله وأهل بيته " قال العلماء سعياً ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بهما . (شرح النووي ، ج ١٥ ، ص ١٨٠) . فأهل البيت هم أولى بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، والمسلم أولى باحترامهم وتقديرهم ومحبتهم وهم الذين ظهر لهم الله من أوضار الذنوب والآثام التي يتلذذ بها عرض الإنسان ، فظهورهم الله تطهيرًا بلغاً . (الصابوني ، ط ٤ ، ج ١٤٢٠هـ ، ص ٥٢٤) . وهم الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم ولزوم منهجهم لأنهم المثل الأعلى الذي ينبغي أن يقتدي به المسلم لأنه مأمور بذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي عن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول : يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي " (الترمذى ، ج ٥ ، ص ٦٦٢) . وكما روي عن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى . أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض . وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقوا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تختلفون فيهما " (الترمذى ، ج ٥ ، ص ٦٣٣) .

إن تمسك المسلم بكتاب الله وعترة رسول الله أهل بيته ، يكون ابتساداً بالجانب الوجданى العاطفى المتمثل في الحب كما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحبوا الله

(٢٨٧)

لما يغدوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله وأحبو أهل بيتي لحي " (الترمذى ، ج ٥ ، ص ٦٤) .

وحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلب من الفرد أن يترجم تلك العاطفة نحوهم إلى سلوك أن يقتدي بهم في صفاتهم وسلوكياتهم الطاهرة التي أسبغها الله عليهم فطهرهم تطهيراً بليغاً . كما قال تعالى :

وَقَرَنَ
فِي بُوْتِكَنَّ وَلَا تَبْرَحَنَ تَبْرَحَ الْجَهَلِيَّةَ الْأُولَى وَأَقْمَنَ
الْأَصْلَوَةَ وَأَتَيْنَ الرَّكَوَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ
تَطْهِيرًا

(سورة الأحزاب : آية ٣٣)

كما أن من صفات آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي تجعل محبتهم نابعة من وجدان الفرد كونهم يأخذون بمنهج الاسلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً ومنهجاً وتطبيقاً ، فهذه السيدة عائشة أم المؤمنين وهي أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي عن قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص أنه قال : يا رسول الله من أحب الناس إليك ؟ قال : عائشة . قال : من الرجال ؟ قال : أبوها " (الترمذى، ج ٥، ص ٧٠٦) . وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها يتطلب من الفرد المسلم أن يحبها لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولصفاتها الفقهية ليقتدي بها في فقهها المشهورة به بين النساء . فقد روي عن أبي موسى قال : ما أكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً " (الترمذى، ج ٥، ص ٧٠٥) . فينبغي للفرد المسلم

(٢٨٨)

أن يحب أهل بيته رسول الله وآل رسول الله ليقتدي بهم في الصلاح والتقوى ويقتصر مناقبهم ليحذو حذوهم . فقد روي عن جمیع بن عمر التمیمی قال : دخلت على عمتي عائشة فسئلته أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلی الله علیه وسلم ؟ قالت : فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ قالت زوجها ، إن كان ما علمت صواماً قواماً

(الترمذی ، ج ٥ ، ص ٧٠) .

والعاطفة تجاه المثل الأعلى الرسول صلی الله علیه وسلم تتطلب من الفرد أن يحب صحابة رسول الله . رضي الله عنهم وذلك لحب رسول الله لهم ، وقد أوصى رسول الله بحبهم . كما قال : فيما روى عن عبد الله ابن مغفل قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : الله الله في أصحابي ، الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهם غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فيبغضني أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه " (الترمذی ، ج ٥ ، ص ٦٩٦) . وكما قال فيما روى عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : إن الله أمرني بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم قيل : يا رسول سبهم لنا ، قال : على منهم ، يقول ذلك ثلاثة ، وأبوذر والمقداد ، وسلمان أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم " (الترمذی ، ج ٥ ، ص ٦٣٦) . وعن أنس أن رسول الله صلی الله علیه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانوا ينظران إليه وينظر إليهما ويتسما إليه ويتسم إليهما " (الترمذی ، ج ٥ ، ص ٦١٢) . وعن عبد الله بن شقيق قال : قلت لعائشة : أي أصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم كان أحب إلى رسول الله ؟ قلت : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قالت : عمر ،

(٢٨٩)

قلت ثم من ؟ قالت : ثم أبو عبيدة بن الجراح ، قلت : ثم من ؟ قال : فسكت " (الترمذى، ج ٥، ص ٦٠٧) .

فالفرد المسلم الكامل اليمان يؤمن بوجوب محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضليتهم على من سواهم من المسلمين ، وأنهم فيما بينهم متفاوتون في الفضل وعلو الدرجة بحسب أسبقيتهم في الإسلام . كما قال تعالى في وصفهم :

وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
أَتَبْعَوْهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

(سورة التوبة : آية ١٠٠)

وقال صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار : عن البراء بن عازب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم أو قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم في الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم فأحبه الله ، ومن أبغضهم فأبغضه الله . فقلت له أنت سمعته من البراء ؟ فقال : إبأي حدث " (الترمذى، ج ٥، ص ٧١٢) .

ومحبة الله لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتضي الاقتداء بهم لترجم
الجانب العاطفي إلى سلوك كما أمر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روى
ـ عنه حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتقدوا بالذين من بعدي أبي
ـ بكر ، وعمر" (الترمذى، ج ٥، ص ٦٠٩) . و " عن حذيفة رضي الله عنه قال : كنا
ـ جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني لا أدرى ما بقائي فيكم ، فاقتدوا
ـ بالذين من بعدي : وأشار إلى أبو بكر وعمر " (الترمذى، ج ٥، ص ٦١٠) .

ومحبة صحابة رسول الله تختتم على الفرد المؤمن أن يكف عن ذكر مساوئهم وأن يسكت عن الخلاف الذي شجر بينهم ، ويعرف أنهم بشر يصيرون ويخطئون ، فقد يخطيء أحدهم في الحق في مسألة ما من المسائل لا عن قصد وعمد - حاشاهم - ولكن عن غفلة أو سهو أو نسيان ، أو عدم إحاطة ، فلهذا على المسلم ألا يتغضب لرأي أحدهم دون الآخر ، بل له أن يأخذ عن أي واحد منهم ، ولا يرد قوله إلا لقول الله تعالى أو قول الرسول صلى الله عليه وسلم" (الجزائري، ط٨، ١٣٩٨هـ، ص٦٧).

وكما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطفته تجاه صحابته وأمر الفرد المسلم بتوجيه عاطفته تجاههم لأن حب الرسول يستدعي حبهم وتكريرهم وتعظيمهم واجلال قدرهم ، كذلك حذر من سبهم كما قال فيما روي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفة" (الترمذى، ج٥، ص٦٩٥-٦٩٦). كما أمرنا عليه الصلاة والسلام باتباع أسلوبه التربوي للتنمية بالردد على من يتعرض لصحابته صلى الله عليه وسلم بالسب ، وذلك بقول : لعنه الله على شركم" للرد على من سبهم . كما روي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم" (الترمذى، ج٥، ص٦٩٧). كما أمر بالتجاوز عن المسيء منهم . كما قال فيما روي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأنصار كرشي وعيبي ، وإن الناس سيكترون ويفنون ، فاقبلوا من محسنيهم وتجاوزوا عن سيئهم" (الترمذى، ج٥، ص٧١٥).

(٢٩١)

و - العاطفة تجاه المجتمع :

تسع دائرة العاطف المتوجهة إلى الوالدين والأقرباء الجيران والأصدقاء إلى نطاق أوسع وأعم من الجماعة التي يعيش معها الفرد تحت سقف واحد أو أرض واحدة إلى أن تشمل المجتمع الذي يحيا معه في وطن واحد . وبهذا الجانب الوجданى تقوى روح الانتماء الاجتماعى لدى الفرد فيشعر بمسؤولياته تجاه مجتمعه بأسره ، ويحرص على أن يكون عنصراً فعالاً فيه يحيى تمسكه ويحافظ على كيانه ، ويعمل على تطويره ورفعه والنهوض به . (الزناتي ، ١٩٨٤ م، ص ٦٠٠) .

ويأتي ارتباط الفرد بالأفراد الآخرين المحيطين به بعد ارتباطه بأمه وبأبيه وإخوته وأقاربه ثم الأصدقاء أبناء الجيران ثم الناس جماء .

ولأن الفرد الذي ينشأ الشأة السوية يشعر عادة بمحبة الأفراد الذين يعيشون معهم وتحبب افراد المجتمع ، فهو يألفهم ويتودّد إليهم ويسعد معاملتهم ويعطف على من يحتاج منهم إلى عطف ، ويقوم بيد العون إلى من يحتاج منهم إلى عون ومساعدة . ففي هذا السلوك يشعر الفرد بانتمائه إلى المجتمع ، وبأنه عضو نافع ومفيد في مجتمعه ، وأنه حقق ما جعل له وهو الخلافة في الأرض ، وبهذا يمتليء وجدهانه بالرضا عن نفسه والغبطة والسعادة .

ومن هنا تتضح حكمة اهتمام الاسلام بالتربية الوجدانية وبالخصوص في مجال العاطف ، حيث يدعى الناس إلى التآلف والتواد والتحاب والتعاون ، فارتباط الانسان بالآخرين باللودة والمحبة يقوى الانتماء الى الجماعة ويخلقه من الشعور بالقلق الذي ينتج عن الوحدة والعزلة عن الجماعة . لذا اهتم الاسلام بتوجيه الأفراد الى الأخوة والمحبة في الله ، والتعاون والترابط . (نجاتي ، ١٤١٣ هـ ، ط ٢ ، ص ٨٤-٨٥) .

(٢٩٢)

وقد أرشد الاسلام الفرد إلى آداب السلوك الذي يتم به تبادل عواطف المحبة بينهم . فمن ارشادات الاسلام أن حشthem على البر والتقوى ويكون بالتعاون على الخير، كما قال تعالى :

يَسْأَلُهَا الَّذِينَ إِمَانُوا لَا يُحِلُّوا شَعْرَرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَى وَلَا أَقْلَبَ وَلَا إِمَانَ الْبَيْتِ
الْحَرَامِ يَنْغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَّتُمْ فَاصْطَادُوهُ
وَلَا يَجِرُ مِنْكُمْ شَيْئًا فَوَمِنْ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالثَّقَوْيِ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعَدْوَنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

(سورة المائدة : آية ٢)

وجعل الإسلام ولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعضهم متبادلة ليتم التعاطف بينهم

كما قال تعالى :

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقْسِمُونَ الْصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَيُطْعِمُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيِّدُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(سورة التوبه : آية ٧١)

وجعل الإسلام للترابط مقياساً كالجسد وهو دليل الإيمان القوي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما روي " عن العuman بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمنين في توادهم وترابتهم وتعاطفهم . مثل الجسد إذا

(٢٩٣)

اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالشهر والحمى" (الألباني، جـ٥، ص٢٠١) .
(مسلم بشرح النووي، جـ٦، ص١٤٠) .

ومن إرشادات الإسلام للفرد إلى آداب السلوك الذي يتم به التعاطف في المجتمع
عيادة المريض والزيارة في الله لا من أجل مصلحة مادية ، بل خالصة الله ، كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عاد مريضاً أو زار أخاه في الله ناداه مناداً إن
طبت وطاب مشاك وتبؤت من الجنة منزلة" (ناصف، جـ٥، ص٨٦) (ابن ماجة،
ط٣، ١٤٠٨هـ، جـ١، ص٤٤) .

وكما أن زيارة المريض وعيادته سبيل إلى دخول الجنة ، فإن زيارة المؤمن التي
يكون الدافع لها هو الحبة في الله ، يكون ثوابها محبة الله سبحانه وتعالى للعبد . كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : زار رجل أخاه في قرية أخرى فأرصد الله على
مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال اين يريد ؟ قال : أريد أخاه لي في هذه القرية . قال:
هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أني أحببته في الله عز وجل . قال : فإني
رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه " (ناصف، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م،
جـ٥، ص٨٥-٨٦) (الألباني، ط٣، ١٤٠٢هـ، جـ٣، ص١٩١) .

كذلك من الآداب التي حث عليها الإسلام لتعمق العاطفة تجاه المجتمع إشاعة
السلام وتبادل التصافح وتبادل الهدايا كما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادوا تحابوا " (الألباني، جـ٣، ص٥٦)
(البيهقي، جـ٦، ١٦٩) .

(٢٩٤)

ومن المسائل التي تجعل العاطفة سائدة بين أفراد المجتمع أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه من خير ونفع ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن أنس رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (الألباني، ج٦، ص٢٠٨) (ابن ماجة، ج٢، ص١٨).

فإلا إسلام حث على أن تكون الأخوة بين الناس صادقة وخالصة من عوامل الأثرية والشح وذلك يتحقق بأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ويخلص وجданه من حب

الذات والأناية ، كما قال تعالى : *وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَلَا يُمْدَنُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْذُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُهُمْ رُغْبَةً عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ رِبَّهُمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*

(سورة الحشر : آية ٩)

فال التربية الوجدانية في الإسلام جعلت من السمات الأساسية للشخصية السوية أن تتصف بالتعاطف والتآلف مع الجماعة في المجتمع وذلك ليعم الخير . وتحقق الأمة الخيرية التي أخرجها الله من أجلها حين قال لها سبحانه وتعالى :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَوْمَوْنَ بِاللَّهِ وَلَوْلَاءَ أَمَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِيقُونَ

(سورة آل عمران : آية ١١٠)

ز - عاطفة إنسانية مطلقة :

وجه الإسلام العاطفة توجيهها عاماً مطلقاً لأنه دين خير ومحبة ، ودين عاطفة للملحقات كلها الإنسان وغيره من الملحقات .

فدعوة الإسلام إلى الحب والخير ليست محدودة بحدود ، وهي ليست موجهة إلى حب الإنسان فقط بل إنها دعوة شاملة لكل الكون وما فيه من مخلوقات الله تعالى .

والرسول صلى الله عليه وسلم حينما يدعوا المسلمين إلى حب الإنسان وجميع الملحقات الأخرى إنما يدعوهم بذلك إلى أن يكونوا أناساً كاملين مثاليين يعلاً وجدانهم الحب والخير، وفيض فيغمر ما في الكون كله من مخلوقات . فالإنسان الذي يتشل لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يتحقق ذلك في ذاته ، يصبح في ذروة الصحة النفسية والوجدانية ، ويكون في قمة السيادة الإنسانية (نجاتي، ١٤١٣هـ، ص ٩٢-٩٣) .

ول التربية الفرد تربية وجدانية تعمق العاطفة في وجدانه ، فقد جعل الإسلام الأجر والثواب "الصدقة" لمن يفعل الخير للإنسانية عامة التي تشمل أيضاً الحيوانات والطيور كما قال عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه صدقه ، وما أكل السبع فهو له صدقة ، وما أكلت الطيور فهو له صدقة ، ولا يرزوه أحد كان له صدقة" (الألباني، ج ٥، ص ١٨٠) (مسلم بشرح النووي، ج ١٠، ص ٢١٣) .

ولعاطفة المطلقة إذا وجهت للخير فإنها تكون بمثابة الكفاراة تغفر الذنوب وتزيد الأجر ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أبي هريرة بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها ، فشرب منها ، ثم خرج

(٢٩٦)

فاذ هو بكلب يلهمث ، يأكل الشرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي ، فنزل البئر ، فملا خفه ماء ، ثم أمسك بغية ، ثم رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله ، فغفر له ، في كل ذات كبد رطبة أجر " (الألباني، ج ٣، ص ٤) . وكما روي " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينما كلب يطيف بركيه ، كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغيي من بغايا بني اسرائيل ، فنزلت سوقها فاستنقضت له به فغفر لها " (الألباني، ج ٣، ص ٤) (مسلم بشرح النووي، ج ١٤، ص ١٤١) .

ولإستدامة العاطفة في وجدان الفرد وفي سلوكه فقد وضعها الإسلام آداب وسلوكيات يسلكها الفرد تجاه الحيوان ، فالعاطفة تكبر وتتضخم بنمو الفرد وتقدمه في العمر . فمن الآداب التي وضعها الإسلام التي توجه سلوكه تجاه الحيوان الاحتزاز عن تعذيب الحيوان عند قتلها أو عند ذبحه . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن شداد بن أوس قال ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله كتب الإحسان على شيء فإذا قتلتם فأحسنوا القتيلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليرح أحدكم شفتره فليرح ذبيحته " (مسلم بشرح النووي، ج ١٣، ص ١٠٧-١٠٦) .

ومن الآداب التي وضعها الإسلام لتنمية العاطفة المطلقة التحرز من التخاذ شيء فيه روح غرضاً كاللعب بالحيوان مثل مصارعة الشيران أو مصارعة الديك أو أن تصبر البهائم، أو لعب الأطفال بالطير بأن يرمي بالقوس من أجل اللهو ، واللعب لكسب الجولة. فالإسلام نهى عن ذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي "عن زيد بن أنس بن مالك قال : دخلت مع جدي أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها قال : فقال أنس نهى رسول الله صلى الله عليه

(٢٩٧)

وسلم أن تصر البرهائم " (مسلم، ج ١٣، ص ١٠٧) و " عن سعيد بن جير قال مر ابن عمر بن فخر قد نصبوا دجاجة يترامونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها ، فقال ابن عمر من فعل هذا ؟ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من فعل هذا " (مسلم، ج ١٣، ص ١٠٨) . وكما روی " عن سعيد بن جير قال : مر ابن عمر بفتیان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا لعن الله من فعل هذا . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً " (مسلم، ج ١٣، ص ١٠٩-١٠٨) .

والاسلام نهى عن القسوة على مخلوقاته ، والقسوة من العواطف السلبية التي نهى عنها الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روی " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عذبت امرأة في هرة، حبستها حتى ماتت جوعاً ، فدخلت فيها النار، قال الله : لا أنت اطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ، ولا انت ارسلتها فأكلت من خشاش الأرض " (الألباني، ج ٤، ص ٣٠) (البيهقي، ج ٨، ص ١٣) . و " عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عذبت امرأة في هر ربطته ، حتى مات ولم ترسله فيأكل من خشاش الأرض ، فوجبت لها النار بذلك " (الألباني، ج ٤، ص ٣٠) (البيهقي، ج ٥، ص ٢١٤) .

فكم أن العاطفة الابيجابية المتمثلة في الرحمة بالحيوان يكون الأجر والثواب والمغفرة مصاحبة لمن إتصف بها ، فإنه يكون اللعن والنار مصير من اتصف بالقسوة، وهي من العواطف السلبية التي نهى الاسلام عن الاتصاف بها .

٤ - أنواع العواطف في نظر الإسلام :

تنقسم العواطف باعتبارها مجالاً من مجالات التربية الوجدانية في نظر الإسلام حسب مظاهر السلوك المرتبطة بها إلى قسمين :

أ - عواطف إيجابية : وهي التي تدفع الفرد إلى التجاوب الإيجابي في الفرح والسرور أو التقرب والحببة والاندماج مع الموضوعات شفقة وحنانص أو إيماناً وولاءً، أو احتراماً وتقديراً ، أو سعادة ونشوة بدرجات متفاوتة . وهذه العواطف الإيجابية ي العمل الإسلام على تنميتها بالطرق السليمة .

ب - عواطف سلبية : وهي التي تدفع صاحبها إلى التجاوب السلبي ابعاداً أو نفوراً أو الماً أو عدواً نحو الآخرين غضاً أو خوفاً أو كرههاً وقسوة أو احتقاراً أو استعلاءً وغيره من المشاعر . وهذه بدرجات متباينة أيضاً " . (الهاشمي، ١٤٠٧ هـ، ص ١٨٦) .

أ - العواطف الإيجابية والطرق التربوية لتنميتها في الإسلام :

١ - الإجلال :

يعتبر الإجلال في نظر الإسلام من العواطف الإيجابية . وقد عمل على تنميته لما له من تأثير إيجابي على الفرد وعلى المجتمع .

والإجلال يعرف بأنه رد فعل الانفعال بالأمر العظيم كالقوة والشجاعة ، ومن مظاهره الشعور بوجوب عبادة الخالق ، واجلال الزعماء ، وأولياء الأمور ، وما إلى ذلك من الأفراد كالبر بالوالدين وغيرهم من هو جدير بالتبجيل والتكرير . ثم الحببة الناشئة عن تفرع الاحساسات الفارطة . وبخاصة الاستحسان - إلى احساسات تحرك بعض العواطف فلا يلبث أن يفوق الفرع الأصل . (جاد المولى ، (د.ت) ، ج ١ ، ص ٤٤)

(٢٩٩)

ولقد جاء هدي الإسلام بحضور المسلمين على احترام الناس لا على احتقارهم وازدرائهم، وبخاصة إذا كانوا جديرين بالتقدير والاحترام، بل إنه يعتبر احترام الكبير والعالم وصاحب الفضل من الأصول الأخلاقية الكبرى التي تعطي المسلم هويته في المجتمع الإسلامي، ومن فقدها اخلع عن عضوية هذا المجتمع، وجرد من شرف الانساب. (الهاشمي، ١٤١٠هـ، ص ٢٢٥).

فلا إسلام أمر بأن يكون هناك تقدير وإجلال قائم بين الأفراد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى "عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من لم يجعل كبارنا ، ويرحم صغارنا ويعرف لعالمنا حقه ".
(الألباني، ج ٥، ص ١٠٢) (السيوطى، ج ٢، ص ٤٧١).

وعن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس من لم يرحم صغارنا ، ويعرف شرف كبارنا " (الألباني، ج ٥، ص ١٠٣) (التزمي، ج ٤، ص ٤٢٢). " وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من لم يرحم صغارنا ويوقر كبارنا " (الألباني، ج ٥، ص ١٠٣) (التزمي، ج ٤، ص ٣٢٢).

إن احترام الكبير في المجتمع ، وتقديره على من هو أصغر منه دليل رقي ذلك المجتمع، وآية فهم أعضائه لقواعد الأخلاق الإسلامية ، وعلامة على سمو وجداهم وتهذيبه . لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على أن يؤكّد هذا المعنى في نفوس المسلمين وهو يرفع قواعد المجتمع ويرسي دعائيم التربية الوجدانية فيه .
(الهاشمي، ص ٢٢٦) . فمن مظاهر حرصه صلى الله عليه وسلم على تقدير الكبير قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سهل إذ رأه يتكلم ، وكان أصغر القوم في الوفد المماطل بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٠٠)

فيما روي " عن سهل ابن أبي ضمه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كبر كبير " (الألباني، ج٤، ص١٦٢) . أي ليبدأ بالكلام الأكبر . فسكت عبد الرحمن وتكلم من هو أكبر منه . (البيهقي، ج٨، ص١١٩) .

ويذهب الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية العاطفية لوجдан المسلمين على تقدير الكبار وأصحاب الفضل أبعد مدى ، وإلى جعل اقتزان أكرامهم من إجلال الله سبحانه وتعالى . كما روي " عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من اجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن ، غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقوسط " (الألباني، ج٢، ص٢١٤) (البيهقي، ج٨، ص١٦٣) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبر عن تقديره ليحذو حذوه صلى الله عليه وسلم ، فكان يقدم الكبير في مواقف كاعطاء الكبير في السن السواك قبل غيره من الحضور . كما روي " عن عبد الله بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان إذا إستأْتَنْتَ أَعْطِيَ السُّوَّاْكَ الْأَكْبَرَ ، وَإِذَا شَرَبْتَ أَعْطَى الَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ " (الألباني، ج٤، ص٢٠٧) . و " عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منها " (النووي - تحقيق الألباني، ٤١٤٠هـ، ص١٧٣) .

و " عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر ثم يقول أيهما أكثر أخذًا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد " . (النووي ، ص١٧٣) .

(٣٠١)

و " عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أراني أتسوك فجاءني رجالان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر عنها فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر " (البيهقي ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٠) .

ومن سلوكياته في الإجلال والتوقير ما عبر عنه صلى الله عليه وسلم سلوكياً مع المحدث له عند لقائه . " فعن انس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لقي الرجل وكلمه ، لم يصرف وجهه عنه حتى يكون هو الذي ينصرف ، وإذا صافحه لم ينزع يده " حتى يكون هو الذي ينزعها . لم ير متقدماً بركتيه ، جليسًا له قط " (ابن ماجة ، ١٤٠٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٤٠) .

ولقد أثرت أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله في وجدان الصحابة رضوان الله عليهم في الإجلال والتوقير لكتاب السن فهذه النماذج جديرة بأن يتأنس بها المسلم في سلوكياته واحتياكه مع الكبار وأصحاب الفضل ، فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنه حضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أبو بكر وعمر ، فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم سؤالاً للحضور ، فعرف ابن عمر جوابه ولكنه لم يتكلم احتراماً لأبي بكر وعمر رضي الله عنهم . كما روي " عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أخبروني بشجرة شبه أو كالرجل لا يتحات ورقها ، تؤتي أكلها كل حين ، قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبي بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم وأقول شيئاً ، فقال عمر : لأن تكون قلتها أحب إليّ عن كذا وكذا " . (مسلم بن حجاج - تحقيق الألباني ، ١٣٨٩ هـ ، ص ١٥) . " وعن أبي سعيد سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً فكنت أحفظ مما ي يعني من القول إلا أن هنا رجالاً هم أحسن مني " متفق عليه . (الترمذ ، ص ١٧٤-١٧٥) .

(٣٠٢)

فاجزاء من جنس العمل والذي يحمل في وجدانه وأخلاقه توقيراً للكبير واكراماً لسته ، فإن الله سبحانه وتعالى يشيه على ذلك بأن يسخر له شاباً يكرمه ويوقره عند كبره كما كان يفعل هو في شبابه . كما روي " عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أكرم شاب شيئاً لسته إلا قرض الله له من يكرمه عند سنه " (الترمذى ، ١٣٨١ هـ ، ج ٤ ، ص ٣٧٢) .

ومن مظاهر الإجلال أن نأخذ في الاعتبار انزال الناس منازلهم العلمية والاجتماعية بأن تعرف أقدارهم فيقدم العلماء وحملة القرآن وأصحاب العقول الراجحة وأهل الفضل . فللعلماء مكانهم المرموق العالى في المجتمع الاسلامي ماداموا أمناء على شريعة الله صداعين بالحق حراساً لشعائر الدين ، فهو لاء بوأهم الله تلك المكانة الكريمة العالية . (الماشى ، ١٤١٥ هـ / ٢٢٧-٢٢٨). كما قال الله تعالى :

أَمَنْ هُوَقِنْتُ ءَانَاءَ الْيَلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ
(سورة الزمر : آية ٩)

فلحملة القرآن منزلة عالية عند الله سبحانه وتعالى فهم أهل الله وخاصته .

كم روى " عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى أهلين من الناس : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته " (الألبانى ، ج ٢ ، ص ٢٣١) . وكما روى " عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل القرآن أهل الله وخاصته " (الألبانى ، ج ٢ ، ص ٣٤٠) (الدارمى ، ١٤١٢ هـ ، ج ٢ ، ص ٨٩١) .

(٣٠٣)

وجعل الإسلام حملة القرآن منزلة عالية في المجتمع ، فلهم الامامة في الصلاة والصدارة والاجلال في المجالس تعظيمًا واجلالاً لكتاب الله وكلام الله الذي يعلأ صدورهم ويرتقي به وجدانهم . كما روي " عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم القوم أقرؤهم للقرآن" (الألباني، جـ٦، ص٣١٧) (البيهقي، جـ٣، ص١٢٥). وكما روي " عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدرى الأنصارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء ، فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء ، فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًا ، ولا يؤمن الرجل في أهله ، ولا في سلطانه ، ولا يقعد في بيته على مكرمه إلا باذنه " (الألباني، جـ٦، ص٣١٦) (ابن حنبل، جـ٦، ص٦٦) .

" وعن أبي مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : استوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، وليلي منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ، ثم الذي يلونهم " (الألباني، جـ١، ص٣٢٥) (ابن حنبل، جـ٢، ص١٨٠). " وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلي منكم أولوا الأحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، وإياكم وهيشات الأسواق " (الألباني، جـ٥، ص١١٠) (ابن حنبل، جـ٢، ص١٨٠) .

ان منهجه التربية الوجدانية في الإسلام تجاه عاطفة الإجلال منهجه يتسم بالذوق الانساني وهو توجيه حكيم له دلالاته التربوية الجمة الغزيرة وفي مقدمتها تصنيف الناس حسب مقاماتهم ومنازلهم ورتبهم التي تصل بمنهجه الله القرآن الكريم والسنة النبوية . فكان أصحاب العقول الراجحة وراء النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة يرشح

(٣٠٤)

للاضطلاع بشتى أمور المسلمين كل حسب طاقته واحتياجه وامكانياته . (الهاشمي، ط٤، ١٤١٠ هـ، ص ٢٢٩) .

فينبغي للفرد المسلم أن يفقه هذه الحقائق كلها وأن يجعلها نبراساً متمثلاً في سلوكه الاجتماعي مع الناس عامة ، ومع العلماء وأعيان الفضل وهامات الشرف والآیان والتقوى .

٢ - الحياة :

يعتبر الحياة من العواطف الايجابية التي تثل أحد مجالات التربية الوجدانية في الإسلام، ويعتبر الحياة أماراة صادقة على طبيعة الإنسان . فهو يكشف عن قيمة الایمان ومقدار الأدب في خلق الإنسان فعندما يتحرج من فعل مالا ينبغي ، أو ترى حيرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه أو غيره مالا يليق . فهذا دليل صادق على أن الإنسان حي الضمير نقى المعدن ، زكي العنصر ، وإذا رأيت انساناً آخر ووجده صفيفاً بليد الشعور لا يبالي ما يأخذ أو يتزك فهو أمرؤ لا خير فيه وليس له من الحياة وازع يعصمه عن اقتران الآثام وارتكاب الدنایا .

وللحياة عدة تعريفات من وجهة نظر الإسلام ، منها ما هو مرتبط بالشرع ومنها ما هو مرتبط بالإيمان ومنها ما هو مرتبط بالوجود . (العبد، ط٢، ١٤٠٩ هـ، ص ١٦٥) وجميع هذه التعريفات ترتبط بموضوع الدراسة .

فبالنسبة للحياة الشرعي يعرف : بأنه خلق يبعث على ترك القبيح وينع من التقصير في حق ذي الحق .

وتعريف الحياة الوجداني : بأنه هو الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في كل نفس، فقد يستحيي الطفل في مرحلة من مراحل العمر المتقدمة أن يقف عارياً أمام الآخرين .

فهذا حياء وجداني فطري فهو ألم يعتري النفس وينبع من اقتراف المعاصي، ويحفظ من التردي في الرذائل ويبيعث على العلم الفاضل . فالحياء دليل نضج الحس الخلقي الذي يميز بين الخير والشر ، ومن ثم يمنع من ارتكاب الشر ويبيعث على عمل الخير .
 (ابراهيم، ٢١٤ هـ، ص ٧٤) .

وابن القيم يرى أن للحياء دوراً إيجابياً بوصفه شرطاً أو باعثاً على العمل الصالح الخلقي والتعبدية ، يقول إنه بدون الحباء : لم يقر الضعيف ولم يوف بالوعد ، ولم يؤدأمانة ، ولم يقضى لأنخذ حاجة ولا تحرى الرجل الجميل فاثره ، والقبح فجنبه ، ولاستر عورة ، ولا أمتاع عن فاحشة وكثير من الناس - لو لا الحباء الذي قاد فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه ولم يروع لخلوق حقاً ، ولم يصل له رحماً ، ولا بر له والداً ، فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة ، وإما دنيوي علسي وهو حباء فاعلها من الخلق . وقد تبين أنه لو لا الحباء إما من الخلق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها " (الجوزية ، (د.ت)، ج ١، ص ٢٧٧-٢٧٨) .

الحياء الائمياني : وهو امتياز المؤمن عن المعاصي خوفاً من الله جل في علاه . فإذا تخلى المسلم بهذا الخلق صح وجدانه وعلاناته ، وعامل الخلق بما يرضاه مولاه ، فالMuslim الحي لا يقبل إلا الحلال من كل شيء ، في المطعم والمشرب والملابس والمسكن . (المغربي، ط، ٢٩٥٧ م، ص ٧٠) .

والإسلام اعتبر الحباء شعبة من شعب الإيمان . كما روى " عن أبي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " (النووي - تحقيق الألباني، ط ٤، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٧٩) .

فالإسلام ذكر شعبة الحباء وهي من أوسط شعب الإيمان تبيهاً على ما للحياء من أثر في سلوك الفرد . فالحياء إذا ما تعمق في وجدان الفرد يدعوه إلى سائر الخصال

(٣٠٦)

الحميدة، ومن اتصف به يكون دائماً يخشي ربه ، ويختلف فضيحة الدنيا والآخرة ،
ويعمل بأمر ربه وينتهي بنهاية ، أما من لا حباء عنده فلا خير فيه ، لأنه لا يرى بأساً في
إعلان فسقه أو شره . ومن هنا وجوب تحذير الناس منه . (هاشم ، د.ت) ،
ص ١٣٦-١٣٧ .

والاسلام قرن الایمان بالحياة وهو أعلى مرتبة يصل إليها الفرد عند إسلامه . وإذا
رفع الحياة قل الایمان ، وإذا رفع الایمان رفع الحياة . كما قال بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما روى " عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن الحياة والإيمان قرنا جيئا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر " (الألباني ، ج ٢ ، ص ٥٩).
و " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الإيمان بضع
وسبعون شعبة والحياة شعبة من الإيمان " (مسلم ، ١٤١١هـ ، ج ١ ، ص ٢) .

والحياة يعتبر في الاسلام من خلق المسلم الذي يلازم وجوداته ، فلكل دين خلق
وخلق الدين الاسلامي يكمن في الحياة . كما روى " عن زيد بن طلحة بن رکانه يرفعه
إلى النبي صلى الله عليه وسلم : " لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياة " (مالك -
تخریج فؤاد عبد الباقی ، ١٩٥١م ، ص ٩٠٥) .

ولأن الحياة خلق جميل ومحقق بالإيمان ، فقد كان رسول الله يتصرف به فكان
أشد الناس حياءً ، ومن شدة حيائه فقد وصف بأنه قد فاق الفتاة العذراء في خدرها
ووجودها في الخدر قمة الحياة كما روى " عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً
يكرهه عرفناه في وجهه . (النووي - تحقيق محمد الألباني ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٧٩) .

فكان عليه الصلاة والسلام أشد حياءً من العذراء فهو رقيق الشعور والاحساس وإذا
رأى شيئاً لا يحبه مما يحدث أمامه كان شديد الغضب لخاتم الله وما يمس الاسلام فكان
أسرع إلى تغييره . وهذا ناتج عن غيرته لأمور الدين الاسلامي .

(٣٠٧)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن الحياة إنه مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى . كما روي " عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت " (الألباني ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) (البيهقي ، ج ٨ ، ص ٢٧) .

وقد أوصى رسول الله صلی الله علیه وسلم التحلی بخلق الحياة لأنّه يبعث على سلوكيات حسنة يتطلّبها الإسلام . فقد روي " عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : استحیوا من الله حق الحياة ، من استحیا من الله حق الحياة فليحفظ الرأس وما وعی ، ولیحفظ البطن وما حوى ، ولیذکر الموت والبلا ، من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحیا من الله حق الحياة " (الألباني ، ج ١ ، ص ٣١٨) (البيهقي ، ج ١٠ ، ص ٢٨٤) .

والحياة هو الاحتشام عن طريق إنقباض النفس عن الشيء وتركه خوف اللوم ، والحياة خلق يبعث على تجنب الشيء من القول والفعل وعكسه الوقاحة والبزاء واللوع هو الذي يقدم على عمل المنكر ، وقوله بوجه صفيق دون الاهتمام لاستنكار أهله وذويه .

والحياة شرعاً خلق يبعث على ترك القبيح وينع من التقصير في حق ذي الحق . وعرفه آخر بأنه : تخرج من فعل مالا ينبغي . وقيل هو الكشف عن كل ما يستحبه العقل ويعجه الذوق السليم ، ويستنكره الخالق والمخلوق . (ميسن ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٢٠١) .

والحياة ينبثق من جانبين : الأول وهو التفكير في آلاء الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى في سورة الرحمن التي تقرر بالاعتراف بالنعم التي أنعمها الله تعالى على عباده ظاهراً وباطناً . ففي سورة الرحمن يقرر في كل آية بنعمة من نعمه تعالى بقوله بعدها :

أَفَيْ إِلَهٌ أَلَّا رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(١٢) خَلَقَ
 إِلَانَسَنَ مِنْ صَلَصَلٍ كَالْفَخَارٍ ^(١٤) وَخَلَقَ الْجَهَانَ
 مِنْ مَارِيجٍ مِنْ نَارٍ ^(١٥) فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(١٦)
 رَبُّ الْمُشْرِقَيْنَ وَرَبُّ الْمُغْرِبَيْنَ ^(١٧) فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(١٨)
 مِنْ جَبَرِينَ يَلْتَقِيَانِ ^(١٩) يَنْهَا بِرَزْحٍ لَا يَعْيَانِ ^(٢٠) فَيَأْيِ إِلَهٌ
 رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(٢١) يَخْرُجُ مِنْهَا الْمَوْتُ وَالْمَرْجَانُ ^(٢٢) فَيَأْيِ
 إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(٢٣) وَلَهُ الْمَعْوَارِ الْمُسْتَاثِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ
 فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(٢٤) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ^(٢٥) وَيَبْقَى
 وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ^(٢٦) فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(٢٧)
 يَسْعَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءِنِ ^(٢٨) فَيَأْيِ
 إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(٢٩) سَنْفَرْعُ لَكُمْ أَيْهَا الشَّقَالَانِ ^(٣٠) فَيَأْيِ
 إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(٣١) يَمْعَشُرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمُ
 أَنْ تَنْفَذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَذُوا أَلَا تَنْفَذُونَ
 إِلَّا إِسْلَاطَنِ ^(٣٢) فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانٌ ^(٣٣) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
 شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرَانِ ^(٣٤) فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَا
 كِذْبَانِ ^(٣٥) فَإِذَا أَنْشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرَدَةً كَالْدَهَانِ
 فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانِ ^(٣٦) فِيَوْمٍ ذِلٌّ لَا يُسْعَلُ عَنْ ذَلِيلِهِ
 إِنْ وَلَاجَانِ ^(٣٧) فَيَأْيِ إِلَهٌ رَبِّ كُمَاكِذْبَانِ

يَعْرُفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَتْهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْوَصْىِ وَالْأَقْدَامِ ٤١ فَيَأْتِي
 إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٤٢ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
 يَطْوُفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرِهَا ٤٣ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ
 وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِهِ ٤٤ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ
 ذَوَانًا أَفَنَانِ ٤٥ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٤٦ فِيهَا عَيْنَانِ
 تَجْرِيَانِ ٤٧ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٤٨ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهَةِ
 زَوْجَانِ ٤٩ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥٠ مُشْكِنٌ عَلَى فُرُشَتِ
 بَطَائِنَهَا مِنْ إِسْتِرْقٍ وَجَنِّ الْجَنَّاتِ دَانِ ٥١ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا
 تُكَذِّبَانِ ٥٢ فِيهِنَّ قَصْرَتُ الظَّرْفِ لَمْ يَطِمْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
 وَلَاجَانِ ٥٣ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥٤ كَاهِنُ الْيَاقُوتِ
 وَالْمَرْجَانِ ٥٥ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥٦ هَلْ جَزَاءُ
 إِلَّا إِحْسَنٍ إِلَّا إِلَّا إِحْسَنُ ٥٧ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ
 وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتِهِ ٥٨ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩ فِيهَا
 مُدَهَّأَتَانِ ٦٠ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦١ فِيهَا
 عَيْنَانِ تَضَاعْتَانِ ٦٢ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ فِيهَا
 فَلَكَهَةُ وَخَلْ وَرْمَانِ ٦٤ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٥
 فِيهِنَّ خَيْرَتِ حَسَانٌ ٦٦ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٧ حُورٌ
 مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٦٨ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩
 لَمْ يَطِمْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَاجَانِ ٧٠ فَيَأْتِي إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ
 مُشْكِنٌ عَلَى رَقْرَقٍ خُضْرٍ وَعَبْرَرِي حَسَانٌ ٧١ فَيَأْتِي
 إِلَّا إِرِيرِكَمَا تُكَذِّبَانِ

والحياة في أسمى منازله وأكرمها يكون من الله عز وجل ، فالانسان يطعم من خيره ويتنفس في جوه ، ويدرج على أرضه ، ويستظل بسمائه ، والانسان بازاء النعمة الصغيرة من مثله يخزي أن يقدم الى صاحبها إساءة ، فكيف لا يوجل الناس من الاعنة الى ربهم ، الذي تغمرهم آلاؤه من المهد إلى اللحد ، وإلى ما بعد ذلك من خلود في نعيم دائم . فحق الله سبحانه وتعالى على عباده إزاء ذلك عظيم ، ولو قدروه حق قدره لسارعوا الى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم ، ولباعدوا عن السيئات خجلاً من مقابلة الخير الحض ، بالجحود والخسدة . (الغزالى، ط٦٤٠٦، هـ، ص١٦٣).

فينبغى للانسان أن يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في خلته الحياة ويقتدي بالصحابة رضوان الله عليهم ، فهذا سيدنا عثمان رضي الله عنه . قد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شدة حياته ، كما روى " عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشد أمتي حياء عثمان بن عفان " (الألباني ، ج١ ، ص٣٦) . وكما روى " عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أشد هذه الأمة بعد نبيها حياء عثمان " (الألباني ، ج٢ ، ص٤٩) . هذه صفة سيدنا عثمان رضي الله عنه الذي تستحب منه الملائكة واستتحى منه رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فقد روى " عن عطاء وسلامان ابني يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال ، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه قال محمد ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تبالغ ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تبالغ ثم دخل عثمان فجلس وسوت ثيابك فقال ألا تستحي

(٣١١)

من رجل تستحي منه الملائكة " (مسلم، ١٤١١هـ، ج ١٥، ص ١٦٨-١٦٩). و عن يحيى بن سعيد بن العاص أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم و عثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراشه لابس مرت عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته، ثم انصرف. قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعى عليك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة يا رسول الله مالي لم أرتك فزعت لأبي بكر و عمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عثمان حبي و إني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته" (مسلم، ١٤١٤هـ، ج ١٥، ص ١٦٩).

فمن اتصف خلقه بصفة الحياة من الناس فما لأفضل منه درجة أن يكون الحياة من الله تعالى ، لأنها يمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي دائماً . فقد كان سيدنا عثمان كما نقل عنه رضي الله عنه أنه قال : " إني لأغتسل في البيت المظلم فأنطوي حياء من الله عز وجل " (جعفر، ١٩٦٨م، ص ٣٤٠). فسيدنا عثمان حبي يستحي أن يكشف جسده عارياً في الاغتسال ، فينبغي للفرد المسلم أن يتحلى بصفة الحياة فلا يكشف من جسده ما حرم الله تعالى كشفه بحججه الحر أو بكونه من أرباب الفنون أو بكونه تقدماً يتمشى مع روح العصر ، فهو بهذا التصرف يكون غارقاً في التخلف وليس التقدم .

و كما ينبغي أن يتحلى الفرد بصفة الحياة في سلوكه و تصرفاته ، و عليه أيضاً أن يتصرف بهذه الصفة في التحدث حين ارتياح المجالس ، فبعض الناس نجدهم أنهم لا يستحقون من إمتلاك ناصية الحديث في المجالس و المحافل الجامعية فيما لأن الأفئدة بالضرر من طول ما يتحدثون ، وقد كره الإسلام هذا النوع من التصرف كما قال رسول الله

(٣١٢)

صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ فِيمَا رَوَى "عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ : مَنْ تَعْلَمَ صِرْفَ الْكَلَامَ - أَيْ بِلَاغَتِهِ - لَيْسَتِي بِهِ قُلُوبُ الرِّجَالِ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صِرْفًا وَلَا عَدْلًا" (التَّرمِذِيُّ، ج-١، ص٥٣٨).
وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ فِيمَا رَوَى "عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَعَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ يَقُولُ : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِجَاهِرِيَّ بِهِ الْعُلَمَاءِ أَوْ لِيَمْارِيَ بِهِ السُّفَهَاءِ أَوْ يَصْرُفَ بِهِ وِجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخِلْهُ اللَّهُ النَّارَ" (التَّرمِذِيُّ، ج-٥، ص٣٢). وَكَمَا قَالَ : "عَنْ أَبْنَى عُمَرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْغُضُ الْبَلِيعَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخلُّلُ الْبَاقِرَةِ بِلِسَانِهَا" (الْأَلْبَانِيُّ، ج-٥، ص١٤٣) (اَهِيَشْمِيُّ، ج-٨، ص١١٦). وَكَمَا رَوَى "عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ : إِنَّ اللَّهَ يَعْغُضُ كُلَّ جَعْظَرِيِّ جَوَاظَ - الْجَعْظَرِيِّ الْفَلِيظِ الْمُتَكَبِّرَ - سَخَابَ فِي الْأَسْوَاقِ جَيْفَةَ بِاللَّيلِ ، حَمَارَ بِالنَّهَارِ عَالَمَ بِالدُّنْيَا جَاهِلَ بِالآخِرَةِ" (الْأَلْبَانِيُّ ، ج-٢، ص١٤٢) (اَهِيَشْمِيُّ، ج-٨، ص١١٦). وَسَبَبَ هَذَا الْبَغْضُ أَنَّ أَخْبَارَ بَعْضِ النَّاسِ لَا تَخْلُو مِنَ التَّنْزِيلِ، وَأَحْوَالَهُمْ لَا تَخْلُصُ مِنَ الرَّيَاءِ وَاستِشَارَهُمْ مِنْفَسٌ لِعُلُلِ خَلْقِيَّةِ وَوِجْدَانِيَّةِ . كَمَا أَخْيَاءَ عَلَاجَهَا الشَّافِيُّ لَوْ أَنَّهُمْ اسْتَمْسَكُوا بِهِ ، وَلَذِلِكَ حَيَاءُ بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّ الْعَيْ أَفْضَلُ مِنَ هَذَا الْأَفْصَاحِ ، وَهُوَ عَيْ الْلِسَانِ لَا عَيْ الْقَلْبِ .

وَأَخْيَاءَ يَتَطَلَّبُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَخْجُلَ مِنْ أَنْ يَصُدِّرَ مِنْهُ قَوْلًا أَوْ فَعْلًا سُوءً ، وَأَنْ يَحْرُصَ عَلَى بَقَاءِ سَعْتِهِ نَقِيَّةً طَاهِرَةً مِنَ الشَّوَّابِعِ بَعِيدَةً كُلَّ الْبَعْدِ عَنِ الْإِشَاعَاتِ السَّيِّئَةِ..
لَذِلِكَ فَإِنَّ الْغَيْبَةَ إِنَّمَا تَحْرُمُ فِيمَنْ سَرَّتْ حَالَهُ ، أَمَّا مَنْ كَشَفَ صَفَحَتِهِ وَأَظَهَرَ سُوءَهُ فَإِنَّ النَّاسَ لَنْ يَلْعُغُوا مِنْهُ مَا يَلْعُغُ مِنَ نَفْسِهِ ، وَلَذِلِكَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ مِنْ لَوْثِتِهِ قَادِرَاتُ الْمُعَاصِي أَنْ يَتَوَارَى عَنِ الْأَعْيُنِ . كَمَا رَوَى "عَنْ أَبْنَى مُسَعُودٍ قَالَ :

(٣١٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استحيوا من الله تعالى حق الحياة ، من استحيا من الله حق الحياة ، فليحفظ الرأس وما وعى ، وليرى البطن وما حوى ، وليدرك الموت والبلا ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله الحياة " (الألباني، ج ١، ص ٣١٨) (البيهقي، ج ١٠، ص ٢٨٤) .

فالفارق واضح كل الوضوح بين من يطلب بقوله وبعلمه السمعة ، ومن يزود عن سمعته ظنون العباد وإتقاء المسلم للناس لا يعني النفاق بابطان القبيح وإظهار الحسن . كلاماً بل المراد عدم الجهر بالقبائح والاستحياء من مقارفتها علانية .

فالفرد الذي يخجل من الظهور برذيلة لا تزال فيه بغية من خير ، والفرد الذي يتعمد الظهور بالفضيلة لا تزال فيه بقية من الشر . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحياة لا يأتي الا بخير " وفي رواية الحياة خير كلها " (النسائي بشرح السيوطي، ط ٢، ٤١٢ هـ، ج ٨، ص ٤٩٦) . فينبغي للفرد أن يخجل من نفسه كما يخجل من الناس ، فإذا كره أن يروه على نقائه فليكره أن يرى نفسه على مثلها ، إلا إذا حسب نفسه أحقر من أن يستحي منها . وقد قيل : من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدرة ... ومن ثم كان لزاماً على الفرد المسلم أن يبتعد عن الدنيا ، ما ظهر منها وما بطن ، سواء خلا بنفسه أو برب إلى الناس . (الغزالى ، ط ٦، ١٤٠٦ هـ، ص ١٦١) .

ومن الحياة عدم الجرأة على الاعتداء على حقوق الناس بالاحتياط والسرقة والرشوة والاغتصاب لحقوق الغير ، فينبغي أن يعرف الفرد لأصحاب الحقوق منازلهم وأن يؤتي كل ذي فضل فضله . فللغلام مع من يكثرون ، وللتلميذ مع من يعلمونه

(٣١٤)

مسلك يقوم على التأدب والتقدم ، وذلك بعدم رفع الصوت بحضورهم أو تسفيه رأيه، أو محاولة إظهار تفوقه عليهم ، أو أنه يجلس جلسة استهتار في حضورهم .

إن المؤمن يستحي أول ما يستحي من الله سبحانه وتعالى فهو يشعر بندهمه على غلطته، حتى بينه وبين نفسه لأنه مؤمن . فقد روي " عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه فإن الحياة من الإيمان " (التوسي - تحقيق محمد الألباني ، ط ٢ ، ٤٠٤ هـ ، ص ٢٧٩) . " وعن أبيأسامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحياة شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق " (ابن حنبل ، ج ٨ ، ص ٣٠٨) . " وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحياة من الإيمان والإيمان في الجنة ، والبزاء من الجفاء والجفاء في النار " (ابن حنبل ، ج ٣ ، ص ٥٦٨) . وغير المؤمن إذا استحي فإنهما يستحي من الناس ، فإذا كان بعيداً عن الناس لم يشعر بأي تأنيب ضمير على غلطته بل يجد تبريراً لأي غلطة يغطيها كان يدعى التطوير والتطور لمقاومة العادات والأخلاق الفاضلة وإباحة الرذيلة وتزيينها باسم الفن وإلى غير ذلك من المبررات الواهية . (مبيض ، ١٤١١ هـ ، ص ٤٠٤) .

وإذا تخلى الحياة عن الإنسان سارع للغواية وكان هدفاً للمعاطب فمن لا حياة فيه لا خير فيه ، فهذا هو حال الكفار .

ومن أبرز الأمور التي تعمل على تنمية خلق الحياة وترسيخه في وجدان الفرد الاكتئاب من مطالعة فضائل الحياة وترديدها في القلب والضمير وتجمع الهمة على تحصيل أعلى درجات الحياة والسعى الحثيث في التحلية به ، وتقوية الإيمان والعقيدة في القلب .

لأن الحباء أثره ودليل عليه وعلى معرفة الله عز وجل ، وذلك بالبعدج بالتفكير في أسماء الله الحسنى التي تستوجب المراقبة والاحسان والمواظبة على العبادات المفروضة ، ولزوم الصدق وتحريه وتجنب الكذب ، والمواظبة على تكليف الحباء مرة بعد مررة حتى تألفه النفس وتعتاده فيصير لها طيعاً وسجية . ثم مخالطة الصالحين ورؤيتهم والسماع منهم الاستمداد من حيائهم . وقال مجاهد : " لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حباء منه ينبعه من المعاصي كفاه " كما ينبغي استحضار حباء المثل الأعلى للبشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم بطالعة سيرته وشمائله واستحضار حباء صحابته الكرام والخلفاء الراشدين والتابعين واتباع التابعين من الصالحين . (المقدم، ٤١٣ هـ، ص ٦٨) .

٣ - الحب :

يعتبر الحب من العواطف الايجابية في نظر الاسلام . وهو سر من أسرار الوجود التي جعلها الله سبحانه وتعالى في وجودنا الفرد لأنه حافر قوي للاندفاع نحو الخير أو الانحراف نحو الشر ، وهو مبعث الابداع والعطاء والاهتمام وبدونه يكون الاهتمال والضياع . لذا وجه الرسول صلى الله عليه وسلم هذه العاطفة لما فيه صلاح الفرد والمجتمع . وجعل لعاطفة الحب ضوابط تأسى بالانسان عن الانحدار في مهاوي الشر والفساد .

والحب شعور بارتياح وجدان الحب أثناء لقائه مع من يحب والاهتمام به وعما يأمره به . (مبيض، ١٤١١هـ، ص ٢١٨) .

فالمسلم يشعر بالارتياح عند أداء فرض الصلاة لأنه أدى الواجب المفروض عليه من حبيبه الله سبحانه وتعالى . فهو يكون في لقاء مع رب العزة والجلال ، فالصلاحة وسائر العبادات تتطلب من الفرد المؤمن أن يكون في معيته الله سبحانه وتعالى وأداء العبادات يتطلب أن يمتليء وجدانه بالشعور أن الله يراه ويراقبه ويطلب منه حيال ذلك أن يشعر بوجود الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فليشعر أن الله هو الذي يراه

وهذا جانب وجداني يمثل الحب بين العبد وربه ، كما قال تعالى :

الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْ رِزْقِنَا مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ مُّجْهَدِينَ
وَمُحْبِّونَهُ وَأَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزَهُ عَلَى الْكُفَّارِ إِنَّمَا يُعَذِّبُونَ فِي
مَسِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَا يُغَرِّرُهُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ

(المائدة : آية ٥٤)

(٣١٧)

ويتند هذا الحب إلى حب الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع المنهج الذي أنزله الله ووجهه إلى الخلق عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن جبريل عليه

السلام .
ا قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَأَتَيْتُكُمْ مِّمَّا يُحِبُّونَ
وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ

(آل عمران : آية ٣١)

كذلك من الحب ، الحب الأبوى أو الأسرى ، وهو سر من أسرار الله استودعه وجدان الآباء والأمهات لكي ينشأ الطفل في بيت كله عطف وحنان وشفقة ورحمة . يخلص فيه الآباء والأمهات في تربية واعداد أبنائهم ليكونوا عناصر صالحة ومنتجة تساهم في بناء المجتمع الانساني في المستقبل . (مبيض، ص ٢١٨).

فالحب الأسري هو العامل الأساسي في تكوين الأسرة ، وفي ترابط أفرادها وتماسكهم وتعاونهم ، وهو يقوم بدور هام في تكوين شخصية الطفل ، بإحاطة الوالدين الطفل بمشاعر الخبرة والحنان والعطف يثبت في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة ، فتنمو شخصيته نمواً سليماً سوياً ، تربطه بأفراد أسرته بخاصية ، وبأفراد بيئته الاجتماعية بعامة روابط الخبرة والمودة والتآلف . (نجاتي، ط ٢٤، ١٤١٣هـ، ص ٧٧-٧٨) . وهذا ما سيرد ذكره في الفصل السابع .

أما إذا حرم الطفل من الشعور بحب الوالدين لأي سبب من الأسباب فإنه يفقد الشعور بالأمن والطمأنينة ويصيبه القلق ، وتضطرب شخصيته ، ويصبح عرضة فيما بعد للإصابة بالمرض النفسي (نجاتي ، ص ٧٨) .

ومن العواطف الايجابية الشعور بالحبة نحو الآخرين ، وهي أصل ترجع إليه مكارم خلقية كثيرة ، كالتعاون وإرادة الخير للناس ، ومشاركتهم وجداً في السراء والضراء ، وان يحب أن يعاملهم بمثل الذي يحب أن يعاملوه به . (الميداني، جـ٢، ص٢٤٩) .

لأن ذلك من دلائل الإيمان . كما روي " عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير " (الألباني، جـ٦، ١٠٢) (ابن حنبل، جـ٤، ص٥٠) . " وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه " (الألباني، جـ٦، ص١٠٢) (ابن حنبل، جـ٤، ص٣٥١) .

فالإسلام جعل الحبة عنصراً من عناصر الإيمان ، أو ثمرة من ثمراته ، فالمعلوم أن الإنسان لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، حتى يكون عنده شعور نحو أخيه بالحبة . بهذا الحديث يضع الإسلام أساساً عاماً للأخلاق الاجتماعية كلها إذ أن الفضائل الأخلاقية الاجتماعية كلها يشتمل عليها مبدأ الحبة أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه من الخير . (الميداني، جـ٢، ص٢٥١) .

ومن الأسباب المؤدية إلى تنمية روح الحبة في الوجود إنشاء السلام بين الناس ، فقد دل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم كما روي " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم " (ابن ماجة ، ط٣، ٤٠٨هـ، جـ٢، ص٣٣٠) .

ولأن شعور الانسان بمحبته للناس إتجاه كريم نحو الارتباط بالجماعة والاندماج فيها ، ومشاركتها في السراء والضراء ، والانطلاق من موقع الأنانية الضيقة ، فهي الوجه السمح الجميل المشرق للوجودان . فالحياة تكون جليلة بالحبة ، فتسعد صاحبها قبل أن تسعد الآخرين .

فالمحبة يراقبها في الوجودان طمأنينة وقناعة ورضى ، فالذى يعيش في حب الخير للناس يعيش بسعادة قلبية مستمرة ضميره راضٍ . (الميداني، ج٢، ص٢٥٠) .

فمن أجل ذلك جعل الاسلام العاطفة الايجابية المتمثلة في الحب عنصراً من عناصر الايمان وكماله . لأن الحب عامل هام في تكوين العلاقات الاجتماعية وربط أواصر المجتمع بصورة سليمة . فالتكامل والتماسك هو الذي يربط الانسان بأسرته ، وقومه ووطنه ، فحب الوطن غريزة فطرية تنمو في الوجودان مع نمو الجسم فتنتموا شهراً بشهر سنة بسنة ، يستند شوقيه الى وطنه كلما طال بعده عنه ، حتى ولو عاش في وطنه أكثر فاعلية وأكبر اتساعاً وأكثر وفرة . وهذا الحب يتطلب العمل من أجله . يقول الامام حسن البنا : لقد فرض الاسلام على اتباعه أن يعمل كل انسان خيراً بلده وأن يتغافل في خدمته ، وأن يقدم أكبر ما يستطيع للأمة التي يعيش فيها ، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحماً وجواراً ، حتى أنه لم يجز أن تنقل الزكوات إلى أبعد من مسافة القصر إلا لضرورة اىثارة للأقربين بالمعروف ، فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الشغرة التي هو عليها ، وأن يخدم وطنه الذي نشأ فيه ، من هذا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعاً مواطنيه لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين ، ومن هذا المنطلق دافع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة يوم أحد والخدق ، وعين الحراس في شوارعها لحمايةها من المعتدلين ، وصدق رسول الله صلى الله إذ يقول فيما رواه ابن

عمرو رضي الله عنه : من قتل دون ماله فهو شهيد " (البيهقي، ج١٤٠٦، ص٣) . وكما روي " عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد " (البيهقي ، ج٣، ص٢٦٦) . فالمسلم الحق لا يضعف أبداً من الاهتمام بوطنه فهو يشعر بأن وطنه الذي يجب عليه أن يخدمه ويخلص له هو كل أرض يذكر فيها اسم الله . ولا بأس عليه أن يخص قومه برعاية خاصة لأن الله يقول : ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِعِصْمَتِهِنَّ بِرَبِّهِنَّ﴾ بشرط ألا تكون رعايته لقومه حاجزاً يحجز بينه وبين بقية المسلمين كما تصنع الوطنية والقومية التي جاءت إلى العالم الإسلامي مع الغزو الفكري وقطعت أوصال العالم الإسلامي وفرقت أهله وشعبه شيئاً متخاصمين متنابذين ..

فيبقى إلى المسلم أن يكون عنصراً فعالاً صالحًا يسعى في بناء مجتمعه ، محافظاً على أنه واستقراره وليعتبر نفسه ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتين قبله . (ميسن، ص٢٢٣ - ٢٢٤) .

وللحب والبغض آداب وضعها الإسلام وهي : الاعتدال في الحب والبغض لأن المغالات في الحب والكره كثيراً ما تؤدي إلى مضاعفات مضرة للفرد والمجتمع ، فينبغي الاعتدال واعطاء كل ذي حق حقه كما أمر الإسلام ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أحب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغرضك يوماً ما ، وأبغض بغرضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما " (الألباني، ج١، ص١١١) (السيوطى، ج١، ص٢٠) .

كما ينبغي التأدب بآداب المحبة وعكسها بأن يتخذ شرف الخصومة في البغض وذلك بأن يعطي كل انسان حقه دون التأثر بعاطفة الكره والحب ، فمثلاً إذا سئل

الفرد عن فرد آخر بما فيه من محسن ومساوئ فينبغي أن يكون الجواب بصدق وأن لا يحول دون حق أو رزق يسعى إليه ، كما قال تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا فَوَّادِينَ لِلَّهِ
شَهِدَاءَ إِلَى الْقِسْطِ وَلَا يَجِرِّمَنَّكُمْ شَنَاعًا قَوْمٌ عَلَىٰ
أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
الَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

(سورة المائدة : آية ٨)

كما ينبغي التأسي بالصدق في الخبرة حتى تكون صادقة نابعة من الوجдан فلا ينبغي السكوت عن أخطاء من نحب بل ينبغي أن ننصحه الله ونأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر ، وان لا نذكره بما ليس فيه مبالغة في المدح ، وأن نحرض على استقامته في منهج الله كما أمرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيما روي " عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، إن يك ظالماً فأردده عن ظلمه ، وإن يك مظلوماً فانصره " (الألباني ، ج ٢ ، ص ٢٩) (البخاري ، ج ٣ ، ص ١٦٨) . وكما روي " عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل : كيف انصره ظالماً ؟ قال تحجزه عن الظلم ، فإن ذلك نصره " (الألباني ، ج ٢ ، ص ٣٠) (البخاري ، ج ٣ ، ص ١٦٨) . فينبغي الحكم لمن نحب بالتفوى والإيمان الصحيح لا بالأهواء فإن هذا التصرف الذي يكون فيه الحكم للعاطفة وليس للعقل فيه سبيل هو طريق غير المتدين .

الذين وصفهم الشاعر بقوله :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة .. ولكن عين السخط تبدي المساوايا

(مبيض ، ص ٢٣١)

٤ - الرحمة :

قد يكون من العسير التوصل الى تعريف دقيق للرحمة لأن شأن الرحمة كشأن معظم العواطف والانفعالات إنما تدرك وتعرف بظواهرها لا بحقيقة تكوينها . ولكن يمكن تقريب التصور لفهم حقيقة الرحمة وذلك بالقول أن الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر ، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر .

والرحمة من العواطف الإيجابية ل مجال التربية الوجدانية ، والتي عمل الاسلام على تعميتها واستمرارها . وتمثل الرحمة في مشاركة الكائن أو الفرد لغيره في مثل آلامه ومسراته ، والشعور بمشاعره ، ولا يشترط في المعاملة التساوي في المقدار ، وإنما يكفي فيها المشاركة العامة في الألم أو المسرة . فهي منبع كريم يفيض بالعطاء ، وهذا إذا لم يفض بالعطاء لمستحقي الرحمة بسبب من الأسباب احتقnen فالم صاحبها . لأن الرحيم يؤلمه جداً أن يشهد آلام مستحق الرحمة ، ثم لا يفيض له بعطاء يدفع عنه آلامه ، أو يخفف له منها . فهذا هو خلق المؤمنين الذين رباهم الاسلام على التربية الوجدانية المتمثلة في العاطفة . (الميداني ، ج ٢ ، ص ٦) .

ولفظ " رحم " ومشتقاته جاء ثلاثة مرات في القرآن الكريم الأمر الذي يدل على إتساع المساحة التي تشغله الرحمة في الحياة الدينية والانسانية وعند التأمل في بعض الآيات الكريمة يمكن فهم فضيلة الرحمة كما يريد لها الاسلام . (ابراهيم ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٧٨) . فالله سبحانه وتعالى جعل الرحمة صفة من صفاته الحسنة وسنة من سنن الكون . كما قال تعالى :

(٣٢٣)

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ
كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَيْرٌ وَأَنفُسُهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

(سورة الأنعام : آية ١٢)

كما قال تعالى :

وَإِذَا

جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا
يُبَحَّلَّ لَهُ شَرُّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الأنعام : آية ٥٤)

فصفة رحمة الله وسعت كل شيء كما قال تعالى :

الَّذِينَ يَكْمِلُونَ الْعِرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُ وَسُبْرِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءاْمَنُوا رَبَّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (سورة غافر : آية ٧).

ولأهمية الاتصاف بالعمل الخلقي والوجداني الذي تخلية الرحمة وهي عمل نبيل باهر دون شك ، فقد جعل الله سبحانه وتعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . فأرسله رحمة للعاملين . فأرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة . (ابن

كثير ، ج ٢ ، ص ٥٢٥) .

كما قال تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ

(سورة الأنبياء : آية ١٠٧)

(٣٢٤)

كما جعل الله سبحانه وتعالى صفة الرحمة في نزول كتابه الكريم وهو المنهج التربوي السليم الذي بينه رسوله الكريم . فيسعد به المؤمنون ، بل تكون الرحمة صفة لهم كما قال تعالى :

يَتَأْمِنُ الْأَنَاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةً
مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

(سورة يونس : آية ٥٧)

وقال تعالى :

إِنَّكَ أَيَّتُ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ۝ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ

(سورة لقمان : آية ٢ - ٣)

وكما قال تعالى :

لَمْ فَقَيْنَا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ
بِرُسُلِنَا وَقَنَّا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانَةً
أَبْتَدَعُوهَا مَا كَنَّا بِهِمْ إِلَّا أُبْتَغَنَاهُ رَضْوَانَ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقًّا رِعَايَتْهَا فَأَتَيْنَا الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنَسِقُونَ

(سورة الحديد : آية ٢٧)

وقوله تعالى :

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ أَمْنَوْا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمْنَةِ

(سورة البلد : آية ١٧ - ١٨)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حامل المنهج الرباني الذي تتضمنه الرحمة ، اتصف هو صلت الله عليه وسلم والذين آمنوا معه بأنهم رحماء بينهم ، أشداء على الكفار بسبب كفرهم . كما قال تعالى في وصفهم :

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّ أَعْنَاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَبَّهُمْ رِكَاعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوانًا سِيمَا هُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْأَتْوَرِ لِهِ وَمُثَلُهُ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ سُطْنَاهُ فَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَطَ فَأَسْتَوَى
عَلَى سُوقِهِ يُعِجِّبُ الزُّرَاعَ لِيَغْيِطَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

(سورة الفتح : آية ٢٩)

فهذه صفة المؤمنين ، أن يكون أحدهم شليداً على الكفار ، رحيمًا بالأختيار عبوساً في وجه الكفار بشوشًا في وجه المؤمنين . (ابن كثير، جـ ٣، ص ٣٥٥) . وكما قال تعالى : ﴿وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً﴾ فالغلظة مطلوبة تجاه الكفار . أما الرحمة فهي مطلوبة بين المسلمين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (مسلم بن حجاج ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣) فالمؤمنون كرجل واحد في التراحم والتعاطف .

وصفة الرحمة كانت موجودة في الحواريين عند اتباعهم الانجيل الكتاب الذي أواه الله تعالى لسيدنا عيسى عليه السلام . وفي رسالة سيدنا محمد عليه السلام اتصف المؤمنون بالرحمة بل تواصوا بها فيما بينهم ، فقد كان المؤمنون الذين يعملون الصالحات يوصي أحدهم الآخر بالصبر على الأذى عن الناس متواصين على الرحمة بهم . (ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٦٤٢) . وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى : إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " (الألباني ، جـ ٣ ، ص ١٨٢) (ابن حبلي ، جـ ٢ ، ص ٥٥٤) . ومن لم يتصرف برحمة المؤمنين خصوصاً الصغار منهم فقد خرج من أمة محمد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبارنا ، فليس منا " (الألباني ، جـ ٣ ، ص ٣٥٦) (أبو داود ، جـ ١٣ ، ٢٨٧) (الترمذى ، جـ ٤ ، ص ٣٢١) .

والرحمة كمال في التكوين الفكري إلا أنها كشأن كل الكمالات الفطرية قابلة للتهذيب والتقويم والتحمية والترقية ، فمن تهذيبها وتقويمها حسن توجيهها للمواطن التي تستحق الرحمة ، وفق المفاهيم الإسلامية الحكيمية ، وصرفها عن المواطن التي لا تستحق الرحمة .

فحينما يقرر الإسلام ضرورة إزالة العقوبة الصارمة بصاحب جنائية كبيرة فإن رقة قلب المؤمن ينبغي ألا تتأثر بمشاهدة العقوبة أو بتنفيذها ، ولو كان مستحق العقوبة قريباً أو صاحباً أو حبيباً ، فهذا ما أدب الله به المسلمين ودربهم عليه وأمرهم بعدم الانسياق للرحمة في هذا الموقف كما قال تعالى :

الْرَّانِيَةُ وَالرَّازِيَ فَاجْلِدُوا كُلَّنَا حِدَّةً مِنْهُمَا مَائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذُكُمْ
 بِإِيمَانَكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِشَهَادَةِ
 عَذَابِهِمْ أَطْلَافَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(سورة التور : آية ٢)

الرأفة بالغير الغير مطلوبة وهي التي تكون في شرع الله وعلى سبيل المثال ليس المنهي عنه هو الرأفة الفطرية إنما الرأفة التي تؤدي إلى ترك الحد فلا يجوز ذلك " (ابن كثير، جـ ٢ ، ص ٥٩) . وعدم الرأفة في الحدود مطلوبة لأن من تشويه فطرة الرأفة وإفسادها توجيهها لمن لا يستحقها ، فالرحمة التي تستدعي كف العقاب عن الظالمين منها لأنها تجعلهم بالعفو عنهم يتمادون في طغيانهم وظلمهم . فهذه رحمة مفسدة ومثلها رحمة الأم الرعناء التي تهمل تأديب ولدها مهما أساء حتى تفسده و تكون قد أضرته لأنها نفعته .

فالرحمة هي ميدان العدالة الحقة بين الحاكم والمحكوم عليه القوي والضعيف، والصغير والكبير ، والسيد والخاد ، وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حضور بعض الولاة والناس وخطب قائلاً : " ألا أني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى فوالذي نفسي بيده لأقتله منه " فوقف عمرو بن العاص قائلاً : يا أمير المؤمنين أن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب رعيته أئنك لتقتضي منه ، قال : أي والذى نفس عمر بيده ، إذن لأقصنه منه . كيف لا أقصنه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتضي من نفسه ، ألا تضربوا أبشار المسلمين فتلدوهم ، ولا تمنعوه حقوقهم فتكفروهم . (البكري) .

كذلك من العدالة المنشقة من الرحمة ، الرحمة بالملوك إذا ضربه سيده فكفارته أن يعتقه ، كما روي " عن أبي عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لطم ملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه " (الألباني، جـ٥، ص٣٥٤) (البيهقي، جـ٨، ص١٠) .

إن الباعث على الرحمة في نظر الإسلام المشاركة الوجданية ، والتعاطف الانساني ، والهدف منها كشف الضر والعذاب عن الآخرين . فهذه صفة المسلم الكامل الإيمان ، كما روي "عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده ، والهاجر من هجر ما نهى الله عنه " (الألباني، جـ٦، ص١٨) (البيهقي، جـ١٠، ص١٨٧) . و " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " (الألباني، جـ٦، ص١٨) (البيهقي، جـ١٠، ص١٨٧) .

ولتنمية عاطفة الرحمة وترقيتها يعمل الإسلام على تدريب النفس على الشعور بمشاعر الرحمة مرة بعد مرة عن طريق ممارسة الأعمال التي تدفع إليها الرحمة عادة . وايقاظ كوامن الرحمة في النفس ، وتركها تتلذذ بمشاعر العطف فهو كفيل بتغذية دوافها ويتسميتها مهما كانت أصواتها ضعيفة في أعماق الوجدان . (الميداني، جـ٢، ص٧-٨) . وهذا علاج أرشد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم لاكتساب الرحمة وإزالة قسوة القلب والوجدان ، كما روي " عن الطبراني ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو قسوة قلبه فقال له : كما روي " عن أبي الدرداء : أتَحْبُّ أَن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ أَرْحِمْ الْيَتَيْمَ ، وَأَمْسِحْ رَأْسَه ، وَأَطْعَمْه مِنْ طَعَامَك يلين قلبك ، وتدرك حاجتك " (الألباني، جـ١، ص٨٠) (ونستك وآخرون، جـ٥، ص٣٩٠) .

فهذا أسلوب تربوي لاكتساب الرحمة التي قد تضمر أو تقوت في القلب بسبب الاستغراق في التلذذ بالترف ومظاهر الحياة الدنيا والتنافس على الحصول عليها . كما

قال تعالى :

الَّمَّا مِنْ لِلَّذِينَ إِمْنَوْا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنِسْقُوتُ

(سورة الحديد : آية ١٦)

إِذَا كَانَ الْإِسْتِغْرَاقُ فِي مَلَذَاتِ الدُّنْيَا يُضَعِّفُ الْخُشُوعَ لِذِكْرِ اللَّهِ فَمَنْ بَابُ أُولَى
أَنْ يُضَعِّفَ الْوَجْدَانَ عَنِ الرَّحْمَةِ بِالآخَرِينَ نَتْيَاجَةُ الْإِنْعَمَاسِ فِي مَلَذَاتِ الْحَيَاةِ وَمَطَامِعِ
الْدُّنْيَا .

٥ - الإِيَّاثَارُ :

يعتبر الإيثار من العواطف الإيجابية في نظر الإسلام . وهو أعلى درجات الحب
كأن يؤثر الإنسان أخيه على نفسه فيجود له بالشيء وهو محتاج إليه ، يجوع ليشع
أحشه ، ويُكدر ليرتاح ، ويُسهر لينام . (القرضاوي ، ط٤ ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٨٦) .
فهؤلاء الناس الذين يتصفون بهذه الصفة الحميدة من العاطفة قد ذكرهم القرآن

الكريم كما قال تعالى :

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يَحْبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَائِصَةٌ
وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(سورة الحشر : آية ٩)

فهؤلاء هم المهاجرون الذين سكروا دار الهجرة وآمنوا قبل كثير منهم . (ابن كثير - تحقيق الصابوني ، ط٧، ج٢، ١٤٠٢هـ، ص٤٦٣) . وكما روي " عن عمرو ابن ميمون قال : قال عمر رضي الله عنه : أوصى الخليفة بالهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، وأوصى الخليفة بالأنصار الذين تبوعوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم . (البخاري، ١٣٤٨هـ ، ج٨، ص٥١٢) .

وقوله تعالى : ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ أي أن العاطفة هنا تمثل فيها كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم . " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " فقد روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يضيّفه هذه الليلة يرحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لأمراته ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخره شيئاً قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال : فإذا أراد الصبية العشاء فومنهم وتعالي ، فأطفيء السراج ونطوي بطوننا ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (البخاري ، ج٨، ص٥١٢-٥١٣) .

فهذا المعنى للايمان مقطوع من جذوره في بيات الملحدين والماديين ، فإن المؤمنين يؤثرون ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالي ومرضاته ومثوبته في الدنيا والآخرة ، وأما أولئك فلوجه من يؤثرون وعلام يؤثرون ؟

فليس في الدنيا حب كريم أصيل وعاطفة نقية ووجدان سام يعلو على الشهوة والمنفعة كاحب الذي أرسى الإسلام ركائزه بين المسلمين في المدينة . وقد روی " عن أبي وائل عن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيمة " (ابن حنبل ، ط ٢ ، ٤١٤ هـ ، ص ٧ ، ٦٧) .

فالإسلام ربط بين قلوب معتقده بأعمق رباط وأعمق أثر فهي رابطة العقيدة والمشاركة في المثل العليا . فهناك تعود الكثرة وحدة وتصبح النفوس كالمرايا المقابلة تعكس صور بعضها في بعض ، بل كثيراً ما تستغنى هذه الوحدة الروحية عنسائر الوحدات الأخرى ، فتتعقد بها أقوى الوسائل وأدومها رغم اختلاف الأجناس ورغم تباعد الديار ، وتفاوت المصالح . (القرضاوي ، ص ١٨٧-١٨٨) .

ذلك هو الإيشار المثالي الأسمى الذي يكون عند الطراز الراقي من المؤمنين الصادقين ، فهو ليس ايشاراً افعالياً عاطفياً مجرداً ، ولكنه ايشار يعتمد على محاكمة منطقية سليمة ، ويعتمد على عاطفة إيمانية عاقلة ، وكذلك تكون أعمال المؤمنين بالله ، الذين يحرصون على ابتغاء مرضاته . والمحاكمة المنطقية لديهم قائمة على أن كل ما يعملونه ابتغاء مرضاه الله مأجورون عليه عنده اضعافاً مضاعفة في دار هي أعظم من هذه الدار ، وحياة هي أجمل وأكمل من هذه الحياة ، فايشارهم وتضحياتهم من قبيل التجارة الرابحة قطعاً ، وقائمة ايضاً على ملاحظة ان كل عمل فيه تحقيق لمرضاة الله هو العمل الأفضل والأفعى والأصلح في الحياة . والعاطفة الإيمانية العاقلة لديهم قائمة على حب الله ورسوله ، وحب ما يرضي الله ورسوله . (الميداني ، ط ٢ ، ٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٤٥٢-٤٥٣) .

هذه هي التربية الإسلامية الحمدية المتمثلة في تربية الوجدان لحب الايشار والتي جعلت سيدنا أبا بكر رضي الله عنه يقدم كل ماله في موسم من مواسم البذل والعطاء إذ دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه إلى البذل في سبيل الله. وما سأله الرسول صلى الله عليه وسلم : ماذا تركت لعيالك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله . وهي التي جعلت سيدنا عمر بن الخطاب يقدم نصف ماله في سبيل الله ، وهي التي جعلت سيدنا عثمان بن عفان يجهز جيش العسرة ، وهي التي علمت الأشعريين أن يشتراكوا فيما عندهم من طعام إذا قل طعام عيالهم . (الميداني، جـ ٢، ص ٤٥٥) . كما روي "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الأشعريين إذا أرملا في الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إماء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم . (مسلم بن حجاج - تحقيق الألباني، ١٣٨٩هـ، ص ٤٦٢) .

وليس بعد الايشار درجة في السخاء ، وقد أثني الله على الصحابة رضي الله

عنهم به كما قال تعالى :

أَوَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(سورة الحشر : آية ٩)

فالسخاء خلق من أخلاق الإيمان والإيشار أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيماً كما قال تعالى

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيٍّ : قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا رَبِّ أَرْنِي بَعْضَ دَرَجَاتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْتَهُ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنْ تَطِيقَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَرِيكَ مَنْزَلَةً مِنْ مَنَازِلِهِ خَلِيلِهِ عَظِيمَةً فَضْلَتِهِ بِهَا عَلَيْكَ وَعَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ : فَكَشَفَ لَهُ عَنْ مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ فَنَظَرَ إِلَى مَنْزَلَةِ كَادَتْ تَتَلَفَّ نَفْسَهُ مِنْ أَنْوَارِهَا وَقَرْبَهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ : يَا رَبِّ بِمَاذَا بَلَغْتَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الْكَرَامَةِ ؟ قَالَ بِخَلْقٍ إِخْتَصَّتِهِ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَهُوَ الْإِيَّارُ ، يَا مُوسَىٰ لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ مِنْهُمْ قَدْ عَمِلَ بِهِ وَقْتًاً مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا اسْتَحْيَيْتُ مِنْ مَحَاسِبِيَّتِهِ وَبِأَتَهِ مِنْ جَنْتِي حَيْثُ يَشَاءُ " (الْغَزَالِيُّ، (د.ت)، ج٣، ص٢٥٢).

وَهَذَا الْخَلْقُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ التَّابِعِينَ فِي الْإِيَّارِ ، أَثْرٌ حَتَّىٰ فِي الْغَلْمَانِ الصَّغَارِ فَتَأْسُوِي بِهَذِهِ الصَّفَةِ . قِيلَ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ جَعْفَرٍ إِلَى ضَيْعَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَلَىٰ نَخْلِيْلِ قَوْمٍ وَفِيهِ غَلَامٌ أَسْوَدٌ يَعْمَلُ فِيهِ إِذَا أَتَىٰ الْغَلَامَ بِقُوَّتِهِ فَدَخَلَ الْحَائِطَ كَلْبٌ وَدَنَا مِنَ الْغَلَامِ فَرَمَى إِلَيْهِ الْغَلَامَ بِقَرْصٍ فَأَكَلَهُ ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ فَأَكَلَهُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ يَنْظَرُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا غَلَامَ كَمْ قَوْتَكِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتَ قَالَ فَلَمْ آثِرْتُ هَذَا الْكَلْبَ قَالَ : مَا هِيَ بِأَرْضِ كَلَابٍ إِنَّهُ جَاءَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَائِعًا فَكَرِهْتُ أَنْ أَشْبِعَ وَهُوَ جَائِعٌ قَالَ : فَمَا أَنْتَ صَانِعُ الْيَوْمِ قَالَ : أَطْوَيْ يَوْمِي هَذَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ : أَلَامَ عَلَىٰ السَّخَاءِ إِنَّ هَذَا الْغَلَاءَ أَسْخَىٰ مِنِي فَأَشْتَرِي الْحَائِطَ وَالْغَلَامَ وَمَا فِيهِ مِنْ الْآلاتِ فَاعْنَقَ الْغَلَامَ وَوَهَبَهُ مِنْهُ " (الْغَزَالِيُّ ، ج٣، ص٢٥٢).

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَهْدَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَ شَاهٍ فَقَالَ : إِنَّ أَخِي كَانَ أَحْوَجَ مِنِي إِلَيْهِ فَبَعْثَ بِهِ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزُلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَبْعَثَ بِهِ إِلَى آخرٍ حَتَّىٰ تَدَاوَلَهُ سَبْعَةُ أَيَّاتٍ وَرَجَعَ إِلَى الْأُولَى . (الْغَزَالِيُّ، ج٣، ص٢٥٢).

فدوافع الإيشار هي الحرص على كسب الثواب العظيم الذي أعده الله للمتقين والمنقين المؤثرين غيرهم فهم المفلحون . فقمة الكرم والغيرة ترشح المؤمنين ليكونوا في عداد المرضيin المقربين الله تعالى . والحب كذلك دافع قوي للتضحية كحب الأم لابنها يجعلها تتعب وتسهر ليرتاح ابنها وتشقى ليسعد ، وحب الأب لزوجته وأولاده يدفعه لأن يقدم ثرة جهوده وأتعابه وسهره وكفاحه أمام أفراد أسرته دون حساب ودون أن يتضرر منهم أجراً لبر أو وفاء لصنعي إلا نجاحهم وسعادتهم . فليس هناك ايشار أعظم من هذا .

كذلك الرحمة بالمحاجين . فإن حب الإنسان لأخيه الإنسان يدفعه لكي يؤثر مصلحة غيره على مصلحته رغم حاجته . ولو لا أنه يشعر بسعادة عارمة تفوق تلك التي يشعر بها حين يلبي حاجته الخاصة لما آثر غيره على نفسه . (مبيض ، ص ١٢٦ - ١٢٧) . فهذه قمة التربية الوجدانية ، وقمة العاطفة الوجدانية التي تعمل على ربط العلاقات بين الأفراد . فالإيشار له أكبر الأثر في توثيق الحبة بين الأفراد في المجتمع ، إذ يجعلهم متعاونين ، بعكس الأثرة التي تجعل صاحبها مكروهاً منبوذاً من المجتمع لأنه لا يرغب أن تؤدي حقه فيه . فهذا ما يحمله الإيشار من سعادة لصاحبه . فمن أهم مكتشفات علم النفس الحديث ما ثبت علمياً أن سعادة الإنسان لا تتحقق بغير تضحية النفس في سبيل الغير . (طبارة ، ٢٢٤ ، ١٩٨٣م ، ص ٣٢١) .

بـ- العواطف السلبية والطرق التربوية لعلاجها في الإسلام :

١ - البغض :

يعتبر البغض في المنظور الإسلامي من العواطف السلبية، وهو عاطفة سلبية نقية للعاطفة الإيجابية المتمثلة في الحب . والبغض عبارة عن الشعور بعدم الاستحسان وعدم التقبل أو الشعور بالنفور والاشتماز ، وبرغبة في الابتعاد عن الموضوعات التي تشير هذا الشعور ، سواء كانت أشخاصاً أو أشياء أو انفعالاً . (نجاتي، ط٣، ٨٤٠ هـ، ص ٨٨) .

والبغض أثر ما خالف الرغبة ، أو نافي الذوق من الأمور التي لا يرتاح إليها في مختلف الأحوال . ومن مظاهر البغض الأعراض عن المكره أو المبغوض ويظهر ذلك الأثر في السلوك متزماً لما يعتلي الوجدان . (جاد المولى، (د.ت)، ج١، ص ٢٤١).

كما أن عاطفة البغض هي التي تدعو صاحبها إلى الاحجام عن موضوعها والنفور منه. وت تكون هذه العاطفة مثلاً إذا قابل الشخص شخصاً آخر لأول مرة ولم يشعر نحوه بمشاعر طيبة لأنه كثير التهكم عليه وميل إلى التحدث عن عيوبه دون المحسن وشديد الجفاء ومعدوم المjalمة مما يؤثر في الوجدان ويثير فيه انفعالات في مجموعها مؤلمة ومنفرة، فمن هنا تتكون عاطفة البغض . (محمد، ١٤٠٥ هـ، ص ١٩٣-١٩٤).

ومن أسباب البغض أيضاً التنافس غير الشريف بين الناس في سعيهم وراء كثير من مطالب الحياة الذي قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى نشوء الغضاء والكراهية بينهم. (نجاتي، ط٢، ١٤١٣ هـ، ص ١٠٧) .

من أمثلة الأمور التي تؤدي إلى البغضاء تنافس الطلاب في الحصول على الدرجات والماكرز العليا إلا أن هذا التنافس في حد ذاته يعتبر شريفاً ومفضلاً إلا أنه إذا تخطى حدوده ووصل إلى مرحلة الكره الموجه إلى الطالب الذي يحصل على الأولوية ثم يحدث من الآخرين سلوك للحد من قدراته أو إيقاف خط سيره في النجاح كأن تخفي عنه كتبه أو حقيقته أو تشويه صورته كرميه بالأنانية أو غير ذلك من الصفات . فهذا من السلوك والخلق المنافي للشخصية المسلمة . فينبغي للفرد أن يتحلى بصفة البراءة من الغل . كما قال تعالى :

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا
وَلَا يُخْوِنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلَّا لِلَّذِينَ أَمْنَوْا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(سورة الحشر : آية ١٠)

فالإسلام أمر الفرد أن يحسن وجدانه من دخول الغل فيه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى .

ومن أسباب البغض حدوث سوء التفاهم كما هو الحال بين الزوجين . فالرغم من أن الحب هو أساس الحياة الزوجية إلا أنه قد يحدث سوء تفاهم وخلافات قد تؤدي إلى نشوء الكراهة والبغض بينهما ، والاسلام أشار إلى ما يحدث بين الزوجين من البغض والكراهة ، فدعا إلى محاولة التغلب عليها حتى يمكن للحياة الزوجية أن تستمر .
(نجاتي ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ ، ص ٨٨) .

قال تعالى :

أَيْتَاهَا الَّذِينَ

**مَاءَمُنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرَهًا وَلَا تَعْصُلُوهُنَّ
لِتَذَهَّبُوا بِعَيْنِ مَا إِنْتُمُو هُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ
مُّبَيِّنَةٍ وَعَالِسَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
أَنْ تَكْرُهُو أَشْيَاعَ وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**

(سورة النساء : آية ١٩)

وقد يكون البعض لشخص آخر أو يكون مجموعة من الأشخاص لاختلاف معهم في الرأي أو في الجانب الأيديولوجي . فقد كان الكفار والمنافقون يكرهون المؤمنين ويقددون عليهم . ومن الواجب على الفرد المؤمن والمؤمنون جميعاً لا يتوجهوا إليهم بالحب ، بل ينبغي أن يتعمق في وجدانهم الكره لهم وهذا ما يتطلبه كمال الإيمان سبحانه وتعالى وكتابه ورسله . كما قال تعالى :

**لَا تَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
كَاتَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْرَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لَتَّبَكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَيْمَنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْ خَلُّهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا أَلَانِهِرُ خَلِيلِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أَوْ لَتَّبَكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**

(سورة المجادلة : آية ٢٢)

وكمما قال تعالى :

**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ
مِّن دِيْرِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلُوْهُمْ وَمَنْ يَتُوْلُهُمْ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ**

(سورة المحتدنة : آية ٩)

وقوله تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْكُوا قَوْمًا مَّا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
فَدَيِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَعْسِي الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

(سورة المتحنة : آية ١٣)

فالمؤمن الصادق يحب في الله عباد الله المؤمنين ويبغض في الله الكفار وأعداء الدين لأنهم ممقوتون عند الله والمؤمن يكره الله ويبغض الله فهو يكره أن يعتدي أحد على حق من حقوق الله ، ويكره أن يرى أحداً يظلم الناس أو يفسد في الأرض أو يسفك الدماء بغير حق . فهنا يظهر المؤمن الصادق اليمان كرهه لهذه الأعمال السيئة ، فهو بهذا الجانب العاطفي يكون قد استكمل الإيمان . كما روي " عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أحب الله وأبغض الله واعطى الله ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان " (ناصف ، ١٣٥٤ هـ ، ج ٥ ، ص ٨١). (السيوطى ، ج ٢ ، ص ٥٠٧). و " عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ". (ناصف ، ج ٥ ، ص ٨١) (السيوطى ، ج ١ ، ص ٧٩). فالبغض في الله هو بغض الشرك والشر بكل صوره . فمن أحب لسبب بالضرورة أن يبغض لضده، واظهار البغض يكون بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته والاعراض والتبعاد عنه وقلة الالتفاتات اليه أو بالاستخفاف والتغليظ في القول وذلك بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه . أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم أنه متندم عليها فالأخلاقي فيه الستر والاغمام . (الغزالى ، ١٣١١ هـ ، ص ١٤٠) .

والاسلام وضع ضوابط للكراهة والبغض فهو لا يحارب الفطرة ، ولكنها يهذبها، إنه يريد للناس أن يحبوا وأن يغضبو لأن هذه فطرتهم ولكن الحب على اطلاقه والبغض على اطلاقه يدمران النفس والوجدان ويبددان طاقتها ويوزعنها ويستبعدها فلا تلك الخلاص فحين ينقلب البغض والكره الى شهوة لا ضابط لها فإنها لا تصطدم بالآخرين فحسب، بل يتصادم بعضها البعض داخل الوجدان وتؤدي الى البوار. فمن أجل ذلك يضع الاسلام ضوابط لشهوة البغض ، ضوابط تتصل بالروح ، وضوابط تتصل بالعقل وجميعها تتصل بالله " (قطب، ط٤، ١٤٠٠ هـ، ج١، ص١٤١) .

والأساس التربوي الذي وضعه الاسلام لعلاج عاطفة البغض الایمان ذلك لأن الایمان يعتبر مؤثراً قوياً للتخلص من البغض والكراهية للأخوان المؤمنين . فقد أشاد القرآن بالمؤمنين الذين سبقوهم بالایمان وألا يجعل في وجدانهم أي نوع من الانفعالات أو العواطف السلبية من كره أو بغض أو حقد وما إلى ذلك من الأمور التي ينقل الذنوب على العواتق . فكما قال تعالى :

وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا أَغْفِرْلَنَا
وَلَا إِخْرَجْنَا الَّذِينَ سَبَقُوْنَا بِإِلَيْمَنَ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوْرَبَنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(سورة الحشر : آية ١٠)

ففي المجتمع الاسلامي في الصدر الأول ضاقت دائرة البغض وانكمشت عاطفة الكره لأن الاسلام أوضح الجانب الذي ينبغي أن توجه له عاطفة البغض فلم يعد الفرد يبغض لفترة شخصية، ولم يعد يبغض لعصبية أو قومية أو اقلامية أو طبقية، ولم يعد

يبغض لداعف نفسي يتمثل في الحقد والحسد وإنما الخصر البغض في مجال واحد هو البغض في الله أي من أجل الحق وحده لا يستكمل إيمانه ، كما روي " عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب الله وأبغض الله واعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان " . (الألباني، ج ٥، ص ٢٢٩) (البيهقي، ج ١، ص ٩٠). فالإيمان يؤدي إلى تناسك وحدة المجتمع ، أما البغض فإنه يجعل الإيمان ضعيفاً. ومن ثم يجعل الروابط مفككة ، ثم يضعف المجتمع وهذه صفة الأمم الغابرة في الجاهلية. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم محدثاً من البغضاء فقال فيما روي " عن هشام بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دب إليكم داء الأمم قبلكم ، الحسد والبغضاء هي الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تhabوا أفالاً أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تخابتم ؟ افسحوا السلام بينكم " (ابن حنبل، ط ٢، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٣٤٨).

٢ - القسوة :

القسوة من العواطف السلبية في المنظور الإسلامي وهي عاطفة نقية الرحمه ، وتعبر القسوة من الصفات السيئة التي يجب أن يتقيها المسلم في سلوكه ويتجنبها في معاملاته وموافقه لأنها تؤدي إلى النتائج الوخيمة في التربية والمعاملة .

فالفرد الذي يتصف بالقسوة لا يكون محل القبول من الآخرين ، ولا يفلح في نيل موادتهم ، وكثيراً ما ينفض عنهم الناس ويتجذبون مخالطته ، فيعود عليه أسلوبه وسلوكه القاسي في التصرف باللجمة وسوء العاقبة .

وإذا تعامل الأفراد بعضهم معاً بالعنف والقسوة ، فإن القسوة تقودهم إلى الشحناء والبغضاء والتذمّر والتناحر وهو ما يؤدي إلى قطع أواصر القربي ويقلل من

روح التعاون والتكافل الاجتماعي ، ويقود إلى تفكك العلاقات التي تربط بين أعضاء المجتمع الواحد، مجتمع الأسرة أو المجتمع الكبير . (الزنتاني ، ١٩٨٤م، ص ٧١٩ - ٧٢٠).

لذلك نهى الاسلام عن اتباع اسلوب القسوة والغلظة في العمليات التربوية وفي التعامل مع المسلمين ككل . وأكيد على سوء عاقبة القسوة وضرورة اتقائها . فالمسلم الحق في نظر الاسلام هو الذي يكون لطيفاً رقيق المشاعر رفيقاً بالناس حين يحتك بهم ، فالرفق واللطف خصال حميدة يحبها الله سبحانه وتعالى في عباده المؤمنين لأنها تكسب من تحلى بها دماثة الخلق ورقة الجانب ، وحسن العشرة ، كما تجعل من يتحلى بها يكون قريباً من نفوس الناس محبباً إلى وجدانهم . كما هم محبوون في وجدانه . (الهاشمي، ١٤١٠هـ، ص ١٨٤).

كما قال تعالى :

وَلَا يُسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
أَدْفَعْ بِالْيَقِينِ هَيْ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا يُلْقِي هَمَّا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِي هَمَّا
إِلَّا ذُرُوحٌ حَظِيرٌ عَظِيمٌ

(سورة فصلت : آية ٣٤ - ٣٥)

ولقد جاءت النصوص متضاغفة متتابعة تحبب النفس الى الرفق وتحرض عليه وتوكد انه خلق عالٍ ينبغي أن يسود المجتمع الاسلامي ، وأنه ينبغي أن يتصرف به كل فرد عاش في المجتمع الاسلامي ووعي الأحكام الدينية واستثار بهدي الاسلام . وحسب الفرد المؤمن أن يعلم أن الرفق هو من صفات الله العليا التي أحبتها لعباده في الأمور كلها . (الهاشمي، ص ١٨٤).

فالله سبحانه وتعالى هو الرؤوف الذي وصفه الرسول صلى الله

عليه وسلم بالرفق وهو وصف منه سبحانه وتعالى كماروي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف " (الألباني، جـ ١، ص ١١٣) (السيوطى، جـ ١، ص ١٠٩). ولأن خلق الرفق عظيم ، فقد أثاب الله من اتصف به ، ولأنه زينه كل شيء فلا يحل الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء وتحل محله القسوة إلا شانه . كما روى " عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه " (مسلم، د.ت)، جـ ٨، ص ٢٢) . فالذى يحرم من عاطفة الرفق ويتصف بالقسوة فإنه يحرم الخير. كما روى " عن عبد الرحمن بن هلال قال : سمعت جرير بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حرم الرفق حرم الخير أو من يحرم الرفق يحرم الخير " (مسلم ، جـ ٨، ص ٢٢) .

فقد اتخد الاسلام طرقاً تربوية لعلاج القسوة وذلك باتخاذ الأسلوب المعاكس لها والتي تتمثل في الرفق في المعاملة مع الناس والصبر . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم المسلمين الرفق ويسددهم قوله وفعلاً إلى الذين وهو الأسلوب الأمثل الذي يليق بالمسلم . فالداعية يجب أن يكون خلقه اللين والرحمة والرفق بالعباد مهما كان الموقف مثيراً للحفاظ داعياً للغضب والاشتراك . (الهاشمي، ص ١٨٥) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم علم الصحابة السماحة واليسر والرفق في النصح والارشاد ، وفي معالجة المشكلات الاجتماعية عن طريق الرأفة لا بطريق القسوة والغلظة والشدة . ولا غرابة في ذلك ، فالرسول صلى الله عليه وسلم تلقى ذلك من الله سبحانه وتعالى في طريقة تعامله مع الرعية . فقال تعالى :

فِيمَارَحَمَةٍ مِنْ
 اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًاعَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

(سورة آل عمران : آية ١٥٩)

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبته الكرام التحلی باليسر والرحمة والرأفة وعدم القسوة في المعاملة كما قال : " إِنَّمَا بَعَثْتُمْ مَيْسِرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسِرِينَ " فهذا الأعرابي الذي لا يعرف أمور الدين ولا يعلم حرمة المساجد وضرورة تعظيمها وتطهيرها فسارع الصحابة إلى الأعرابي يريدون ضربه وتأديبه لأنّه أساء إلى المسجد، ففهم الرسول صلى الله عليه وسلم لأنّ الجاهل ينبغي أن يؤخذ معه أسلوب الرفق واللين وليس القسوة ليتلقي النصيحة بقلب راض ، فالضرب والقسوة مضره ولا تؤدي إلى نتائج حميدة . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّمَا بَعَثْتُمْ مَيْسِرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسِرِينَ " (الألباني، جـ ٢، ص ٢٨٥) (ابن حبّيل، جـ ٣، ص ٢٧) . فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم التعرض للأعرابي بالأذى والعنف والمسبة . ويكلفهم صلوات الله وسلامه عليه أن يوشوا على بوله دلوا من الماء تطهيراً للمكان من النجاسة ، ثم يدعو الأعرابي فيعلمه برفق ولين أن المسجد بيت من بيوت الله لاينبغي أن يحدث فيه أذى ويتطهّف معه عليه الصلاة والسلام حتى يشعر الأعرابي من نفسه بخطئه ويندم على عمله ويطلب العفو وهنا يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه مرشدًا لهم إلى طريق الرفق في الدعوة وليس بالقسوة (الصابوني، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ص ١٢٢).

بال في المسجد ، فوثب اليه بعض القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تذمروه ثم دعا بدلوا من ماء فصب عليه " (ابن ماجة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ١ ، ص ٨٦) . " وعن أبي هريرة قال : دخل اعرابي المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فقال : اللهم اغفر لي ونحمدك ، ولا تغفر لأحد معنا . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " لقد احتضرت واسعاً " ثم ول حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول فقال الأعرابي ، بعد أن فقه ، فقام : إلّي . بأبي وأمي فلم يؤنب ولم يسب . فقال : " إن هذا المسجد لا يبال فيه وإنما بُني لذكر الله وللصلوة " ثم أمر بسطل من ماء ، فأفرغ على بوله " (ابن ماجة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ١ ، ص ٨٧-٨٦) .

فبالرفق والتسهيل واللين والسماحة تفتح مغاليق القلوب ، ويدعى الناس إلى الحق لا بالعنف والتعسیر والقسوة والشدة والمواحدة والزجر ، فالناس بطريقهم ينفرون من الفظاظة والقسوة والخشونة والعنف ، ويألفون الرقة والرفق واللين . (الهاشمي ، ص ١٨٦) .

لذا كان قول الله تعالى لنبيه الذي سيحمل رسالته :

فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ
اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْكُنْتَ فَطَاغَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

كذلك زود الله موسى عليه السلام بضرورة توحيد اللين هو وأخوه هارون حين أرسلهما إلى فرعون فأوصاهمما أن يسلكا سبيلاً للرفق واللباقة واللين ، ولو كان المدعو من الطغاة الظالمين . فقال تعالى :

أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٢﴾ فَقُولَا لَهُ قُولًا لَّنَا
لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ
(سورة طه : آية ٤٣ - ٤٤)

فالرفق هدي الدين الاسلامي وهو السبيل الى النفوذ الى الوجдан وهو الخير كله . فينبغي للمسلم أن يتحلى بالرفق حتى مع أعداء الاسلام فلعل السلوك الطيب يكون سبيلاً للدخول في الاسلام . وهذا ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة . كما روي " عن أبي مليرة عن عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك ، قال وعليكم ، فقالت عائشة السام عليكم ، ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف أو الفحش ، قالت أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال ألم تسمعي ما قالت ، ردت عليهم ، فيستجاب لي فيهم ، ولا يستجاب لهم في " السام : هو اللعن . (البخاري ، د.ت) ، جـ٨، ص ١٠٦ .

ولقد بين الاسلام أن اجتناب القسوة والتخلص بالرفق وهو الخير لينصب على الأفراد والبيوت والمجتمع . فقد روي " عن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يحرم الرفق يحرم الخير كله " (الألباني، جـ٥، ص ٣٧٠) (البيهقي، جـ١٠، ص ١٩٣) . كما اعتبر الاسلام أن اتصف أهل البيت بالرفق دليل على محبة الله لهم . كما روي " عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا أحب أهل بيته دخل عليهم الرفق " (الألباني، جـ٢، ص ٩٠) (اهشمي، جـ٨، ص ١٩) (ونستك وآخرون، جـ٢، ص ٢٨٤) .

وعدم القسوة والاتصاف باللين والسهولة يكون ثوابه بعد عن النار وتحري عنها عليه . كما روي " عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم من تحرم عليه النار غداً؟ على كل هين ، لين ، قريب ، سهل " (الألباني، ج٢، ص٣٦٣) (الترمذى، ج٤، ص٦٤٥) .

٣ - الاستعلاء :

اعتبر الاسلام الاستعلاء من العواطف السلبية التي نهى عنها ، فالاستعلاء وما يرتبط به من جوانب ك الخيال والتغالي والتفاخر والماهاة والزهو والعجب بالنفس من الصفات التي تدل على عدم واقعية النفس ومعرفتها لحدودها وقدرها .

فالاتصاف بالاستعلاء يؤدي إلى خلل في الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، فالفرد المستعلي لا يكون محل القبول لدى الآخرين ولا ينال حبهم وموتهم ، بل يبذونه ويعزفون عن الاختلاط به ، نتيجة لما يلمسونه لديه من تكبر وتعالٍ وغطرسة ، وبذلك تؤول هذه الخلال السيئة ب أصحابها مآل الخسران والوبال ، فيفشل أصحابها في أداء دوره الايجابي البناء كعضو في الجماعة يشتراك معها في مصالح واحدة ويسعى معها إلى تحقيق أهداف مشتركة ويقدر ظروف أفرادها وقدراتهم وامكانياتهم ، ويقدر كرامتهم الإنسانية ، ويحب لهم ما يحب لنفسه من تكريم معنوي ، وتقدير أدبي .

فالاسلام حرم على المسلم الاتصاف بالكبر والخيال وغير ذلك من الصفات التي تؤدي إلى الاستعلاء والنظر إلى الغير نظرة الدونية لأنها صفات خلقية سيئة تتعارض مع تمام الإيمان الصادق ، وكمال الاسلام وتعود على الفرد والجماعة بأسوأ النتائج التي تفكك العلاقات والروابط بين الأفراد وتزرع روح البغض والكراهية والحسد والحقد بينهم ، وتحول بينهم وبين اللقاء البناء على دروب التراحم والتعاطف والتكافل .

فالإسلام اعتبر الذي يجر ثوبه من الخيلاء محروماً من نظره الله تعالى إليه يوم القيمة . كما روي " عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيمة " (مسلم ، ج ٦ ، ص ١٤٧) . و " عن ابن عمر أنه رأى رجلاً يجر إزاره فقال من أنت فانتسب له فإذا رجل من بني ليث فعرفه ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأذني هاتين يقول : " من جر إزاره لا يريد بذلك إلا المخلة فإن الله لا ينظر إليه يوم القيمة " (مسلم ، ج ٦ ، ص ١٤٧) .

والإسلام اعتبر الأسماء التي تدل على الاستعلاء مثل ملك الأموال وشاه شاهان وغيرها من الأمور المنهي عنها بل اعتبرها منازعة الله تعالى في صفاتة ، فالذي يتسمى بهذه الأسماء يعتبر منازعاً لله ومصيره النار والحرمان من الجنة . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أغيظ رجل على الله يوم القيمة وأخيشه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأموال زاد ابن أبي شيبة في روايته لا مالك إلا الله عز وجل . قال الأشعبي قال سفيان مثل شاهان شاه وقال أحمد بن حنبل سألت أبا عمرو عن اخناع فقال أوضاع " (مسلم ، ج ٦ ، ص ١٧٤) . فالاسم الذي يدل على التعالي وغيره من الأمور كلبس الشياطين أو الإشارات الأخرى التي تنتجه عن سلوك المتعالي والتكبر فأي تصرف ولو كان بسيطاً يصدر عن الوجود بروح الكبriاء ولو مثقال حبة خردل فإن صاحبها لا يدخل الجنة . كما روي " عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة . كما روي " عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرباء " (الألباني ، ج ٦ ، ص ٢٢٩) (مسلم)

(٣٤٨)

شرح التوسي، جـ١، ص٩٠). بل المتعالي والمتكبر يوضع في جهنم في سجن يسمى بولس تعلوه النار ويسقى من عصارة أهل النار - طينة الخبال إذلاً له نتيجة استعلائه في الدنيا . كما روي " عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبر يوم القيمة أمثال الذر في صور الرجال فيغشاهم الذل في كل مكان ، يساقون الى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنبار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال" (الألباني، جـ٦، ص٣٢٧) (ابن حنبل، جـ٢، ص٥٩٦) .

وسيدنا لقمان عليه السلام نصح ابنه بعدم الاستعلاء على الناس بالحركات السلوكية التي تبعث من الوجه كتعصيم الخد أو التبختر بالمشي أو الشعور الداخلي الذي ينبثق من الوجدان ويؤثر على الألفاظ والتحاطب ، فهذه النصيحة التربوية من الأب لابنه صفة الأنبياء الكرماء والتي يجب ان يقتدي بها المسلمون في تربيتهم وتناصحهم . وهذا ما يبينه قوله تعالى :

وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرْحَانًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْنَاطِ فَخُورٍ

(سورة لقمان : آية ١٨)

وقوله تعالى :

وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ

(سورة لقمان : آية ١٩)

فسيدنا لقمان ينصح ابنه يقول لا تصرخ خدك للناس ولا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم ، ولكن ألن جانبك وأبسط وجهك اليهم . كما جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : لا تخرقون من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخيك بوجه طلق" (صحيح مسلم، جـ، ٨، ص ٢٧) . " وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخيك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إماء أخيك " (الترمذى، ١٣٨١هـ، جـ، ٤، ص ٤٧) وقال ابن عباس يقول : لاتتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك وقال زيد بن أسلم : " لا تصرخ خدك للناس " لاتتكلم وأنت معرض ، وقال ابراهيم النخعى : يعني بذلك التشدق في الكلام ، والصواب : القول الأول . وقال الشاعر العربي عمرو بن حبي التغلبى :

وَكُنَا إِذَا أَجْبَارَ صَعْرَ خَدِهِ .. . أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلَهُ فَتَقَوْمَا
وَقُولَهُ : " لَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرْحًا " أَيْ خِيَالًا مُتَكَبِّرًا جَبَارًا عَنِيدًا لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ
يَغْضِبُكَ اللَّهُ وَهَذَا قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ " أَيْ مُخْتَالٍ مَعْجَبٍ فِي نَفْسِهِ
فَخُورٌ عَلَى غَيْرِهِ . وَقَالَ تَعَالَى :

وَلَا تَمْشِنَ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَكَ تَسْلُغُ
لِلْجَبَالِ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً وَعِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

فَاللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى نَهَى عَنِ التَّجْبَرِ وَالتَّبْخَرِ فِي الْمَشِيةِ قَاءِيَّاً وَهَذَا هُوَ مَشْيُ
الْجَارِيْنَ، فَالْتَّمَاهِيْلُ وَالتَّبْخَرُ وَالاعْجَابُ بِالنَّفْسِ لَيْسَ لَهُ قِيمَةٌ تَرْفَعُ مِنْ قَدْرِ الْإِنْسَانِ، إِنَّمَا
الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالْتَّوَاضِعُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الْقَدْرَ وَالْمَكَانَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَالإِسْلَامُ أَعْطَى مَكَانَةً لِمَنْ لَا يَرِيدُ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَذَلِكَ بِاعْطَائِهِمْ
النَّعِيمَ الدَّائِمَ . كَمَا قَالَ تَعَالَى :

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِمَعْلَمَهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقِيقَةُ لِلْمُتَّقِينَ

(سورة القصص : آية ٨٣)

إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَنَعِيمُهَا الْمَقِيمُ الَّذِي لَا يَحْوِلُ وَلَا يَزُولُ جَعْلُهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
الْمَتَوَاضِعِينَ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ تَرْفَعًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَتَعَاظِمًا عَلَيْهِمْ وَتَجْبِرَا بِهِمْ وَلَا فَسَادًا
فِيهِمْ ، قَالَ عَكْرَمَةُ الْعُلوُ التَّجْبِيرُ ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبَرٍ الْعُلوُ الْبَغْيُ ، وَقَالَ سَفيَانُ
الثُّوْرَيْ : الْعُلوُ فِي الْأَرْضِ التَّكْبِيرُ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : " لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ " تَعْظِيْمًا وَتَجْبِرًا . (ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٦). كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخُرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَغْيِي أَحَدٌ
عَلَى أَحَدٍ " (الأَلْبَانِيُّ ، ج ١ ، ص ١٠٠) (مُسْلِمٌ ، د.ت) ، ج ٨ ، ص ١٦٠).

٤ - الاحتقار :

يعتبر الاحتقار من العواطف السلبية في نظر الاسلام ، فالشخصية الاسلامية التي أشربت حب التواضع بعيدة كل البعد عن احتقار الناس والسخرية منهم ، ذلك أن أهدي القرآني الذي غرس فيها حب التواضع والبعد عن الكبر والاستعلاء نهاها في الوقت ذاته عن السخرية من الناس واحتقارهم . (الهاشمي، ط٤، ١٠، ١٤١٠هـ، ص٤-٢٢٥) . كما قال تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ
عَسَى أَنْ يَكُونُوا أَخْيَارًا مِنْهُمْ وَلَا إِنْسَانٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا
مِنْهُنَّ وَلَا نَهِمُّنَا أَنْفُسُكُمْ وَلَا نَنْبَرُنَا بِالْأَقْبَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(سورة الحجرات : آية ١١)

وقال تعالى :

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لَمَزَةٍ

(سورة الهمزة : آية ١)

فالغمز واللمز هو نوع من السلوكيات التي تتم عن الاحتقار للآخرين . فالغمز: هو تحريك العين نحو انسان استخفافاً به . واللمز : هو صدور حركة أو كلمة يقصد بها الاستهزاء بالانسان والتقليل من شأنه ، والغمز واللمز صفتان ذميمتان نهى عنهما الله تعالى . (ميسض، ١٤١١هـ، ص٤-٢٣٤) . فهذه الآية ﴿ ويل لكل همسة لمة ﴾ نزلت في الأحسن بن شريق ، فيما روى الصحاح عن ابن عباس . وكان يلمز الناس

ويعيهم : مقبلين ومديرين . وقال مجاهد ليست بخاصة لأحد ، بل لكل من كانت هذه صفتة . (القرطيسي ، ١٩٦٧م ، ج ٢٠ ، ص ١٨٣) .

والاسلام بين أن احتقار المسلم أخاه المسلم شر ، وأي شر : كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضه ، وماله ، ودمه ، التقوى ها هنا – وأشار إلى القلب – بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم " (الألباني ، ج ٦ ، ص ١٧) (الترمذى ، ج ٤ ، ص ٣٢٥) .

فالاسلام نهى عن إحتقار الآخرين بأي صورة كانت كبيرة أو صغيرة باللسان وغيره من الحواس . فلا يعتبر صحيح الاسلام من لم يسلم الناس من لسانه بالاحترار . كما روي " عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده " (الألباني ، ج ٦ ، ص ١٨) (البيهقي ، ج ١٠ ، ص ١٨٧) . وكما روي " عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده ، والهاجر من هجر ما نهى الله عنه " (الألباني ، ج ٦ ، ص ١٨) (البيهقي ، ج ١٠ ، ص ١٨٧) .

واعتبر الاسلام احتقار الناس نوعاً من الكبر كما روي " عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال : إن الله جليل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس " ومعنى بطر الحق دفعه ، وغمطهم احتقارهم . (النووي ، ٤١٤٠هـ ، ص ٥٠٩) .

فالإسلام أمر باحترام الآخرين وعدم الاستهزاء بهم أو تحقييرهم بأي صورة كانت من الصور سواء كان بالقول أو بالإشارة . فربما كان المستهزء به أفضل وأخير من المستهزئ ، فالاستهزاء والتحقير من العوامل التي تورث البغض والكرابحة فتترك آثاراً ضارة نفسياً في الوجودان ، كما أنها تقطع روابط المودة بين الأفراد . فهذه مثلها مثل الطعن في الشخص ، فهذا يؤدي إلى إثارة العداوة والكرابحة . ومن الأمور التي تؤدي إلى العداوة والكرابحة والتفكك الادعاء الشخصي بلقب يكرهه سواء كان اللقب المكره صفة توجه للشخص ذاته أو لأبيه أو لأمه أو لغيرهم من تربطه بهم صلة . (طبرة ، ط٢ ، ١٩٨٢ م، ص ٢٣٤) . فالتابzier بالألقاب من الأمور الموجبة للفسوق والخروج عن طاعة الله ، فلا يليق بالمؤمن أن يطلق عليه كلمة فاسق بعد أن عُرف بالإيمان ، فالذين لا يرجعون عن اقتراف هذه الخصال الذميمة فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم لأنهم عرضوها لسخط الله . (طبرة، ص ٢٣٤) .

كما أن الاستحقار والاستهزاء قد يجعل المستهزئ يختلف صفات ربما لا تكون موجودة في المستهزئ به فينقلها على الناس ويذيعها وينسبها إليه ويلبسها ثوب الصدق ثم يتناقلها الناس ، وفي ذلك ضرر لكلا الطرفين ، تشويه نظرة الناس إلى المستهزء به ، وأثم المستهزئ ، فهذا يؤدي إلى قطع الروابط الاجتماعية . (طبرة، ص ٢٣٤) .

فالاحتقار والسخرية تعتبر من أعمال الجاهلية التي أنكرها الإسلام . فالرسول صلى الله عليه وسلم عظم الأمر على عائشة رضي الله عنها عندما أشارت بيدها إلى صفة رضي الله عنها بأنها قصيرة . " فعن عائشة رضي الله عنها قالت : حكيت للنبي صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال : ما يسرني إني حكيت رجلاً وأن لي كذا وكذا ، قالت : فقلت : يا رسول الله إن صفة امرأة وقالت بيدها هكذا كأنها تعني قصيرة ، فقال : لقد مزجت بكلمة لو مزجت بها ماء البحر لمزج " (الزمي، ج٤، ص ٦٠)

فالاسلام نهى عن التحقيق حتى ولو كان ذلك بصفة موجودة في الإنسان خلقها الله فيه
كالقصر والعرج والخول وغيرها .

كما نهى الاسلام عن تحقيق الأعمال لأنها من أعمال الانسان التي قد يعتز بها
ويرجو ثوابها . فنهى الاسلام عن التحقيق وخصوصاً إذا صاحبه نوع من الحلف والتآلي
على الله كأن لا يغفر الذنب أو لا يقبل التوبة من كان ضعيف الهيئة والقوى . فقد روي
عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
والله لا يغفر الله لفلان : فقال الله عز وجل من ذا الذي يتأنى على أن لا أغفر لفلان
فإنني قد غفرت له ، واحببت عملي " (النووي، ٤١٤٠هـ، ص ٥٠٩) .

كما نهى الاسلام عن تحقيق العطایا والهدایا التي تكون بين الأفراد ، فإذا كان
المهدي أو المعطي ضعيف القدرة عن اهديه الكبيرة أو العطية الكبيرة فلا يحق أن تتحقق
من قبل المهدي إليه . فهذا من المعاملات التي تؤثر على نفسية الفرد وتؤثر على وجدانه
وتؤدي إلى تفكك الروابط الاجتماعية بين الأفراد . " فعن أبي ذر رضي الله عنه قال :
قال لي النبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرون من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهه
طلق " (مسلم، ج ٨، ص ٣٧) . " وعن عمرو بن معاذ الأشهلي عن جدته يقال لها
حواء قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن
أحداً كن جارتها ولو كراع شاة محرق " (الدارمي ، ١٤١٢هـ ، ج ١، ص ٤٢٣) .
وعن " أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا نساء
المسلمات لا تحقرن جارة جارتها ولو فرسن شاة " (الألباني، ج ٦، ص ٣٠٩) (البيهقي،
ج ٦، ص ٦٠) .

والاحتقار له آثار سلبية على الفرد والمجتمع ، فالفئة التي يصدر عنها الاحتقار
ترتب على احتقارها للفئة الأخرى حرمانها من المساواة في الحقوق والواجبات بدون

سبب بل قد تكون الفئة المختقرة أهلاً وأجدر لکثير من الأدوار والأعمال بينما تكون الفئة المختقرة ليست أهلاً لها ، وإنما تستبد بها لقوتها أو كثرتها فيزتـب عليهـ حقـ الفـئـةـ المـختـقـرـةـ الـتيـ حـيـلـ بـيـنـهاـ وـبـيـنـ ماـ هـيـ أـجـدـرـ بـالـقـيـامـ بـهـ ،ـ وـقـدـ تـسـعـ لـسـلـبـ الفـئـةـ الـتـيـ حـرـمـتـهـاـ مـنـ حـقـوقـهـاـ وـمـاـ بـيـدـهـاـ مـنـ مـقـالـيدـ الـأـمـوـرـ الـتـيـ جـعـلـتـهـاـ وـسـيـلـةـ لـلـتـعـالـيـ فـاـذـاـ نـجـحـتـ فـيـ ذـلـكـ اـذـاقـتـ الـفـئـةـ المـخـتـقـرـةـ أـشـدـ أـنـوـاعـ الـإـيـذـاءـ وـالـسـخـرـيـةـ وـالـاحـتـقـارـ جـزـاءـ وـفـاقـاـ .ـ فـاـلـجـمـعـ الـذـيـ يـحـتـقـرـ بـعـضـ أـفـرـادـهـ بـعـضـاـ وـيـسـخـرـ بـعـضـهـمـ مـنـ بـعـضـ مـعـرـضـ لـلـفـوضـيـ وـالـفـقـنـ وـعـدـمـ الـأـمـنـ وـالـاطـمـئـنـانـ .ـ (ـقـادـريـ،ـ ١٤٠٩ـهـ،ـ صـ٢٩٤ـ)ـ .

فالإسلام عندما نهى عن الاحتقار إنما كان يرمي من وراء ذلك إلى الإجاد مجتمع فاضل كريم يكون المعروض هو السائد فيه لا المنكر وما نهى عنه، فالخيرية تأتي بالوجود النقي من السلبيات العاطفية والمتسم بالإيجابيات من العاطفة . كما قال تعالى:

اَكُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْلَاءُ امَّنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِيقُونَ

(سورة آل عمران : آية ١١٠)

٥ - الغيرة :

تعتبر الغيرة في نظر الإسلام من العواطف السلبية إذا ما اتخذت في المواقف العاطفية بين الأفراد وكانت نتيجة المغالاة في الحبة أو التنافس بين الأفراد . فهذه العاطفة تتوجه نحو الأشخاص الذين يحبهم الإنسان ، فتدفعه عاطفة حبه إلى الغيرة عليهم وعلى اعراضهم ومصالحهم فإذا كانت في سبيل الحق فهي إيجابية أما إذا كانت في غير ذلك فهي سلبية .

ومن أبرز الأدلة على ذلك غيرة الزوجين ، فتتشابك مع عاطفة الغيرة عواطف الحب والاعتزاز والتقدير ، أو الحقد والبغض وما إليها .

فإِلَيْسَ الْإِسْلَامُ يَقْرِئُ عاطفة الغيرة ، وَلَكِنْ يَعْمَلُ عَلَى تَعْدِيلِهَا وَتَوازِينِهَا وَتَهْذِيبِهَا وَتَوجيهِهَا الْوِجْهَةُ الْخَيْرَةُ الَّتِي تَسْاعِدُ الْفَرَدَ عَلَى حَفْظِ عَقِيدَتِهِ وَحَيَاةِ عَرْضِهِ وَشَرْفِهِ وَكَرَامَتِهِ ، وَصِيَانَةِ أَخْلَاقِ جَمَاعَتِهِ . كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ لِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحَ مِنَ اللَّهِ " (الدَّارَمي ، ١٤١٢هـ) .

ج ٢، ص ٥٨٧ .

ويقول القشيري : الغيرة غيرتان غيرة الحق سبحانه وتعالى على العبد : وهو أن لا يجعله للخلق قيس به عليهم ، وغيرة العبد للحق : وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وانفاسه لغير الحق تعالى ، فيقال : أنا اعأر الله تعالى ، فالغيرة لله تعالى توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له سبحانه وتعالى . (القشيري ، ١٤١٠هـ ، ص ٢٥٧) .

والغيرة التي يصاحبها الانفعال الناتج عن العاطفة ، وهو انفعال مكدر بغض يشعر به الإنسان عادة إذا شعر أن الشخص المحبوب يوجه انتباذه أو حبه إلى شخص آخر غيره . وهي من الأنواع الشائعة بين الأفراد ، فقد تحدث بين الأخوة . كما جاء في القرآن عن غيرة أخوة سيدنا يوسف عليه السلام منه بسبب حب أبيهم يعقوب عليه السلام له ولأخيه الأصغر منه بنيامين وتفضيله لهما عليهم . (نجاتي ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ) .

ص ٩٠-٩١ . كما قال تعالى :

إِذْ قَالَ الْوَالِيُّوسُفُ وَأَخْوُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ
أَبِيهِنَا مِنَا وَنَحْنُ عَصِبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ أَفَلَوْا
يُوْسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمْ وَتَكُونُو مِنْ
بَعْدِهِ قَوْمًا مَاصِلِّحِينَ

(سورة يوسف : آية ٨ - ٩)

والغيرة انفعال مركب توجد فيه عناصر من عدة انفعالات أخرى كالكره والخذلان والانتقام . ولذلك فغالباً ما تكون الغيرة مصحوبة بالكره والخذلان والرغبة في ايذاء الشخص الذي يثير الغيرة . وقد وصف القرآن ذلك ايضاً فيما ذكر عن رغبة إخوة سيدنا يوسف عليه السلام في قتله والتخلص منه ، وفيما قاموا به فعلاً من القائه في غور البئر . (نجاتي، ط٣، ٤٠٨ هـ، ص ٩١) . فالغيرة بين الاخوة تعكس مظاهرها السلبية على السلوك كما هو حال إخوة سيدنا يوسف حين فعل يوسف وأخاه بنيامين فكان من نتائج هذا التفضيل تولدت الغيرة في وجدان الأبناء على المفضل عليهم . فتولد عن التفاوت في درجات الحب الأبوى عنصر الغيرة والتحاسد حيث قادت الغيرة بعض الأخوة إلى اضمار جريمة القتل والاعتداء ، وواحد منهم فقط هو الذي أشار إلى طرح يوسف في الجب لتلقيطه بعض القوافل السيارة كما بين ذلك القرآن الكريم في

قوله : إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا

أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتَلُوا
يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ
بَعْدِهِ قَوْمًا صَنِلِّيَّينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَاتِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَقْتُلُوْا يُوسُفَ
وَالْقُوَّهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبَّ يَلْقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَهُ إِنْ كُثُرَ

فَتَعْلَمَنَ ﴿١٠﴾
(سورة يوسف : آية ٨ - ١٠)

لقد طمست الغيرة منافذ الرحمة في قلوب هؤلاء الأخوة والتفكير السوي في عقوفهم فيلهم سوط الغيرة ليدفعهم إلى التفكير في التخلص من يوسف عليه السلام بأية وسيلة ولو كانت القتل ، ثم ينساب ينبع الرحمة من قلب أحدهم فيخفف القتل إلى الطرد والشرىيد ، إذ الغاية ابعاده عن موطن يتدفق عليه فيه عطف الوالد وجهه تدفقاً يبعث على الغيرة وتلمس هنا سرعة الانتقال والاقتناع ، فالمهدف الاهتداء إلى وسيلة للتخلص . (ناجي، د. ت) ، ص ٦١-٦٢ .

وكما أن الغيرة قد تكون بين الأخوة نتيجة تفضيل الوالدين أو أحدهما لواحد من الأبناء دون الآخرين كذلك قد تحدث الغيرة بين الزوجات حتى وإن لم يكن هناك تفضيل من الزوج لزواجهن دون الآخريات . ولأن المرأة بطبيعتها عاطفية فإنها تغار من يحاول أن يستأثر بمن تحبه .

وقد أثبت الإسلام وجود عنصر الغيرة لدى المرأة كما هو واضح في سورة

التحريم في قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَا تَحْرِم مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ تَبْشِّرُ مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ لِرَحْمَم

(سورة التحريم : آية ١)

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلًا عند زينب ابنة جحش ويكت عندها فواطيت أنا وحفصة عن أيتها دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير ، قال لا ولكنني كنت أشرب عسلًا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبرني بذلك أحداً " (البخاري، ج٦، ص٤٩) .

وعن ابن جرير قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمر يقول سمعت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكت عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلًا فتواصيت أنا وحفصة أن أيتها دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلًا عند زينب ابنة جحش ولن أعود له فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَا تَحْرِم

ما أحل الله لك .. إلى أن تتوبا إلى الله لعائشة وحصة ، واذ أسر النبي إلى بعض أزواجه ، لقوله بل شربت عسلًا " (البخاري ، ج ٧ ، ص ٥٦-٥٧) .

" وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فيدنو من اهداهن ، فدخل على حصة بنت عمر، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فغرت فسألت عن ذلك، فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكسة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لتخالن له ، فقلت لسودة بنت زمعه إنه سيدنوك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فإنه سيقول لك لا ، فقولي له ما هذه الريح التي أجد منك فإنه سيقول لك سقتي حصة شربة عسل ، فقولي له جرست نحلة العرفط ، وسأقول ذلك، وقولي انت يا صفية ذاك قالت تقول سودة ، فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أباديه بما أمرتني به فرقاً منك ، فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال لا ، قالت : فما هذه الريح التي أجد منك ؟ قال لا ، قالت : فما بهذه الريح التي أجد منك . قال سقتي حصة شربة عسل ، فقالت جرست نحلة العرفط ، فلما دار إلى قلت له نحو ذلك ؛ فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حصة قالت : يا رسول الله ألا أسيقيك منه ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، قالت تقد سودة والله حرمناه ، قلت لها اسكنني " (البخاري ، ج ٧ ، ص ٥٧) . فالشرع اعتبر الغيرة ذنبًا يجب التوبة منه على ما كان فيه من الميل عن الصواب كما هو التوجيه

من الله تعالى :

إِنَّ نُوبَةً إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَّتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَاحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَلِكَ طَهِيرٌ

(سورة التحريم : آية ٤)

فَاللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى حَثَّهُمَا عَلَى التَّوْبَةِ مِنَ الْمُيْلِ إِلَى خَلَافِ مَحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَنْهَا أَحْبَتْ مَا كَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ اجْتِنَابِ جَارِيَتِهِ وَاجْتِنَابِ الْعَسْلِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ الْعَسْلَ وَالنِّسَاءَ . (القرطبي، ١٩٦٦م، ج١٨، ص١٨٨) . فَأَمْرُهُمْ بِالتَّوْبَةِ لِمَا تَعَاظَمُوا وَتَعَاهَدُوا بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتْيَاجَةُ الْغَيْرَةِ الَّتِي أَدَتْ إِلَى الْمُعْصِيَةِ وَالْإِيْزَاءِ . وَقَدْ رَدَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ :

عَسَى رَبِّهِ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنِيلَتِ تَبَدَّلَتِ عَيْدَاتِ سَيِّحتِ
ثَيَّبَتِ وَأَبَكَارًا

(سورة التحرير : آية ٥)

فهذا وعد من الله تعالى عليه بشروط وهو التطليق ولم يطلقهن ، ان يزوجه في الدنيا نساء خيراً منها ، والله عالمًا بأنه كان لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته ، على أنه إن طلقهن أبدلها خيراً منها تخويفاً لهن . (القرطبي ، ١٩٦٦م، ج١٨، ص١٩٣) . " وعن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه : اجتمع نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغيرة عليه فقلت له عسى ربه إن طلقكن أن يبدلها خير منكن . فنزلت الآية ... (البخاري ، ١٣٤٨هـ، ج٨، ص٥٣٥) .

فالغيرة المطلوبة من الفرد المؤمن هي الغيرة التي تكون للحق وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله أو تصرفاته لغير الحق للله تعالى ، أما الغيرة فيما عدا ذلك فليست مرغوبة ،

بل مطلوب من المؤمن أن يدعو الله تعالى أن يبعدها من وجدانه فلا تعزره ، كما قال تعالى موضحاً الدعاء المطلوب حيال ذلك :

وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِ هُنَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا
وَلَا إِخْرَجْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْهِمْ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا^{عِلَّاتٍ لِلَّذِينَ أَمْنَوْا بِنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}
(سورة الحشر : آية ١٠)

والغيرة المرغوبة هي الغيرة على العرض والشرف ، والغيرة على المحرم ، وقد كان لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة الغيرة قوله وفعلاً . فقد روي " عن المغيرة قال : قال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلاً مع امرأته لضربيه بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتعجبون من غير سعد لأننا أغير منه والله أغير مني " (البخاري ، ج ٨ ، ص ٢١٥) .

فمن تعظيم حقوق الله التي تتطلبها الغيرة المحمودة عدم الدخول على النساء في غيبة الزوج أو المحرم الولي . فقد روي " عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يارسول الله افرأيت الحمو قال الحمو الموت " (مسلم ، ج ٧ ، ص ٧) . وحدثنا أبو الطاهر . أخبرنا ابن وهب قال : سمعت الليث بن سعد يقول الحمو أخي الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه " (مسلم ، ج ٧ ، ص ٧) .

ومن تعظيم حقوق الله التي تتطلبها الغيرة المحمودة الاستئذان عند الدخول في المنزل ثلاث مرات قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، وبعد صلاة العشاء ، بهذه الأوقات الثلاث مطالب الفرد المسلم الاستئذان فيها والتعمد على ذلك قبل بلوغ الحلم ليتربي الفرد على الاستئذان ويكون عادة له عندما يكبر ويبلغ الحلم . كما قال تعالى :

إِنَّمَا يَأْتِيهَا الظِّنَّةُ مَنْ أَمْنَى

لِيُسْتَغْرِفُكُمُ الَّذِينَ مُلِكُوكُمْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعُغُوا الْحَلْمَ مِنْكُمْ
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ شَابِكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ
 وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوَرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
 وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى
 بَعْضٍ كَذَلِكَ يَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾
 وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحَلْمَ فَلَيُسْتَغْرِفُوا كَمَا أَسْتَذَنَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيَّتِيهِ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(سورة النور : آية ٥٨ - ٥٩)

فالاستذنان يشمل الأقارب بعضهم على بعض والأجانب بعضهم على بعض
 وذلك دحضاً للغيرة . وما يتولد في الوجدان من أمراض نفسية .

٦ - حب الذات (الأناية) :

تعتبر العواطف المتجهة نحو الذات من العواطف السلبية حيث تتركز حول الذات فقط أو ما يدور في فلكها . فالطفل في نشأته الأولى يتوجه بعواطفه إلى إرضاء ذاته، وتلبية رغباته وإشباع نوازعه . وإذا غا الطفل وظل شديد التعلق بالعواطف التي تدور حول ذاته وحدها ، ولم يلق التوجيه التربوي السليم لتعديل اتجاهاته الأنانية ومشاعره الفردية فإن عواطفه تنقلب إلى مرض نفسي يلازمها في الكبر ، وقد يصبح عاشقاً لذاته لا يعترف بسوها ، وهو يتوقع من الجميع ، في كل حين ، المدح والتكريم والتعظيم وإن كان بغير وجه حق . (الزناتي، ١٩٨٤م، ص ٥٩٥).

وعشق الذات مرض وجداً نفسي أطلق عليه علماء النفس البرجسية رمزاً إلى
 أسطورة أغريقية . وهذا المرض النفسي يجعل الفرد عاشق ذاته لا يطيق مدح سواه ،
 ولا يقبل الاهتمام بغيره ، شديد الاعجاب بنفسه والثناء عليها ، وجعلها محور اهتمام

الجميع، حتى أنه قد ينافق ويرأني ويكتب ويشهو الحقائق ، ويحط من قدر غيره ليبدو دائمًا في صورة السمو والرقة ، منفرداً بالفضائل ، إلى أن يقع في متأهلات الكبراء والغورو والزيف والضلal . (الزناتي ، ١٩٨٤م ، ص ٥٩٥) .

فالذات أو الأنانية ركيزة حب المرء لذاته ، واحساسه بها ، فيظل ذاكراً في ذهنه " أنا " وإن لم ينطقها بلسانه . وتكون مبادئه ومثله في الحياة وغاياته مشتقة - بطبيعة الحال - من تلك الأنانية ، ممثلة لها في ظاهر الحياة بأنواع التصرف في القول والفعل . (الخولي ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ ، ص ١٥٠) .

إذا كانت ركيزة حب المرء لذاته أي أنانيته - هي بشرية الحسية فهي الأنانية التي تقوم في الضمير حتى يخلو من زاد معرفة الله ، إذ يجد المرء ضميره خواص قفراً ، وأذواقه يابسة محروسة فلا يجد بديلاً لملء الخوار إلا العرض الأدنى يقبل على جمعه والتعمق به في نهم كشرب الهيم . إذ الأثر في تلك الأنانية معرفة الله ، فلا ولاء لها به الله ، ولا إحساس بفضل له في نعمه - وهو عكس الفرد السوي كريم الطبع الذي تتمثل في روح الإيشار الذي يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصائصه فهو لاء يرجعون الفضل إلى الله بل تجدهم يعملون على تفضيل الغير لأن الضمير مليء بمحبة الله ويرجع الفضل له فكل تصرف قوله أو فعلًا ينم عن الإيشار ، فالتعامل يكون الله من خلال الله كما يصفهم الله في قوله :

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حِلَبِهِ مَسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَآسِيًّا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُنَا مُنْكِرَهُ وَلَا شُكُورًا

فالشخص الذي يؤثر عكس الأناني - وذلك طبيعي أو بدائي لأن الأناني ولاؤه للمال والمنابع الحسية البديل الذي حل محل معرفة الله . فقيمة الهابغة هي مقومات تلك الأنانية، نفسه إذ تحب المال تحب ذاتها وإذا تحب ذاتها تحبه ، ويدعوها هذا الحب العميق إلى امساكه عن وجوه البر ومطالبة الحق . (البيهقي، ص ١٥١) . كما قال تعالى:

إِنَّ الْأَنْسَكَنَ
لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦٧٠ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ٧٠ وَإِنَّهُ لِحُبِّ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٧٠

(سورة العاديات : آية ٦ - ٨)

وكمما قال تعالى :

كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتَمَ ١٧٠ وَلَا تَحْكُمُونَ عَلَى طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ١٨٠ وَتَأْكُلُونَ الْتِرَاثَ أَكْثَرًا لَمَّا
وَتَحْبُبُونَ الْمَالَ حُجَاجًا ١٩٠

(سورة الفجر : آية ١٧ - ٢٠)

والشديد في حب الخير في هذا المقام هو البخيل الذي يؤثر نفسه على الغير . وهذا بسبب حبه للمال والذي يدعوه إلى البخل به عن وجوه الخير . فخلو الوجدان والضمير من زاد الحق يقطع صلته بالله ، فيكفرون نعمته ، ويكون سلوكه شاهداً ، إذ السلوك صورة تعكس ما في الوجدان وتترجمه ، وأوضح معالم هذا السلوك هو البخل بمال حبه القوي له ، ولا يمنع هذا أن ينفقه في وجوه خاطئة طاعة للجهل وحمافة وابتاع هوى النفس . (الخولي ، ص ١٥٢) .

والدين الإسلامي يقر العاطفة المتوجهة إلى الذات لكونها أساس تكوين الشخصية القوية ، والاعتزاز بالنفس ، وشق طريق الحياة بثقة وصلابة ، ومواجحة اعバئها ومشاقها بصبر وقوة احتمال . بيد أن الإسلام يعمل على تعديل هذه العاطفة وبحرص

على أن يجعلها متماشية مع القيم الروحية والفضائل الأخلاقية والأداب الاجتماعية حتى تتحقق مصلحة الفرد والمجتمع . (الزناتي ، ١٩٨٤م، ص ٥٩٥) .

ففي الدين الإسلامي نجد أن الإيمان يتغلب على الأنانية ، فعندما يدخل عنصر الإيمان في الوجود يطفيء شعاع الخصومة ويحطم طغيان الأنانية فاستحال تسامحنا وإشاراً ، وحلق بالمؤمن من الماء الأدنى إلى الماء الأعلى . (القرضاوي ، ط٤ ، ١٣٩٩هـ ، ص ٢٢٠) . وهذا ما يوضحه ما روى " عن أم سلمة قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان يختصمان في مواريث هما لم تكن لهما بينة إلا دعواهما ، كلاهما يقول : هذا حقي ، وينكر على صاحبه أن يكون له الحق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله . فبكى الرجلان وقال كل واحد منها حقي لك ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : أما إذا فعلتما ما فعلتما فاقتسموا وتوخيا الحق ثم استهموا ثم تحالا" (أبو داود ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ ، ج٩ ، ص ٥٠٢) .

وأتي الرجالان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان في مواريث وليس لهما بينة إلا دعواهما كلاهما يقول : هذا حقي وينكر على صاحبه أن يكون له حق ، ويحتكم الرجالان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي وجدان كل منهما فرديته وأنانيته ، فيصدع الرسول آذانهما ووجدانهما بالكلمات الحية المؤثرة . (القرضاوي ، ٢٢٠) . وكما روى " عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، فلعل بعضكم أن يكون الحق بحجته من بعض ، فاقضي له على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها " (الألباني ، ج٢ ، ص ٢٨٣) (البيهقي ، ج١٠ ، ص ١٤٣) . هذه العبارات التي قالها الرسول صلى الله عليه وسلم الحق الذي ينصر الحق ، هذه العبارات لمست جانب الإيمان في وجданهما فايقظت فيهما خشية الله

والدار الآخرة والمصير المحتم ، فيكى الرجلان تأثراً وقال كل منهما لصاحبه حقي لك ، فانقلبت العاطفة المتوجهة الى الذات إلى الإيشار ، فحينما سمع الرجلان المختصمان الكلمات ايقظت الضمير ، فكان القول الفصل . وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم قصبة رجلين مؤمنين كمثال لما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون ، فأسلوب التربية الوجدانية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو بالقول وبالعمل فهو كذلك ذكر للأحداث " فقد روى عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتري رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشتري العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي إشتري العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم اتبع الذهب فقال الذي اشتري الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها قال فتحكماما إلى رجل فقال الذي تحكماما إليه ألكما ولد فقال أحدهما لي غلام . وقال الآخر لي جارية قال انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على أنفسكم منه وتصدقوا " (مسلم ، ج ٥ ، ص ١٣٣) .

هكذا المثل الصالح الذي يدل على الوجدان النقي من الأنانية السلبية والعاطفة السلبية وإنما يتقاتلان من الإيشار . كل يؤثر الآخر على نفسه .

ومن أجل تعديل العاطفة السلبية المتوجهة نحو الذات ذم الاسلام التمادح والتزكية، لأن الله وحده يزكي من يشاء فهي اراداته ودائرته الكبرى التي اختص الله بها نفسه فلا يجوز للمسلم أن يتدخل فيها بهواه أو برأيه الخاص . كما قال تعالى :

اَللّٰهُمَّ تَرِكَى الَّذِينَ يَرْكُونَ اَنفُسَهُمْ بِلِ اللّٰهِ يَرْكِي مَنْ يَشَاءُ
وَلَا يُظْلِمُونَ فَتَبَارِكْ

(سورة النساء : آية ٤٩)

فهذه الآية نزلت في ذم التمادح والتزكية لأن التمادح يؤدي إلى الاعجاب بالنفس وحب النفس وهو الذي يجلب الأنانية . فالمدح منهي عنه شرعاً إذا كان فيه إفراط وإذا كان خفيف فإنه يؤدي إلى الفتنة للمدوح . كما روي " عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال : مدح رجل رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم قال : فقال ويحك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك مراراً إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً إن كان يعلم ذاك كذا أو كذا " (مسلم ، ج ٨ ، ص ٢٢٧) .

" وعن أبي موسى قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يشني على رجل ويطريه في المدح فقال : لقد اهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل " (مسلم ، ج ٨ ، ص ٢٢٨) .

كما نهى الإسلام أن تسمى الأسماء بما تؤدي إلى التزكية . فقد روي عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميت ابنتي برة ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم ، وسميت برة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزكوا أنفسكم على الله أعلم بأهل البر منكم " ، فقالوا : بم نسميها ؟ قال : سموها زينب " (مسلم ، ج ١٣٨٩ هـ ، ص ٣٧٢) .

كما نهى الإسلام عن الاعجاب بالنفس واظهار ذلك في الملبس والمشي . كما قال تعالى :

وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَكَ تَبْلُغُ
الْجِيلَاتُ طَوْلًا

(سورة الإسراء : آية ٣٧)

وَاللَّهُ سَبَحَنَهُ وَتَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ جَرَ ثُوبَهُ خِيَلَاءً أَعْجَابًا بِنَفْسِهِ أَوْ تَمِيزَهَا عَنِ الْآخَرِينَ، بَلْ جَعَلَ الْعَقْوَةَ وَخِيمَةً . فَالَّذِي تَعْجَبُهُ نَفْسُهُ وَيَتَرَجَّمُ عَنْ ذَلِكَ سُلُوكِيًّا فِي مُشَيْتِهِ أَوْ سَائِرِ حَرْكَاتِهِ فَهُوَ مَعْرُضٌ لِعِقَابٍ شَدِيدٍ مِنَ اللَّهِ ، وَهَذَا مَا يَدْلِلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى "عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَ ازَارَهُ بَطْرًا" (الألباني، جـ٦، ص٤٢٥) (مسلم، جـ٦، ص١٤٨). "وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَ ثُوبَهُ خِيَلَاءً" (الألباني، جـ٦، ص٤٢٥) (مسلم، جـ٦، ص١٤٨). "وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ وَبِرَادِهِ إِذْ خَسَفَ بِهِ الْأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلَّجِلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ" (مسلم ، جـ٦، ص١٤٩) . وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْفَرَدَ لَا يَهْتَمُ بِهِنْدَامِهِ وَمَظَهُرِهِ اِجْتِمَاعِيًّا ، إِنَّا الْمُرْفُوضُ هُوَ ظَهُورُ رُوحِ الْكَبْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْبَطْرِ وَالْتَّعَالَى عَلَى النَّاسِ وَالصَّفَاتِ الَّتِي تَنْمِي عَنْ حُبِّ الذَّاتِ . فَقَدْ رَوَى "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مُثْقَلٌ ذَرَةً مِنْ كَبِيرٍ قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثُوبَهُ حَسَنًا ، وَنَعْلَهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكَبِيرَ بَطْرَ الْحَقِّ وَغَمْطَ النَّاسِ" (مسلم ، جـ١٣٨٩، ص٢٠) .

فَإِلَيْسَ لِلْإِسْلَامِ بِحِرْصٍ عَلَى تَعْدِيلِ الْعَاطِفَةِ الْمُتَجَهَّةِ إِلَى الذَّاتِ وَالسُّمُونِ بِهَا عَنِ الدُّنْيَا وَالرِّذَائِلِ ، وَتَرْبِيَتِهَا وَتَوْجِيهِهَا تَوْجِيهًًا خَيْرًا يَحْقِقُ لِلشَّخْصِيَّةِ تَوازِنَهَا وَتَكِيفَهَا ، وَيَجْعَلُ الْفَرَدَ حَرِيصًا عَلَى ارْضَاءِ رَبِّهِ تَعَالَى ، مَعْتَدًا بِذَاتِهِ فِي غَيْرِ كَبِيرٍ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ بِدُونِ غُرُورٍ ، مَتَمَسِّكًا بِأَهْدَافِ الْفَضْلِيَّةِ مُلْتَزِمًا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، قَادِرًا عَلَى التَّكِيفِ مَعَ مُجَمَّعِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ مُحْصَنًا ضِدَّ الْأَثْرَةِ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالْكَبْرِيَّاءِ . (الزنطاني، جـ٤، ص١٩٨٤، ص٥٩٧) .